

سيفرت وي بوفور  
الفيلاسوفية الوطنيّة المسيحيّة

# الجنس الآخر

مترجم من العربية  
لجنة من المساهمة الحسنة

[www.alkottob.com](http://www.alkottob.com)

[www.alkottob.com](http://www.alkottob.com)

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

## الكتاب الأول

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

## مقدمة

ترددت طويلاً قبل ان اقدم على تأليف كتاب حول المرأة ، صحيح ان الموضوع مثير ، خاصة بالنسبة الى النساء ، الا انه ليس بالجديد .

وعلى كل حال ، هل هناك مشكلة ، وما هي ؟ بل هناك نساء ! يقال لنا : «الانوثة في خطر» وبحوثنا قائلين : «كن نساء ... ألقين نساء» . فكأننا كئنا كأننا انساني مؤثت ليس امرأة بالضرورة بل ينبغي له ان يساهم بهذا الواقع الخفي الذي هو الانوثة . وهل تتكفل الميضايات بافرار الانوثة ام ان هذه تكمن في نساء افلاطونية ؟

في عهد القديس توماس كانت المرأة تبدو كجوهرة تحدد خصائصه كما تحدد خصائصهم ومزايا نبات الخشخاش . الا ان هذا المذهب العقري فقد من غورده لان العلوم البيولوجية والاجتماعية لم تعد تعبر بوجود جوهرة جامدة ثابت تحدد نماذج معينة كالمرأة واليهودي والزنوجي .

ان موقفه التحدي الذي تحفه النساء الاميريكيات اثبت ان شعور الانوثة يطغى طبعين . والحقيقة انه يكفي القاء نظرة للتأكد من ان الانسانية تنقسم الى فئتين تتمايزان باللباس والوجه والجسم والابتسامة والتمنية والاعتناء والشاغل تبايزا واضحا ، وقد تكون هذه الفوارق سطحية وسائرة الى الزوال . انما الاكيد انها موجودة في الوقت الحالي بكل وضوح .

إذا كانت الأنوثة وحدها لا تكفي لتعريف المرأة ، ورفضنا أيضا أن نصرها بمفهوم «المرأة الخالدة» وبالتالي إذا كنا ، نسلم ولو بصورة مؤقتة ، أن هناك نساء على الأرض ، فطينا حينئذ أن نتساءل ما هي المرأة ؟

إن الرجل يعتبر جسده كما لو كان كائنا مستقلا يتصل مع العالم اتصالا حرا خاضعا لإرادته هو ... بينما يعتبر جسم المرأة حائلا بالقيود التي تعوق حركة صاحبته . ألم يغل الاخلاطون : «الأنثى هي التي بسبب نقص في الصفات» ؟

إن الانسائية في عرف الرجل هي ، مذكرة فهو يعتبر نفسه يمثل الجنس الانساني الحقيقي ... أما المرأة فهي في عرفه تمثل الجنس «الآخر» . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو :

كيف يمكن ابعاد الجنين فقط من فرض نفسه كجوهري وحيد ، متكررا وجود كل نسبة تربيته بالجنس الآخر ، معرفة اياه بأنه الآخر الصرف . ومن اين اتى للمرأة هذا الرضوح ؟

هناك حالات اخرى ربما تمكن فئة من التحكم بفئة اخرى خلال فترة من الزمن . كان هذا الامتياز فاجبا في الغالب عن تمايز العدد فتفرض الاكثرية قانونها على الاقلية ومضطهدها . الا ان النساء لسن اقلية ، فضلا عن ان هذا التسلط له بداية تاريخية معروفة . فمثلا لم يكن هناك يروياتاريا مضطهدة على حين كان هناك دائما نساء . انهن نساء يتكويمن الفيزيولوجي . ومهما اوقفنا في التاريخ القديم لدى النساء ملحقات بالرجال . هذه التبعية ليست نتيجة حادث تاريخي وليست بالامر

الطاريء ، ما يجعل من المرأة الجنس الآخر بصورة مطلقة .

ان نضال المرأة لم يكن قط الا تضالا ومزجا . ولم تنز الا بما لولاد  
الرجل التنازل عنه . لم تأخذ شيئا ابدا بل تسلمت ما أعطي اليها .

لا نستطيع المرأة حتى في العلم ازالة الذكور . فالعلاقة التي تربطها  
بسطوحها لا مثيل لها . ذلك ان اقسام الجنس هو في الواقع شيء  
عضوي محسوس وليس مرحلة من تاريخ البشر . ان ما يعبر المرأة  
بصورة اساسية هو كونها الجنس الآخر ضمن وحدة ذات حدين  
متلازمين .

قد يخيل اليها ان هذه العلاقة المتبادلة قد ساعدت على تحرير المرأة  
والحقيقة ان الحاجة البيولوجية التي تجعل الذكر مقيدا بالانش لم تحرر  
المرأة اجتماعيا . واذا كان الحاج الحاجة متساويا عند الطرفين فانه يتدخل  
دائما في صالح المظتهدين ضد المظتهدين .

الى جات ميل المرء الى تأكيد نفسه كشخص ، هناك ميل الى  
الهرب من حريته وتحويل نفسه الى غرض او الى متاع . ان هذه  
الطريق ، طريق وخيبة ، لأن المرء السلمي العائش في الضياع يصبح  
فريسة لارادة الآخرين ، عاجزا عن الفناء ذاته ، معروما من كل القسم .  
ولكنها طريق سهلة لانها تجنب المرء الحيرة والمسؤولية . لذلك يفتي  
الرجل الذي يجعل من المرأة والجنس الآخر استعدادا عميقا من جانبها  
يساعده في مهمته .

هكذا لا تطلب المرأة لنفسها صفة الشخص الذي يؤكد ذاته ، لانها  
منحرومة من الوسائل للموسمة ، ولانها تحس بالعلاقة الضرورية التي

تربطها بالرجل دون ان تعتبرها علاقة متبادلة ، ولانها تقع غالباً يدورها  
«جنس آخر» .

حينئذ يتبادر الى الذهن السؤال التالي : كيف ابتدأت هذه القصة  
كلها ؟ من المفهوم ان يتحول ازدواج الجنس (كأي ازدواج) الى نزاع .  
ومن المفهوم انه اذا نجح احد الطرفين في فرض تفوقه فان هذا التفوق  
يسيل الى تأكيد نفسه تأكيداً مطلقاً . ولكن ينبغي لنا ان نتسرح لماذا كان  
الرجل هو الراجح في البداية ؟ لماذا كان هذا العالم دائماً تابعاً للرجال ،  
ولماذا لم تأخذ الانثى في التبدل الا في هذه الايام فقط ؟ وهل هذا  
التبدل شيء حسن ؟ وهل سيقسم العالم تقسيماً عادلاً بين الرجال  
والنساء ؟

هذه الاسئلة ليست بالجديدة ، وقد اقيمت لهوية عديدة . الا ان  
مجرد اعتبار المرأة «الجنس الآخر» يخرج كل التبريرات التي يقدمها  
الرجال لانها كانت مستوفاة من مصالحهم .

قال احد انصار المرأة المعشورين : «كل ما كتب عن المرأة من قبل  
الرجال يجب ان يثير الشبهات لانهم خصوم وحكام في الوقت ذاته» .  
وقد سخروا اللاهوت والفلسفة والقوانين لخدمة مصالحهم» .

وفي القرن الثامن عشر فقط اخذ بعض الرجال المشبعين حقاً  
بالديمقراطية يراهمون المسألة بصورة موضوعية .

ان الفكرة العجيبة تعاول ان تبقى المرأة في المكان التي تخصصه لها  
وتستقي الحجج من الوضع الذي خلقت هذه الفكرة نفسها ، وهذا يذكرنا  
بقول (برادشيو) في الزواج : «ان الأميركي الابيض يحبط بالزنجي الى

مستوى ماسح الاحذية ليستج من ذلك ان الرجل ليس صالحا سوى لمسح الاحذية . نعم ان النساء هن غالبا في يومنا هذا اقل مكانة من الرجال بمعنى ان وضعهن لا يفسح لهن الا مجالات أضيق . والمساواة هي ان تعرف ايضا اذا كانت هذه الحال ستدوم ؟

لا شك في ان كثيرين من الرجال يتنون ذلك وكلهم لم يلق السلاح بعد . فالبرجوازية ما زالت ترمي في تحرير المرأة خطرا يهدد مفاهيمها العقلية ومبادئها . وبعض الرجال يخشون منافسة المرأة ، والمصالح الاقتصادية ليست وحدها في الميدان ، لأن من محاسن وضع المضطهدين ان يستطيع يظن نفسه من طينة اخرى . فكان اسهل على الكاتب الفرنسي (موترلاند) ان يحسب نفسه بطلا وهو يقارن نفسه مع نساء (اختارهن هو نفسه) . من ان يقارن نفسه وهو يأخذ دوره كرجل ، مع بقية الرجال : مع العلم ان بعض النساء لقنه في القيام بهذا الدور . وها هو ذا (كلود موريلك) يكتب بخصوص النساء «نحن نصغي بلا مبالاة مهذبة لانكي النساء ونحن نعلم جيدا ان فكرها يعكس بصورة متباينة الموضوع الافكار التي تصدر عنا نحن الرجال» . على كل حال ان المرأة التي يتحدث عنها لا تعكس افكاره لانه معروف بنسوب فكره ولعله يحتاج الى ان يعكس هو نفسه افكار كبار الفلاسفة وهو يتحدث . ان المساواة النسائية استعالت الى نزاع وخضام نتيجة لوقاحة الرجال . والانسان حين يتخاضم يلقه ملكة المعاكسة . واذا اردنا حقا ان نسلط النور على المساواة فينبغي لنا ان نطرح كل المفاهيم المهمة كالتسوية والمساواة والتفص وان نتطرق من جديد .

لكن كيف نطرح المساواة ان ؟ بل من نحن حتى نطرحها ؟ فالرجال



هم خصوم وحكام . والنساء أيضا هن كذلك ، فإين نجد ملاكا يقوم  
بالهمة ؟ اني اعلم مع ذلك ان بعض النساء هن احسن من يستطيع  
توضيح وضع المرأة فقد حظيت نساء كثيرات في يومنا هذا بالتمتع  
بترابا الكائن الانساني مما يجعلهن غير مفرضات ، والواقع ان عدم  
التحيز هذا يشكل حاجة بالنسبة الى النساء ونحن النساء نعرف غيرا  
من الرجال عالم المرأة لاننا مرتبطات الجذور به ، ونحن اقدر على ادراك  
ما معنى ان يكون الكائن الانساني والمرأة .

ان المسألة التالية هي بالنسبة اليها كبحرة الاعمية : اي تأثير في حياتنا  
نجم عن كوننا نساء ؟ ما هي الامكانيات التي اعطيت الينا والتي تمتعت  
عنا ؟ اي مصدر يمكن لآخواتنا الضعيفات انتقاره وفي اي اتجاه يجب  
توجيههن ؟

ما يلت نظر ان مجموع الكتابات النسائية مفعمة في هذه الايام  
بجهد للتوضيح هو اكثر من الرغبة في اللطافة . وهكذا يجب ان يعتبر  
هذا الكتاب محاولة من مجموع المحاولات لتوضيح الامور .

الا انه من المستحيل ، دون شك ، البحث في اي مشكلة نسائية  
بصورة مجردة عن التحيز فان طريقة وضع الاسئلة ، ووجهات النظر  
المتباعدة ، تفرض مجسومة متباينة من المصالح .

وبدل ان نحاول اغناء المبادئ ، المفترضة بدرجات متباينة الوضوح ،  
يجدر بنا ان نبدأ بوضعها وارسالها . اتنا بذلك لا نجد القسنا مضطرين  
الى توضيح نواباتنا في كل صفحة وما تقصده من كلمات امثال : اعلى ،  
اقل ، احسن ، اسوأ ، تطور ، تهقر .

نحن نعتقد ان الصالح العام غير موجود الا اذا كان هذا الصالح  
يعني الصالح الخاص للمواطنين . ولا نعكم على المؤسسات والنظم  
الا من خلال الامكانيات المتسومة المتبيرة للافراد . على انا لا نلظ  
بين مفهوم الصالح الخاص ومفهوم السعادة . هذه نقطة اخرى تعرض  
سيينا غالبا ، ليست النساء التواني يؤلفن الحرجم اسعد من النساء  
العصريات التتمعات بحق الانتخاب ؟ انا ، لذلك لن نعتد ايدا على  
مفهوم السعادة بل سنتبنى وجهة نظر الاخلاق الوجودية .

كل شخص يعمل على تأكيد نفسه تأكيدا فعليا ملموسا من خلال  
التسريع والاهداف ، ولا يحقق حريته الا بارتقاء مستمر وتسام مضطرد  
نحو مستويات اخرى . ولا يمكن تبرير الوجود العالي الا بالتفتح  
نحو مستقبل مهد السبيل تمهيدا مطلقا ، وكلما تحول الارتقاء الى  
جسود سار الوجود نحو الانحطاط . ان هذا الانحدار يشكل خطيئة  
اخلاقية اذا ما رضي به المرء . اما اذا فرض عليه فرضا اصبح ذلك  
اضطهادا . وفي كلا الحالتين يكسب الشر المطلق . اجل ان كل فرد رائد  
تبرير وجوده لانه يحس بهذا الوجود كحاجة لا متناهية الى التسامي .

والمرأة تعرف بانها كائن انساني وحرية مستقلة . وهي تكتشف  
نفسها وتصطفي ذاتها في عالم حرس الرجال فيه ان تلعب دور لاجنس  
آخرة دور الغرض والمنافع .

ان مأساة المرأة تكمن في هذا النزاع القائم بين المطلب الاساسي لكل  
شخص ينصب نفسه دائما في مقام الجوهر وبين متطلبات وضع يجعل  
منها لا جوهر . فكيف يمكن اذن ، للكائن الانساني ، في ظروف مثل

ظروف المرأة ، ان يستكمل ذاته ، وما هي الطرق المتوقعة امامه ، ايها لا تؤدي الى نتيجة ، اي ظروف تعد من حرية المرأة وهل في الامكان تجاوزها ، هذه اسئلة اساسية سنبدل جهودنا آملين توفيقها . وانما اذ نهتم بإمكانيات الشخص ، لا نحدد هذه الامكانيات بتعايير السعادة بل بتعايير الحرية .

سكوتة ديب بروفور

القسم الأول

# تصير المرأة

## الفصل الاول

# معطيات علم الحياة



يقول هوارة العبارات السهلة : ما هي المرأة ؟ هذا شيء بسيط • انها رحم ومبيض ، انها اتى وهذه الكلمة تكفي لتعرفها • ويطوك الرجل كلمة «اتى» كما لو كانت اعانة ، ومع ذلك فهو لا يحس بأي خجل من حيوانيته ، بل يبدو ، على العكس لغيره اذا قيل عنه : «انه ذكر» • وليست كلمة «اتى» مستحبة لانها تربط المرأة بالطبيعة وانما لانها تقيدها بحدود جنسها • ولئن كان هذا الجنس يبدو للرجل اعلا للاحتقار فنرجع ذلك الى اضطراب الخصومة التي تخلقها المرأة في نفسه ، الا انه يريد ان يرى في علم الحياة تبريرا لهذا الاحساس •

اذا اردنا الابتعاد عن الافتكار للمادة فان هناك سؤالين ينتصبان امامنا :

١ - ماذا تمثل الاتى في مملكة الحيوان ؟

٢ - اي نوع خاص من الاتى يتحقق في المرأة ؟

\* \* \*

الذكر والاتى هما نموذجان من الاشخاص يتمايزان نوعيا بالتعاون

في سبيل التكاثر ، ولا يمكن تعريفهما الا بالترابط . بيد انه يجب ان نلاحظ اولاً ان مدلول القسام الانواع الى جنسين ليس واضحاً . ففي عالم الحيوان نجد ان في وحيدات الخلية كالأببيب تنفصل عملية التكاثر عن العملية الجنسية انفصالاً تاماً . كما ان منها ما يتكاثر بالانقسام .

ان القسام النوع الى جنسين قد اعتبر مفروفاً منه من قبل اكثر الفلاسفة الا ان هذه الفلاسفة لم تتمكن من تحجيره . اما بخصوص دور كل من الجنسين فهناك اختلاف في الآراء . كانت هذه الآراء في البداية غالية من كل اساس علمي ولا تعكس سوى تصورات اجتماعية . فخلال زمن طويل اعتقد الناس ان الاب ليس له اي دور في عملية الحمل . وان روح الجنود تدخل الى بطن الام بصورة بذرة حية . وحين حل النظام الابوي اخذ الذكر يتسك بذريته . ولما لم يكن بالإمكان افعال كل دور للام في التوالد فقد اعتبر انها تحبل وتغذي البقرة الحية التي يقدفها الاب فقط . وحتى لما تم اكتشاف دور البويضة الايجابي فقد حاول الرجال ان يقابلوا بين عقاله وسكون البويضة ونشاط وحيوية الحيويين المنوي . الا ان هناك اتجاهاً جديداً معاكساً يحاول ان يثبت ان دور الذكر لا يتعدى دور المؤثر الفيزيائي الكيميائي .

اما طرح جابا كل معتقد سابق للتجربة وكل نظرية عشوائية . وتأمل استخلاص المغزى من فحص الواقع الملوس . وحينئذ قد يتكشف لنا مضمون كلمة «اشي» .

ليست فانيما عرض فلسفة في الحياة ولنا نريد التسرع في اتخاذ موقف في النزاع القائم بين المذهبين : الغائي والآلي . ودون ان نتخذ

أي قرار بخصوص العلاقة بين الحياة والشعور ، يمكننا ان نؤكد ان وراء كل وظيفة مشروعا وهدفا .

تعاون الاعضاء المذكرة والمؤنثة ، لدى اغلب الانواع ، في سبيل التوالد . وهناك تياران خافتان : يقول الاول بسلبية الانثى ، والحقيقة ان الحرارة الحية تبتثق من التقاء الخليتين المولدين . اما التيار الثاني فيناقض الاول ، رغم تعاضدهما معا اكثر الاحيان ، ويقول بان دوام النوع تؤمنه الانثى اما المبدأ الذكر فليس له سوى ظهور انفجاري ، وعارض . والحقيقة ان الرثيم يخلد بذرة الاب وبذرة الام وينقلهما الى الذرية بصورة ذكر احياا وسورة انثى احياا اخرى . ان الخليتين المذكرة والمؤنثة المولدين تتحدان معا وتذوب فريدهما في عطية التنازع .

بلغ الشطط في بعضهم اهم استتجوا من وضع البويضة مكان المرأة في البيت . فقد اوحى (الفريد فوييه) بإمكان تعريف المرأة كلها اعتبارا من البويضة ، وتعريف الرجل اعتبارا من الحيوان المنوي .

ان العضوين المذكر والمؤنث اللذين يتوزعان بصورة متساوية في الجنسين ويتطوران تطورا متائلا اعتبارا من جذور واحدة ، يدوان متناظرين تمام التناظر بعد انتهاء تكوينهما . وكلاهما يشيز بوجود غدد منتجة للخلايا المولدة ، وفي الحالة الساكنة يبدو الذكر والانثى متكاملين ولا يمكن ادراك فريدهما الخاصة الا من الناحية الوظيفية .

ان التكاثر في الاشكال العليا من الحياة يصبح اتجا لاعضاء متساوية ، وبأخذ وجهها مزدوجا : يحافظ على بقاء النوع ويخلق مخلوقات جديدة : هذه الناحية التجديدية تؤكد بتأكيد الفردية . وعند الحيوانات

الثدية ، تأخذ الحياة اشكالا أكثر تعقيدا وفردية وحينئذ يتحقق الاتصال الى جنسين بصورة نهائية . على ان المرأة رغم مساهمتها مساهمة ايجابية في التوالد ، تنقل البذرة من الرجل الذي يضعها .

ان هذه المعطيات البيولوجية ذات أهمية كبرى فهل تلعب في تاريخ المرأة دورا اوليا وتشكل عنصر اساسيا في وضعها . ونظرا الى ان الجسم هورمونية تتكنا من العالم فان هذا العالم يعرض لنا بصورة تختلف باختلاف هذا التمكن ولئن استعرضنا المعطيات البيولوجية فلانها احد المفاتيح التي تسمح لنا بفهم المرأة لكننا نرفض الفكرة القائلة بان المعطيات البيولوجية هي التي تقرر مسيرها نهائيا . فهذه المعطيات لا تكفي لتحديد التباين بين الجنسين ولا تفسر لماذا تعتبر المرأة والجنس الأخرى كما لا تحكم عليها بان تعالظ الى الابد على هذا الدور الثانوي .

\*\*\*

وعم بعضهم ان الفيزيولوجيا وحدها تسمح بالاجابة على الاسئلة التالية : هل للتجاح الفردي حظ واحد عن الجنسين ؟ اي الجنسين يلعب الدور الأهم في النوع ؟

فلنقتنعون بنظرية الموازنة النفسية - الفيزيولوجية حاولوا القيام بمقارنات رياضية بين الاعضاء المذكرة والمؤنثة متطلبين ان هذه المقاييس تسمح بتعيين القدرات الوظيفية ، اما نعرض طرح كل فكرة من هذا النوع ؟ لان هذه نظريات تهدمت نهائيا . كما نطرح كل فكرة تقول بوجود تسلسل طبيعي للقيم لان كل هذه النظريات التي تزج بين مذاهب طبيعية غامضة مزوجة باعتبارات خرافية وجمالية هي نوع من



الاسفاف .

لا يمكننا ان نقارن بين الانثى والذكر في النوع البشري الا من الزاوية الانسانية . ولا يعرف الانسان الا بانه كائن غير معطى وانه يصنع نفسه بنفسه ويقرر ما هو عليه . وكما قال (ميرلو بونتي) ليس الانسان نوعا طبيعيا بل هو فكرة تاريخية . والمرأة ليست واقعا لازما بل هي ضرورة ، لذلك ينبغي مقارنتها مع الرجل في ضرورتها ، اي ينبغي تحديد امكانياتها : ان ما يعيب كثيرا من المناظرات ، انها تريد ان تقرر المرأة على ما كانت عليه او ما هي عليه الآن . ولكننا اذا وجهنا رأيا يوصف بأنه تجاوز على الحقيقة فليس بإمكاننا ان نعلق الحساب .

ما دعنا تبنا الزاوية الانسانية التي تعرف الجسم اعتبارا من الوجود فان البيولوجيا تصبح علما تجريديا ، وحين نأخذ احدي المعطيات الفيزيولوجية (النقص العضلي مثلا) مغزى ما فان هذا المغزى يبدو لنا حالا مرتبطا بكل معناه . ويجب الرجوع الى قرائن وجودية واقتصادية ومعنوية كيما يعرف مفهوم «الضعف» تعريفا ملبوسا . وعلى ضوء البيولوجيا فقط لا يسكن القول باولية احد الجنسين على اساس الدور الذي يلعبه في تخليد النوع .

واخيرا ، ليس المجتمع نوعا من الانواع . ففي المجتمع يحقق النوع نفسه كوجود ويجاوز ذاته نحو العالم والمستقبل . وان اخلاق المجتمع لا تستنتج من البيولوجيا . والاشخاص ليسوا متروكين لطبيعتهم ، بل يخضعون لطبيعة ثانية هي العرف والتي تنعكس فيها رغبات ومخاوف تعبر عن وضعهم البشري . ولا يتولد لدى الشخص الشعور بذاته

ويستكمل نفسه ، بصفته جسماً فقط ، وإنما بصفته جسماً خاضعاً  
للمعتقدات والقوانين . وهو لا يقيم نفسه إلا باسم بعض القيم ، ومرة  
أخرى تؤكد ، أن الفيزيولوجيا عاجزة عن تأسيس القيم ، بل ، بالمعكس ،  
أن المعطيات الفيزيولوجية تكتسب القيم التي يضفيها الكائن عليها .  
فإذا حال الاحترام تجاه المرأة دون استعمال الشدة ضدها ، فإن الفضيلة  
الرجل العضلية مثلا تفقد سلطتها .

هكذا ينبغي لنا أن نقرأ المعطيات البيولوجية على ضوء مجموعة  
العوامل البشرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية والنفسية . إن خضوع  
المرأة لواجب النوع وحدود إمكانياتها الفردية هي وقائع بالغة الأهمية .  
فجسم المرأة هو أحد العناصر الأساسية من وضعها في هذا العالم . إلا  
أنه لا يكفي وحده لتعريفها . إذ ليس له من واقع وجودي إلا عن  
طريق الشعور ومن خلال فعلها ضمن المجتمع .

ليس بوسع البيولوجيا الإجابة على السؤال الذي يشغل بالنا : لماذا  
تكون المرأة « الجنس الآخر » ؟

ينبغي لنا أن نعرف ما فعلته الإنسانية بالأش البشرية .

## الفصل الثاني

# وجهة نظر علم التحليل النفسي

على حين يزعم (فرويد) تطور الحياة الانسانية الى الحرية فقط فان (آدلر) الذي اتفق عليه ، يأخذ بعين الاعتبار الشخصية الكلية . بينما يرى (فرويد) ان السلوك يسبغونه بنجم عن الرغبة ، اي البحث عن الفذة فان (آدلر) يرى ان الانسان يضع نصب عينه بعض الاهداف ويضج (آدلر) للفداء مجالاً وسيما بحيث لا يكتسب العامل الجنسي عنده في الغالب سوى قيمة رمزية .

بالنسبة الى آدلر ، تعود الاسباب الانسانية في ثلاث لحظات : في كل فرد تكمن «ارادة القوة» الا انها تكون مصحوبة «بمركب نقص» . ان هذا النزاع يدفعه الى العزوب من تجربة الواقع خشية ان لا يسكن من التغلب عليه ، فيترك الشخص مسافة بينه وبين المجتمع . اما لدى المرأة فيتخذ «مركب النقص» شكل الرفض المضجل لانوثها : اذن ليس حرمانها من عضو الذكر كما يظن فرويد هو الذي يحدث مركب النقص عند المرأة بل مجسوم الوضع . وان الفتاة الصغيرة لا تفقد العضو الا على اعتبار انه رمز للامتيازات المنوحة للمسيان . ان المكان الذي يحتله الاب في الاسرة والافضلية العامة للذكور والتربية ... كل شيء

يوجد فيها فكرة فوق الذكور . وفيما بعد يؤكد وضع المرأة تحت الرجل خلال عملية الجماع ادلائها من جديد . الا انها بفضل الامومة نجد في طفلها ما يعيد التوازن ويكسبها نوعا من الاستقلال .

يرفض اصحاب مدرسة التحليل النفسي رفضا تاما فكرة «الاستقاء» و مفهوم القية المرتبط بها . هذا هو الشحنة الداخلي لهذه المدرسة . وبما ان فرويد يفصل بين الدوافع واللواتع وبين الاستقاء الوجودي ، فانه يشغل في تفسير منشأها ويعتبرها كمنغيات .

لا شك في ان الحرية الجنسية تلعب في حياة الانسان دورا بالغا حتى يمكننا القول انها تغفل في حياته كلها . ان الكائن للوجود هو جسم ذو جنس . والشئ كان الجسم والحرية الجنسية يشكلان تعبرا محسوسا للوجود فلا يمكننا اكتشاف مغزاها الا اعتبارا من هذا الوجود .

يعتبر اصحاب مدرسة التحليل النفسي الحقيقة الاولى للانسان علاقته مع جسده الخاص وجسم امثاله ضمن المجتمع ، الا ان الانسان يتم اعتماده اساسيا بالعالم الطبيعي واللعب وغير ذلك ويدعي الالتقاء المحسوس بالوجود من خلال العالم كله وبكل الوسائل الممكنة .

لا يكفي القول ان المرأة هي التي ولا يمكن ايضا تعريفها على اساس الشعور الذي يملكها بانوثتها . انها تشعر بانوثتها ضمن مجتمع هي احد اعضائه . ان لغة التحليل النفسي ذاتها باستبطانها كل الحياة النفسية، نوعي وان مأساة الفرد تجري ضمن ذاته : هذا ما تفرضه كلمات : عقد ، ميول ... لكن الحياة علاقة بالعالم ، وان الفرد يحدد نفسه بما يصطفيه

لنفسه . ويشيعي لنا ان نلتفت صوب العالم نجد العنقود للإسئلة التي  
تشغلنا . وان مفرحة التحليل النفسي تشغل بصورة خاصة في ان تفسر  
لماذا تكون المرأة «الجنس الأخر» . لذلك ترفض طريقة التحليل النفسي  
مع اعترافنا ان بعض ملاحظاتها ذات نفع .

زد الى ذلك اننا نثير بصورة اخرى مسألة المصدر النسوي . فنضع  
المرأة في عالم من القيم ونظن ان عليها ان تصطفي بين تأكيد رغبة الارتقاء  
والمجاورة وبين اعتبارها كغرض ومتاع .

نحن نعتقد ان المرأة تختار بين دورها كغرض ، كغرفة آخر ، وبين  
مطلبها في الحرية .

وهي تعرف بالنسبة اليها ككائن انساني يبحث عن القيم ضمن عالم  
من القيم ، ضمن عالم لا يد من معرفة تكوينه الاقتصادي والاجتماعي .  
لذلك نحن ندرس المرأة من زاوية وجودية من خلال وضعها الكلي .

## وجهة نظر المادة التاريخية

لم تبرز نظرية المادة التاريخية طائفت ذات أهمية بالغة ،  
فالإنسانية ليست نوعا حيوانيا بل هي واقع تاريخي ، ولا يتأثر المجتمع  
بالمليحة تأثرا سلبيا بل يحاول التكيف منها ، هذا التمكن ليس عملية  
شخصية شخصية وإنما يجري بصورة موضوعية ، لذلك لا يمكن أبدا  
اعتبار المرأة فقط ككيان عضوي ذوي جنس ، والمعطيات البيولوجية  
التي تكتسب أهمية هي التي تأخذ قيمة محسوسة ضمن العمل ، وإن  
شعور المرأة بذاتها لا تحدده فريزتها الجنسية وحدها ، وإنما يعكس  
وضعا يتعلق بالتكوين الاقتصادي للمجتمع ، هذا التكوين الذي يعبر  
عن درجة تطور الإنسانية التي .

وأما إن الصفتين الأساسيتين اللتين تميزان المرأة من الناحية البيولوجية  
هنا : أولا إن تسكنها من العالم اضيق نطاقا من تلك الرجل له ، ثانيا  
إنها أكثر خضوعا لمستلزمات النوع ، إلا أن هذه الوقائع تكتسب قيمة  
مختلفة بحسب الحالة الاقتصادية الاجتماعية ، ففي تاريخ الإنسانية ،  
لا يتحدد التمكن من العالم بالجسم المجرى أبدا لأن الآلة التي تلعب دور  
الواسطة تضاعف من قدرة الإنسان ، قد تكون المرأة عاجزة عن تعريك

أداة ثقيلة فيبدو عجزها واضحاً بالنسبة إلى الرجل . إلا أن التطور الفني قد يلغي الفارق العضلي الذي يميز الرجل عن المرأة وتصبح معادلة له في العمل .

إن (الجلز) يسرد تاريخ المرأة في كتابه «أصل الأسرة» ويظهر أن تاريخ المرأة مرتبط ارتباطاً أساسياً بتاريخ التنكيك .

ففي العصر الحجري ، لما كانت الأرض مضافاً بين أفراد القبيلة كانت قوة المرأة كافية للعمل في البساتين ، فكان هناك تقسيم متساو للأعمال بين الرجل والمرأة . الرجل يسطاد والمرأة تبقى في المنزل حيث تقوم ببعض الأعمال الإنتاجية كالنسيج والبستنة وغيرها . وبالتالي كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية .

ولما اكتشفت المعادن وابتدع الحراث واتسع نطاق الاستثمار الزراعي والردائم صعوبته ظهرت انطوائية الفردية . فصار بإمكان الرجل أن يصبح سيداً للعباد والأرض وأصبح أيضاً مالِكاً للمرأة .

ذلك هو «الانكسار التاريخي الكبير للجنس النسائي» . وأنه ليفسر بالتوراة التي طرأت على تقسيم العمل نتيجة لاختراع وسائل جديدة . إن العمل المنزلي الذي كان يفرض للمرأة استقلالها في السابق ، صار يفرض سيطرة الرجل ، لأن العمل المنزلي لم تعد له سوى قيمة ثانوية جداً أمام عمل الرجل المنتج . حينئذ حل الحق الأبوي محل هذه الأم . وظهرت الأسرة الأبوية القائمة على الملكية الفردية . في مثل هذه العائلة أصبحت المرأة مضطهدة . أما الرجل المتربح على عرش السيادة فاباح لنفسه التقلب مع الهوى والتسري بالإناء . . . . .

تتقدم المرأة بالحياة . هذه وسيلة المقاومة الوحيدة ضد عبوديتها المنزلية ، وما الاضطهاد الاجتماعي الذي يحقق بها الا نتيجة استعبادها الاقتصادي .  
فولا يمكن للمرأة ان تحرر الا حينما تستطيع الاسهام الى حد بعيد في الانتاج ولا يستدعيها العمل المنزلي الا بصورة طفيفة . وهذا لم يصبح ممكنا الا ضمن مجتمعات الصناعة الكبرى الحديثة التي لا تفتح المجال لعمل المرأة بحسب بل تتطلب بصورة ملحّة .

ان مقاومة وتعطّلات النظرية الابوية الرأسمالية هي التي تحول دون تحقيق المساواة في كثير من البلاد . وحينما يعمل المجتمع الاشتراكي في العالم كله فلن يكون هناك رجال ونساء بل عمال متساوون فيما بينهم .  
لا شك في ان تحليل (انجلز) يشكل خطوة الى الامام ، الا انه يعمل كثيرا من النقاط المهمة : ان محور التاريخ كله هو الانتقال من نظام المذبح القديم الى الملكية الفردية ، دون ان يقال لنا كيف حدث هذا الانتقال . بل ان انجلز يعترف «بأننا لا نعرف شيئا حتى الآن» . فهو لا يجهل تفصيلات التاريخ فقط بل انه لا يرحي بأي تفسير له . كما انه ليس واضحا ان الملكية الفردية ادت حتما الى عبودية المرأة . ان المادية التاريخية تعتبر الاثياء التي ينبغي تفسيرها ، امورا مفروغا منها ، فهي تضع ، دون نقاش ، صلة الصلحة التي تربط الانسان بالملكية ، ولكن ما هو منشأ هذه الصلحة التي منها تتبع المؤسسات الاجتماعية ؟ هكذا تبقى دعوى انجلز ناقصة وتبدو الحقائق التي يكتشفها محتسرة لانه لا يمكن التمسك فيها دون تجاوز المادية التاريخية التي لا يمكنها تقديم الحلول للمسائل التي عينها لانها مسائل تهتم الانسان كله ، وليس مفهوم «انسان الاقتصاد» التجريدي .



من الواضح ، مثلا ان فكرة التنكس الفردي لا تكتسب معنى الا اعتبارا من الوضع الاسلي للكائن . وكما نظهر ، يجب اولا ان يكون في الشخص ميل الى فرض نفسه في فردية الجذرية ، ودرجة الى تأكيد وجوده المستقل المنفصل . ومن المفهوم ان هذا الادعاء يبقى شخصيا ، داخليا ، غير حقيقي ، ما دام المرء محروما من الوسائل العملية الكفيلة بتلبية هذا الادعاء تلبية موضوعية : فنظرا لحرماته من الآلات الملائمة ، لم يكن يحس في البداية بسلطته على العالم ، وكان يحس بنفسه ضالعا في الطبيعة والجماعة ، سلبيا مهددا ، تتلاعب به القوى المظلمة ، ولم يكن يعبر على التفكير في نفسه الا من خلال ذواته في العشيرة .

ان اكتشاف البرونز سمح للانسان باكتشاف نفسه ، في تجربة العمل القاسي والنتج ، كبداية مسيطر على الطبيعة ، فلم يعد يخشاها وسارت له الجراءة امام تغلبه على الصعاب على فهم نفسه كفعالية مستقلة وعلى استكمال فرديته . الا ان هذا الاستكمال لم يكن ليتحقق لو ان الانسان لم يشاء اولا . ان عظمة العمل لم يتلقها شخص سلبى بل ان الانسان بنى نفسه بسيطرته على الارض . ان تأكيد الذات لا يكفي لتفسير الملكية ، ففسي التحدي والنضال والمركة الفردية يحاول اكتساب شعور الارتقاء الى السيادة . وكما يكتسب التحدي شكل الخصومة الاقتصادية ، وكما يطالب الرئيس لم افراد العشيرة ، اعتبارا من ذلك ، باستقلالات فردية ، ينبغي ان يكون في الانسان ميل اولي آخر : فقد سابقا ان الكائن لا ينجح في اکتفاء نفسه الا بالتقسيم وهو يبحث عن نفسه خلال العالم تحت صورة اجنبية يجعلها صورته وفي نفس الوقت حاول كل واحد امتلاك قطعة ارض ، وادوات عمل ومحاصيل . وقد

وجد الانسان ذاته في هذه التروات التابعة له ، لانه ذاب فيها . وفكرت حينئذ انه الخذ يعطيها نفس الاعمى التي لحباته ، على هذا الضوء يصبح اعتماد الانسان بملكته رابطة وراحة منومة .

من المستحيل ايضا ان نستنج اضهاد المرأة هو وليد الملكية الفردية فهنا ايضا تظهر عدم كفاية وجهة نظر انجز . لقد فهم جيدا ان ضعف المرأة العضلي لم يصبح قصا ملموسا الا في علاقته مع الاموات الحديدية والبرونزية . الا انه لم ير ان طاقة عليها المحدودة تشكل عبئا ملموسا الا من وجهة معينة ، ان الرجل نظرا الى كونه ذا طموح ، يبرز من خلال كل آلة جديدة مطالب جديدة . فعين اكتشاف الاموات البرونزية لم يكتف باستثمار البسائين بل اراد استثمار خقول جديدة واسعة ، ولم تتبع هذه الافادة من البرونز نفسه . ان عجز المرأة جر الى خرابها لان الرجل استحوذها من خلال سمية الثروة والتوسع الا ان هذا لا يكفي ايضا لتفسير اضهادها فقد كان مسكنا لتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ان يكون مشاركة ودية . ولو كانت العلاقة الاولية الاسلية للرجل مع اتباعه علاقة صداقة صرفة لما امكن تفسير اي نوع من الاستعباد . ان الاستعباد هو نتيجة لجهروت الشعور الانساني الذي يبحث عن تحقيق سيادته بصورة فعلية . لو لم يكن في المرأة سفة «الجنس الثانوي الأخر» اصلا لما كان في وسع اكتشاف آلة البرونز ان يقود الى اضهاد المرأة .

كما ان انجز لا يفسر الصفة الغامضة لهذا الاضهاد . فقد حاول ان يعزو التعارض بين الجنسين الى خلاف طبقي . صحيح ان تقسيم العمل على اساس الجنس والاضهاد الذي ينجم عنه يذكر بتقسيم العمل

في نفس النقاط . إلا انه لا يمكن الخلط بينهما . فلا يوجد اي اساس بيولوجي في التقسيم الطبقي . ذلك لان العبد يشعر اناء العمل بالعبء الشديد . والبروليتاريا الشاعرة بوضعها تشكل تهديدا مستمرا وتهدف الى القضاء على نفسها كطبقة .

ان وضع المرأة مختلف جدا وخاصة بسبب الحياة والمصالح المشتركة التي تربطها بالرجل ، وبسبب المشاركة التي تلتقيها ضمن ذاتها . فلا تسخط نفسها عن ثورة ولا يمكن لها ان تقضي على نفسها كجنس ، بل تطالب فقط بالقضاء على النتائج المرتبطة بالجنس .

والخطر من ذلك ايضا ، انه لا يمكننا اعتبار المرأة كعامة فقط دون ان نكون مفرضين . ان وظيفتها في التوالد مهمة مثل طاقتها الانتاجية سواء في الاقتصاد الاجتماعي او في الحياة الفردية وهناك فترات يجدي فيها اكار الفرقة اكثر من العمل بالمرح .

ان الاخلاق الامتراكية حقا ، اي الاخلاق التي تبحث عن العدالة دون ان تقضي على الفردية ، ستجد نفسها في مأزق امام المسائل التي يثيرها وضع المرأة . فالمرأة لا تحتر في المنية الجنسية وفي الامومة زما وقوة بل قيما جوهرية . وعبث تعاول للفرقة المادية الضلالية تجعل الفرقة الجنسية واعتبارها كآلية . فلا يمكن تنظيم الفرقة الجنسية بقرارات .

ان الفرقة الجنسية لا يمكن حلها بالوضع الاجتماعي لانها تعبر عن ثورة اللحظة على الزمن والفردية على الجمالية . فاذا ما اردنا توجيهها ، فقد قضى عليها لانه لا يمكن التصرف بالضرورة الحية كما

تصرف بأمانة العاطفة ولا يمكن ترويضها كما ترويض الحرية بالقيود .  
لا يمكننا ان نجبر المرأة مباشرة على إعطاء الفرية ، ان كل ما يمكننا  
هو ان نحصنها في اوضاع تجعل من الامومة الفرج الوحيد بالنسبة  
لها : فالقانون والاعراف نجبرها على الزواج ويمكن منع الوسائل  
المستخدمة ضد الحمل كما يمكن منع الطلاق . في احدى الخطب في  
الاتحاد السوفياتي طلب الى المرأة ان ترضعها لتستهي زوجها .  
لرى من ذلك ان من السهيل اعتبار المرأة قوة مولدة فقط ، انها بالنسبة  
الى الرجل شريكة ، ومولدة ، ومناخ الشهوة ، انها الطرف الجنسي  
الاخرى ومن خلالها يبحث الرجل عن ذاته . ومينا تحاول النظم الموجبة  
منع التحليل النفسي والاعلان بان المواطنين المنضمين بالخلاس تحت  
راية الصناعة لا يعرفون لثاسي الفردية . الحياة الجنسية تجربة لا يتكلف  
فيها ما هو عام بنا هو فردي . وبالنسبة الى اشتراكية ديوقراطية تولد  
فيها الطبقات لا الافراد يحافظ مسألة المصير الفردي على اهميتها ويبقى  
للتمايز بين الجنسين أهمية ايضا لان العلاقة الجنسية التي تربط المرأة  
بالرجل ليست مثل العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة والعلاقة التي تربط  
المرأة بالطفل ليس لها اي شبة .

لا يمكن ارجاع المسألة التي تربط المرأة بالطفل الى اية مسألة اخرى .  
ولا تعني المطالبة لها بكل حقوق وكل فرص الكائن الانساني وجوب  
الانضاء عن وضعها الخاص . وفي سبيل معرفة هذه المسألة ينبغي تجاوز  
المادية التاريخية التي لا ترى في الرجل والمرأة سوى كيانات اقتصادية .

وقد يغسر عالم التحليل النفسي كسل المطالب الاجتماعية للمرأة

كظاهرة «احتجاج رجولي» . وبالعكس ، لا تعبر نورتها الجنسية ، بالنسبة الى الماركسية ، الا عن وضعها الاقتصادي بصورة متفاوتة التطيد . ان كل هذه التصنيفات عاجزة عن الاحاطة بامراءة فعلية حافية . فمراء الناس الفردية وتاريخ الانسانية الاقتصادي ، يوجد اساس وجودي يسمح وحده بنهم هذا الشكل الخاص ، هذه الحياة في وحدانيتها وفرديتها .

ان قبة مدرسة فرويد تنجم عن ان الكائن جسم ، وطريقة اعصابه بنفسه كجسم ادام الاجسام الاخرى لتلخص وضعه الوجودي لتلخيصا موضوعيا . كما ان الصحيح في الماركسية هو ان رغبات الكائن الحي تأخذ شكلا محسوسا بحسب الامكانيات المادية التي تعرض له ، خاصة تلك التي يؤمنها تقدم التنكيت . الا انا اذا لم تطف بها مجبوع الواقع الانساني فان العزوة الجنسية والتنكيت وحدهما لا يفسران شيئا . لذلك يبدو لدى فرويد الموانع التي تطفها «الانا العلوية» والاندفاعات «الانا» كاتباء مسكاة . وفي عرض العجز لتاريخ الاسرة يبدو اهم الحوادث ولائها تتبع فجأة بحسب اعواء صدفعة لافسفة .

انا لا ارفض ، في سبيل اکتفاء المرأة ، بعض مساهمات علم الحياة والتحليل النفسي والمادية التاريخية ، الا ان القوة العطفية والعنصر التاسلي والاداة لا يمكن تعريفها الا في عالم من القيم .

القسم الثاني

## نظرة تاريخية

لقد كان هذا العالم دائما عالم الرجال ، وكل الاسباب المظنة لذلك بدت لنا غير كافية . على اننا نستمكن من ان نفهم كيف تشكل التسلسل والتميز بين الجنسين اذا ما فحصنا معطيات فترة ما قبل التاريخ ، وعلم الاجناس البشرية ، على ضوء الفلسفة الوجودية .

يتا سابقا ان التقاء مجسومتين بشريتين تدفع كل واحدة منهما الى بسط سيادتها على الاخرى . فاذا كان لكلتاهما امكانية ابداء هذا الطلب حصلت بينهما علاقة متبادلة دائمة التوتر سواء في الصداقة او العداوة . فاذا كانت احداهما متميزة تفوقت على الاخرى وعطت على ابدائها مضطهدة .

وطبيعي ان يكون للرجل ارادة التحكم في المرأة ، ولكن ما الامتياز الذي اتاح له تحقيق هذه الارادة ؟

تضارب المعلومات التي يقدمها علماء الاجناس البشرية عن الاشكال البدائية للمجتمع البشري تضاربا كبيرا . ومن الصعب خاصة ان تكون فكرة عن وضع المرأة في الفترة التي سبقت مرحلة الزراعة . ولا يمكننا ان نعرف فيما اذا كان نمو عضلات المرأة وجهازها التنفسي مساويا لنمو عضلات الرجل وجهازه التنفسي . فقد كان يعهد اليها بالاعمال الشاقة ، خاصة انها كانت هي التي تحمل الاحمال ، على حين كان الرجال يقفون طيبي الايدي ليؤمنوا الدفاع عن القافلة . على ان النساء كن في كثير

من الحالات من القوة بحيث كن يساهمن في الحضات الحرية ويبدن  
من ضروب الشجاعة والقسوة ما يضاهي الرجال .

بالرغم من ذلك . يحتفل ان الرجال كانوا سابقا كما في الوقت العالي  
متبرين ، بالقوة الجنسية . مثل هذا النوع كان في المصور البدائية  
بالغ الاهمية دون شك .

ومما كان من امر قوة المرأة آنذاك فان والبيات التناسل كانت  
تشكل بالنسبة اليها عائقا كبيرا . ويحكى ان النساء الحاربات في القديم  
كن يقطن الداهن ليتخلصن من الامومة . وكن يعلجوا الي حياة  
الحاربين في سبل اقاء شر العدو وضمان معيشتهم ومعيشة اولادهم .  
وكان من شأن تكرر الحمل والوضع ان يأخذ اكبر قسط من قوتهم  
ووقتهم .

هذا امر له اعيتة العظمى . فبداية الجنس البشري كانت شديدة  
المعوية . وكانت شروط الحياة شاقة على حين كانت المرأة تخلق حاجات  
متزايدة بانجابها الاطفال انجابا متواسلا . لئن كانت المرأة ضرورية لبقاء  
النوع فانها كانت تعظمه النسل بكثرة وكان على الرجل ان يحقق التوازن  
بين تكاثر النسل والانتاج .

لم تكن المرأة ، اذن ، تلعب دور البويضة امام الحيوان الثوي ،  
بل كانت تساهم في مجهود الجنس البشري للبقاء فقط ، وبفضل الرجل  
كان هذا المجهود يكفل بالنجاح النطفي .

ما دام التوازن بين الانتاج والتناسل كان يتحقق ، ولو كان ذلك  
اعيانا عن طريق قتل الاطفال والتضحيات والحروب فان الرجال والفساد



معا كانوا ضروريين بالنسبة الى بعضهم فيما يتعلق ببقاء الحياة الجماعية . بل يمكننا ان نقترئ ان دور الرجل الحربي والعناني كان تابعا في اوقات النعومة والرخاء لدور المرأة كأم . الا ان الانسانية لم تسمح للنساء باحتلال المقام الاول حتى في اوقات الحاجة القصوى الى التوالد . والسبب في ذلك ان الانسانية ليست نوعا طبيعيا فقط ، وانها لا تتناول الديمومة كنوع ، وان هدفها ليس التوقف والجمود . ان الانسانية تميل الى التجاوز وتنجح الى الارتفاع .

لم تكن الجماعات البدائية قط تهتم بالنسل اذ كانت غير مرتبطة بالارض ولم يكن لديها فكرة عن الديمومة . ولم يكن افرادها يعرفون على اخصهم من خلال ذريتهم بل كان الاطفال يشكلون عينا قتيلا بالنسبة اليهم . لذلك لم تكن المرأة التي تنجب طفلا تعرف الكرامة المرتبطة بالجاب الذرية . الا ان اهمية الطفل ارتفعت فيما بعد . ولكن الانجاب والارضاع ، على كل حال ، ليسا انواعا من النشاط بل وظائف طبيعية لا تستدعي تخطيط الاهداف وتصميم المشاريع . لذلك لم تكن المرأة تجد في نفسها دائما على تأكيد افعال لوجودها . بل كانت تتلقى مصيرها البيولوجي تلقيا سلبيا . اما الاعمال المنزلية النشطة بها فتتفق مع اعباء الامومة وتنصف بالرعاية والجمود دون ان تلج شيئا جديدا . اما الرجل فيختلف في وضعه اختلافا جذريا . انه لا يفتني الجماعة كما تفعل النحل ابي نشاط حيوي بسيط ، بل بالتجوء الى افعال تنسج بوضع الحيواني . هكذا كان الرجل مبدعا منذ البداية . وفي محاولاته الاستحواذ على ثروات العالم كان يضم العالم كله اليه . وكان يحس في هذا العمل يمدى سلطته . كان يفتح الاهداف وينهد المستقبل . وفي عطشه

الانثائي لم يكن يسعى للإبقاء على عالم معين بل كان يفجر الحدود ويرسي قواعد مستقبل جديد معرضا حياته للخطر . فكانت شبت بذلك ان الحياة ليست الهدف الاساسي للانسان بل ينبغي لها ان تخدم غايات اعم من الحياة نفسها . ولا يرضع الانسان عن مستوى الحيوان لانه يعطى الحياة وانما لانه يعاشر بحياته .

انما لسك هنا بفتح الفز كة . في مستوى البيولوجيا يقوم النوع بالتوالد الا ان هذا الخلق لا يشكل سوى تكرار للحياة نفسها في صور مختلفة لما الانسان فيجاوز الحياة بتأكيد الوجود وبهذه التجاوزة والتسامي يطلق قينا تكرر على التكرار فينته . ان الذكر الانثائي ، بعكس الحيوان ، ان يحترم النوع بغير وجه العالم فيخلق ادوات جديدة ويبدع ويربي للمستقبل . وهو حين يؤكد نفسه كسيد يقضى مشاركة واسهاما من المرأة نفسها لانها لها هي ايضا كائن،ويكمن فيها التجاوز وهدفها ليس التكرار بل السمو الى مستقبل آخر . وانها تنجد في اعناق نفسها لتأكيدا لادعاءات الذكور . ان مصيبتها تكمن في انها فطرت من الناحية البيولوجية لتكرار الحياة على حين ان الحياة في حينها لا تحلل معها اسباب وجودها . المرأة هي ايضا تعرف القيم التي يقوم الذكر بتحقيقها بصورة فعلية ، والحقيقة ان النساء لم يجابهن قيم الرجال بقيم اثوية . والرجال الرقبون في ابقاء ميزات الذكور هم الذين خلقوا هذا التقسيم . لقد سمحت لنا النظرة الوجودية ان نهم كيف ادى الوضع البيولوجي والاقتصادي للجماعات البدائية الى تسلط الرجل . فالمرأة أكثر خضوعا من الرجل لمستلزمات النوع . وقد حاولت الانثائية دائما التحرر من مصيرها النوعي ولما اخترعت الاداة اسبغت اداة الحياة

بالنسبة الى الرجل نشاطا وهدفا على حين كانت المرأة تبقى في مرحلة الامومة والحمل مفيدة بجسدها مثل الحيوان . ولما كانت الانسانية تفضل على الحياة بالذات ان يكون لها اسباب للحياة فان الرجل نصب من نفسه سيدا امام المرأة . وهدفه الانسان ليس ان يتكرر عبر الزمان بل ان يسود على الحاضر ويجهد للمستقبل . ان نشاط الذكور الذي خلق القيم جعل الوجود نفسه كقيمة وفهر قوى الحياة المتخبطة واخضع الطبيعة والمرأة .

ينبغي لنا الآن ان نرى كيف تطعد هذا الوضع وتطور خلال العصور، وما هو المكان الذي خصصته الانسانية لاحد جزئها ، هذا الجزء الذي تعدد ضمن ذاتها «كجنس آخر» ! ما هي حقوقه المسلم بها ؟ وكيف حددها الرجال ؟



كان مصير المرأة ، كما رأينا ، قاسيا جدا في الجماعات الاولى . وكانت النساء احيانا مستثمرات من ناحية التناسل حتى الامياء من قبل سيد مستبد ولا سيما في فترات حاجة الجماعة الى امكانيات المرأة لرد الاخطار الداعية . ومن المؤرخين من يدعي ان تفوق الرجال في مثل هذه الفترات كان اقل بروزا . والحقيقة ان هذا التفوق كان جزءا من العيش غير مقصود . فلم تكن الجهود تبذل للتعويض عن جهدها او لتكبح جماحها كما حدث فيما بعد ضمن النظام الابوي . ولم تكن هناك نظم تؤكد عدم التساوي بين الجنسين لان الملكية والوراثة والحقوق كانت مجهولة . اما الدين فكان محايدا والاله المعبود لا جنس له .

وقد استقر الرجال في الأرض وصاروا يعملون في الزراعة ، بدأت  
النظم والحقوق بالظهور . فلم يعد الرجل يكتفي بجراحة القوى المادية  
بل شرع يعبر عن ذاته من خلال الصورة التي يفرسها على العالم . أخذ  
الرجل إذن ينكر في العالم وفي نفسه . في هذه الفترة أخذ التنابر الجنسي  
ينعكس في تكوين الجماعة ويكتسب مظهرا خاصا . ففي الجماعات  
المتعمدة على الزراعة ، بدأ الرجل يطلع على المرأة ، في اغلب الأحيان ،  
سحرا استثنائيا وقيمة خاصة . ويمكن تفسير هذه القيمة بصورة خاصة  
بالقيمة الجديدة التي صارت للولد في حضارة تعتمد على الكدح في  
الأرض . فالرجال ، إذ يقسمون في الأرض ، يحققون امتلاكهم لها .  
وظهرت الملكية للخاصة وهي تتطلب من المالكين ذرية ، حينئذ أصبحت  
الأمومة مقدسة ، لم يكن هذا يعني ان المرأة كانت تخص كل الرجال بل  
لم يكن للرجال والنساء معا من كيان اجتماعي وديني واقتصادي الا  
كجماعة . اما فرديتهم بقيت واقفا بيولوجيا صرفا . ولم يكن للزواج ،  
بغض النظر عن اشكاله ، اي قيمة نفسية . ولم يكن ينجم عنه اي عبودية  
بالنسبة الى المرأة التي كانت تبقى مرتبطة بعشيرتها .

ولئن كانت القبائل الجوارية (البدوية) لا تعرف الا اللحظة الألية  
ك مفهوم فإن الجماعة الزراعية استعاضت عن اللحظة بمفهوم مرتبط  
بالماضي ومطل على المستقبل . واخذت الجماعة تشعر بوحدتها وترغب  
في تسيده وجودها الى المستقبل فعرفت نفسها في الامتثال .

الا ان اكثر الانواع البدائية كانت تجهل دور الأب في الانجاب  
فالاولاد بالنسبة اليهم ينحطرون من روح الجدود المتمصة في جسم  
المرأة . اما المرأة فضرورية للانجاب لذلك اخذت تلمح دورا اوليا .

وكثيرا ما كان الاولاد يسمعون عشيبة امهم واخذت الملكية الجماعية تنتقل من خلال النساء ، بل ان النظام القائم على الام يتميز بتشبيه المرأة بالارض والربط بينهما . لذا عن طريقها تدوم الحياة .

في هذه المرحلة لم يكن الرجل يشعر بقوته بل يحس بنفسه سلبيا معلقا بالطبيعة التي تهب الموت والحياة . مثل هذه المعتقدات لا تزال سائدة حتى يومنا هذا عند بعض القبائل المتأخرة .

\* \* \*

لا يرضى الرجل نفسه ابدا الا اذا وعى هذا «الجنس الآخر» . ولا يكتفه العالم الا من خلال الازدواج الذي ليس له سفة جنسية في البداية . ولما كانت المرأة مختلفة عن الرجل الذي يعتبر نفسه الاصل قالها تصنف في زمرة «الجنس الآخر» . وان ذلك ليزداد وضوحا بازدياد دورها . حينئذ تظهر «الآلهة-الاشي» التي تعبد من خلالها فكرة الخصب . هذه الآلهة تصنف بالتقلب والقسوة شأنها في ذلك شأن الطبيعة ، وقد اطلق عليها اسم «عشتار» في بابل و «ايزيس» في مصر . . . . . وانما كانت هذه المرحلة لم تترك لنا ادبا فان المرحلة الابوية تحفظ في اساطيرها وتحاليلها ذكريات عهد كانت النساء فيه تحتل مكانا عاليا جدا .

هذه الوقائع ادت الى الفراض وجود سيطرة حقيقية للنساء في الازمنة البدائية . وقد عرض هذه الفرضية (باشوفين) ثم اخضعها عن (الجلز) واعتبر الانتقال من عهد سيطرة الام الى السيطرة الابوية «الانكسار التاريخي الكبير للجنس النسائي» . والحقيقة ان هذه الفترة الذمعية من تاريخ المرأة ليست سوى اسطورة .

لذا قلنا ان المرأة كانت «الجنس الأخر» بمعنى ذلك انه لم تكن بين الجنسين علاقة متبادلة : فالارض والام والآلهة لم تكن شبيهة بالرجل بل كانت من طينة اخرى ، اما المجتمع فكان دائما مذكرا والسلطة السياسية كانت دائما في أيدي الرجال .

ان نظام القرابة يحدد العلاقات بين فئتين من الذكور . ولا يرتبط الوضع العملي للمرأة ، بصورة عقلية ، بهذا النوع من الحقوق او ذلك . وتذهب المرأة غالبا لتعيش في بيت زوجها وهذا ينتمي لابرار انطوية الذكر . ولما كانت تعالظ على اولادها بجانبها فعنى ذلك ان التنظيم الارضى للقبيلة كان مبائنا لعلاقتها الطوطية . ومن الطبيعي ان تكون العلاقة الاولى اقوى من الثانية .

وفي النظم الانتقالية ، يلاحظ وجود نوعين من الحقوق متساويين ! حقوق دينية وحقوق مستتة الى شغل الأرض . ولا يعود الاولاد الى عشيرة الاب ولكن هذه العشيرة هي التي تغذيهم وتربيهم . لذلك ينشأ بين الزوج والمرأة والاموال علاقة سكن مشترك ومصالح مشتركة وحضان متبادل . وتكون العلاقات بين هذه العائلة والعشيرة الطوطية معقدة كما يشهد بذلك اختلاف مقوس الزواج . على ان التوازن بين الوقائع الفيزية والاقتصادية لم يكن مستقرا وحينما تنجح الفرصة للرجل فانه يؤكد نفسه كآب . لذلك يسيل كل مجتمع الى شكل ابوي حينما يسمح التطور للرجل بان يشعر بذاته ويفرض ارادته .

كان سحر المرأة في عين الرجال يأتيها منهم الضميم . فهم يركعون امام ذلك «الجنس الأخر» ويعبدون الآلهة الام . ولكن هذه الآلهة ، مهما بلغت من القوة ، تبقى وليدة مفاهيم من صنع الرجال .

تبقى المرأة في حالة الجسد ولا تجسد من المجتمع الا تابعته الساكنة  
المغلقة على نفسها ، في حين يتابع الرجل احتكار المهام التي تفتح له في  
المجتمع المجال على الطبيعة وعلى كل الجماعة البشرية .

ان العروب والصيد من شأنها توسيع افق الوجود وتحقيق خطوات  
الى الامام نحو العالم ، والذكر وحده يبقى مجسدا لهذا التجاوز  
والارتقاء . ولئن لم تتوفر له الوسائل ليتسلط تسلطا تاما على الام -  
الارض ، الا انه يحاول الاتصال عنها والاعتناق التدريجي منها .  
والامتناع عن الزواج من الاقارب يكتسب منذ القدم بالنسبة للام نفس  
المعنى اي انه تعبير عن الرغبة في الاتحاد مع التباين المختلف فالخطف  
وكل مظاهر العنف تأكيد للمطابقة والتباين . اما انخفاض قيمة المرأة  
فيشكل مرحلة حتمية في تاريخ الانسانية لان المرأة كانت لجسد الافاز  
المغلقة الكامنة في الطبيعة . فيقتدار ما يتحرر الرجل من الطبيعة يتحرر  
ايضا من المرأة . والذي سمح للرجل بتزود الارض والتمكن من ذاته هو  
الاتقال من عصر الحجر الى عصر البرونز .

يبدو المزارع عاجزا ككل العجز امام تقلبات الطبيعة . اما الصانع  
فيستطيع ان يكيف الآلة بحسب رغبته وان يفرض عليها يديه صورة  
اهدافه ومشاريعه . ان الرجل ، حين يخضع الطبيعة التي تقاومه ، يؤكد  
ذاته ويشعر بنفسه كإرادة مستقلة ذات سيادة . ويشعل في نفس الوقت  
كيف يتحمل المسؤولية لان يكيف الآداة برهن ارادته ومهارته . حينئذ  
تصبح القيم القبيية في المقام الثاني بينما تزهى المسائل العملية الى المقام  
الاول . صحيح ان الانسان لم يتحرر نهائيا من الآلهة الا انه يفصلها عنه  
اذ يبدأ بالاتصال عنها ، ومن خلال العلاقة بين يده النتيجة والسطع

المصنوعة كان الرجل يتوسر بتجربة الطبيعة مما جعل ظهور الحساب  
والمنتقى مسكنا . وانقلبت بالتالي صورة العالم وأسا على عقب .

كان تأليه المرأة مرتبطا بالزراعة . اما الانسان الذي بدأ يعمل في  
الصناعة فقد دشّن عهد امكان الانتصار على الزمن والمكان ، وعهد  
الضرورة والاهداف والمشاريع . لم تكن المرأة معبودة من الرجل الا  
عبادة خوف فلم تكن عبادته عبادة حب . ولم يكن توسعه استكمال  
ذاته الا بتحررها من صفاتها الالهية . لذلك اتخذ يعتبر المبدأ المذكور  
«التذكير» اساس التوبة المبددة والنور والفهم والنظام .

هكذا ظهر بجانب الالهة - الام ، اله ولد او حبيب . كان في البداية  
اقل منها ولكنه يشبهها ويشارك معها ويجسد هو ايضا مبدأ الخصب .  
ان هذا يدشن ظهور الالهة المزدوجة : في مصر ايزيس وحوروس ، وفي  
فينيقيا عشتروت وادونيس . بعد ذلك خلعت الام الكبرى عن عرش  
الالهية واسبح الاله الذكر هو الأساس .

لم يكن انتصار نظام امتياز الابوة نتيجة لسدفة طارئة او ثورة  
عاصفة . فبند نشأة الانسانية انحلت للذكور ميزاتهم البيولوجية ان  
يؤكدوا انفسهم كسادة ومدعم وهم لم يتخلوا قط عن هذا الامتياز .  
الا انهم تخلوا جزئيا عن وجودهم وقسموه في الطبيعة والمرأة وقسا بعد  
استرجعوه . ولما كان محكوما على المرأة ان تكون «الجنس الثانوي  
لاخر» فقد حكم عليها ايضا ان لا تمتنع بالسلطة الا بصورة مؤقتة .  
وهي لم تصطف لنفسها ان تكون معبودة او مستعبدة . ومكان المرأة  
في المجتمع لم يكن الا المكان الذي خصصه الرجال لها ، ولم تفرس ، في  
اي زمن من الازمان ، قانونها الخاص بنفسها .



لم تعرفه الأزمنة البدائية ثورة تضاهي استقبال الانتساب الى الام  
بالانتساب الى الاب . فقد استحوطت الام نتيجة لذلك ، الى مرضع  
وخادمة اما سلطة الاب فازدادت وسوخا . هو الذي يتمتع بالحقوق  
ويورثها من بعده .

ها هو ذا يعلن على لسان ابولون :  
« ليست الام هي التي نعلمت ما يسى طفلها . فهي ليست سوى  
مغذية للبيضة الموضوعة في احشائها . اما الرجل وعده فهو الذي يحنث  
الطفل » .

لذلك لم تعد المرأة سوى عيدة ، بعد ما كرست للانجاب والاعمال  
الثأوية ، وبعد ان رفعت عنها اهميتها العظيمة وسحرها الغيبي » .  
وقد صور الرجال هذا الانتصار كنهاية لصراع عيب . فمثلت  
الاساطير الآشورية والافريقية انتصار قوى الرجولة في عالم الطبيعة  
والافلاك » .

والحقيقة ان الانتقال الى الحق الايوي جرى بصورة بطيئة . ولم  
يكن هناك صراع او ظفر او تكسار . على ان هذه الاساطير تخفي  
مغزى بعيد الدلالة . فالعلاقة مع «الجنس الآخر» اخذت شكل مأساة  
فقد أكد الرجل نفسه كمنعص ، ذي كيان حر ، لان وجود «الآخر»  
تهديد وخطر .

لذلك نرى الديانات القديمة ومجموعات القوانين تنظر الى المرأة  
نظرة عدا . لان هذه الديانات ظهرت وسجلت في عهد انتصار حق الابوة .  
من الطبيعي ان يكون الوضع المخصص للمرأة وضع الحاق وتبعية .

وقد يخيل للبنا انهم نظروا اليها نظرة حسنة كما ينظرون الي الطفاهم ومواشيهم ولكن مثل هذا الامر لم يحدث اطلاقا . كان المشرعون الذين نظروا انطهاد المرأة يشعرون تجاهها بالخوف ، لذلك استحال من مقدسة الي دنسة .

فالمرأة اذن ، تعني السلبية العاكسة للنشاط ، والتمدد المهدي للوحدة ،  
والمادة المقاومة للقاعدة ، والفوضى المناوئة للنظام .

يقول فيثاغورس :

«هناك مبدأ غير انثى من النظام والنور والرجل ، ومبدأ شر خلق  
الفوضى والظلمة والمرأة» .

على ان الشر ضروري للخير ، والمدة للتفكر ، والليل للنهار . والرجل  
يعلم جيدا انه بحاجة الي المرأة لطهي شهواته ويديم وجوده . فلا يد  
اذن من جسمها الي المجتمع . لذلك تستطيع المرأة ان تظهر من دنسها  
الاسلي بالخضوع للنظام المشرع من قبل الرجال .

تقول قوانين الديانة المانوية :

«تكتسب المرأة المتزوجة شرها نفس خصائص الزوج كالتبر الذي  
يضيق في المحيط» .

لما الديانة المسيحية فرغم بغضها الجسد ، تحترم العذراء والزوجة  
العفيفة الطيبة .

هكذا بقيت المرأة خاضعة لارادة الرجل حتى اليوم تجعل منها التبعية  
التامة للرجل مجرد شيء من الاشياء على ان «الجنس الآخر» يبقى مع

ذلك محافظا امام الرجل بسعده الاسلي . فكيفه يستطيع الرجل ان  
ان يجعل من الزوجة خالعة ورقيقة في نفس الوقت . هذه مسألة حاول  
حلها باشكال مختلفة خلال العصور مما احدث تطورا في مصير المرأة .

\*\*\*

بما ان المرأة خلعت عن عرشها الالهي بحلول الملكية الفردية فقد كان  
مصيرها مرتبطا خلال الزمن بهذه الملكية . وان تاريخها يختلط اختلاطا  
بعيدا بتاريخ الميراث . وتصبح اهمية هذا النظام مفهومة اذا تذكرنا ان  
الملك يقمص وجوده في الملكية وتمسك بها اكثر من حياته . فهي تجاوز  
نطاق الحياة المحدود وتجسد الروح الخالدة .

لذلك يرفض الرجل ان تشاركه المرأة في املاكه واولاده . على انه  
ليس يوسع دائما ان يفرض مثل هذه الرغبة فرضا كليا دائما . ولما كان  
بالغ القوة في عهد السلطة الابوية فقد خلع عن المرأة كل حقها في الامتلاك  
وانتقال الملكية ، ومن المنطقي ان يشكر عليها ذلك . اذ لم تعد المرأة تعار ،  
حين الزواج ، من عشيرة الى اخرى ، بل سارت تفصل اتصالا جذريا  
عن عشيرتها وتتحق بعشيرة زوجها اما اولادها فيتبعون اسرة الزوج .  
لذلك حرمت من الميراث ، وبما انها لا تملك شيئا فانها لا تكتسب صفة  
الشخص بل تصبح جزءا من املاك الرجل حتى ان الاب يستطيع قتل  
بناته بعد الولادة . واذ قبل بالاقتناء طبعين فانه يعبر عن سخائه . والمرأة  
لا تدخل هكذا في المجتمع الا اذا من عليها الرجل بذلك ، ولما كانت  
المرأة كالمستاع فقد كان حق الرجل ان يتزوج بقدر ما يشاء، تبعا لامكانياته  
الاقتصادية ، كما من حقه ان يعجز المرأة حسب هواه . وعلى العكس

من ذلك ، فانه يطلب من المرأة عفة تامة .

حين تكون الاسرة والملكية الفردية اساسا للمجتمع دون اعتراض  
تكون المرأة عديمة المركز . وفي النظم التي تجعل المرأة تحت الرقابة ،  
يشير وضع الارامل مشكلة . فقد يفسر الى التخلص منها بضحيتها فوق  
غير زوجها الا انها توضع في الحب الاحيان تحت تصرف ورة الزوج .

الا ان الحق الابوي لم يكن يطبق بصورته المطلقة . فقوانين  
سوراني مثلا تهر للمرأة بعض الحقوق . فتأخذ حصة من ارض الاب  
وحين تزوج يقدم لها والدعا بالثة . الا ان خير وضع للمرأة كان في ممر  
القديسة . على ان ذلك لم يكن نتيجة للمصدقة ، فقد كانت الارض تابعة  
للنك والبيات العليا ، اما الطبقات الدنيا فلم يكن لها الحق في التملك  
بل يحق لها التمتع والاستثمار ، وليس الاملاك والاراضي موقوفة .  
لذلك حافظت المرأة على مقامها كشخص لان الاملاك الفردية لم  
موجودة . وفي اليونان كانت العادات قريبة العادات من الشرفية . الا  
انهم لم يكونوا يطبقون تعدد الزوجات . كانت المرأة في اينا فاصرة  
طيلة حياتها حيث يظل زوجها وصيا عليها والا فانها تقع تحت وصاية  
الدولة مشة في الموظفين الباقين .

كان اضهاد المرأة يرجع الى الرغبة في تغليد الاسرة والمحافظة على  
الاملاك فسقار ما تحرر المرأة من الاسرة تتحرر من التبعية . فذا انكر  
المجتمع الملكية الفردية والاسرة بالتالي ، فان حظ المرأة يتحسن تحسنا  
كبيرا . ففي مدينة سبارطة الغاضمة لنظام المشاع كانت المرأة معادلة  
لرجل تماما . وكانت الفتيات يربين مثل الصبيان .

وقد عرفت الشعوب البدائية البقاء المقدس • يروي هيرودوت ان المرأة في بابل كانت مضطرة ان تستسلم مرة في حياتها ضمن للمبد • ثم استحال البقاء المقدس الي بقاء قانوني حين وجدت طبقة الكهنوت فيه وسيلة للافتتاح • ففي الجزر اليونانية مثلا :

كانت التوسمات يستسلمن للقرناء • اما الاموال المحصلة فكانت تخصص للعبادة اي للكهان وبصورة غير مباشرة لتأمين مصاريفهم • وقد جعل صولون من البقاء مؤسسة رسمية فكانت الجوارى الاجنبيات يتفنن ليورهن المهددة اما الأرباح الفائضة فتعود الي الدولة ، ثم انضمت اليهن اليونانيات القفرات •

ان ارسطو يعبر عن الرأي السائد حين يقول :

«ان المرأة مرآة لنفس فيها • وعليها ان تظلم بيتها كناية لزوجها»  
على ان وضعها البسيط لم يكن ليحول دون التعرض بها • يقول هيبولاكس : «لا تعدك المرأة في الحياة الا يومين : يوم الزفاف ويوم دفنها» •

\*\*\*

المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة  
المرأة في الحضارة اليونانية القديمة

<sup>٨</sup> لم يتطور وضع المرأة بصورة متصلة . فالنزوات الكبرى قلبت كل شيء . والحقوق الرومانية نفسها لا كرت بمقاييم جديدة : المسيحية . ثم اتصرت في الصور التالية قوانين البرابرة . لقد قلب الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وتأثر وضع المرأة بهذا الانقلاب . ولا شك في ان الانجيل تضمن نعمة من المحبة دفعت الساكنين والعيبد والنساء الى التسك بالقانون الجديد . وكانت النساء يوم خضوعهن للكنيسة في ايام المسيحية الاولى ، معزولات نسبيا ، وصار بإمكانهن ان يكن شهيذات مثل الرجال . ولكنهن لم يستطعن الاسهام في العبادة الا بصفة ثانوية . ولئن اعتبر الزواج نظاما يتطلب الاخلاص من الطرفين فان المرأة كانت مضطرة الى ان تكون مطهقة العاقا كاملا بالرجل . وقد ارسى القديس بول خاصة مبدأ الحاق المرأة بالرجل استنادا الى العهد القديم والعهد الجديد . وكما تخضع الكنيسة يسوع للتخضع المرأة للزوج .

يقول القديس امبراوز :

وصارت حواء بآدم نمو الخطيئة ولم يبر آدم بعواء نحوها . من قاده المرأة الى الخطيئة من حقه ان يستقبل استبدال الاسياد .  
 ولما شرعت الحقوق الدينية بدا الزوج استجابة للضعف البشري ، فهو لا يتفق مع الكمال المسيحي . واختيارا من غيرفوار السادس ، فرضت العزوية على التس وجرى التأكيد على طابع المرأة الخطر . لذلك لا تقبل الحقوق الدينية سوى نظام البائنة الذي يجعل المرأة قاصرة

بغير حقوق - فلا يحق لها مثلا الشكوى امام العدالة كما لا تقبل شهادتها - وتأثر الإبادة آثارا سببيا بأبواب الكنيسة فتصرح جوستينيان بمجد المرأة كزوجة وكأم يخلصها لوجانب هاتين المهنتين - ويعود قصورها الى الوضع الذي تعثله في الأسرة وليس الى جنسها -

وفي المناطق التي كانت خاضعة للبرابرة ، كانت التقاليد الجرمانية هي السائدة كانت اعراقهم لحرية ، فلم يكنولوا يعترفون برئيس الا ايام الحروب ، اما في اوقات السلم فكانت الأسرة تشكل مجتمعا مستقلا - وكانت المرأة دائما تحت الوصاية الا انها كانت تشارك مع الرجال اشتراكا وثيقا في حياة الأسرة -

امتدت هذه التقاليد حتى القرون الوسطى - بيد ان (الفراك) كانوا في عهد الاسرتين الميروفنجية والكارولانجية يتزوجون بعدة نساء - ولم تكن ثمة حاجة الى الحصول على موافقة المرأة لتزويجها - كما كان الزوج يجرها وفق هواه وكان له عليها حق الموت والحياة وكان يعاملها معاملة الضامة -

كانت المرأة محمية من القانون ولكن على اعتبار انها ملك الرجل وام لاطفاله - اما كمشخص فلم يكن لها اي حق ، واما كأم فكانت تساوي اكثر من الرجل فالمرأة الولود مثلا تساوي ثلاثة رجال احرارا والمرأة العاتر ليس لها اية قيمة -

\*\*\*

ولما ازدادت قوة الدولة لم تعد الوصاية على الاطفال والنساء حقا مرتبطا بالأسرة بل حقا عاما ، واحتكر الملك تدريجيا كل السلطات التابعة

للأسرة . على أنه لم يكن من شأن هذا التغيير أن يؤدي إلى تحرير المرأة .

لعمري ما يميز الحقوق في عهد الانقطاع عن التشابك بين حق السيادة وحق الملكية ، بين الحقوق العامة والحقوق الخاصة وهذا ما يفسر قلب وضع المرأة بين الارتفاع والانخفاض في هذا النظام . وقرينا كثير من الملاحم الشعرية في القرون الوسطى كيف يتصرف الملك أو السيد الاقطاعي في زواج الأراذل والفتيات . هذه الحضارة الغربية لم تكن تحسن تجاه المرأة إلا بالأجزاء . فالقانس لا يتم بالمرأة بل يفضل عليها حصانه .. وفي الملاحم الشعرية ترى النساء يقمن عن بالمبادرة .

ادعى بعضهم ان «الحب الرفيع» الذي ظهر في القرن الثاني عشر في جنوبي فرنسا حسن من وضع المرأة . وكثيرا ما وصف هذا الحب على انه حب افلاطوني . وكان ينس عن عشية الطباع والعادات الرسمية . وكما يقول انجلز «ان الحب بالمعنى الحديث لهذه الكلمة لم يكن يجري قديما الا خارج نطاق المجتمع الرسمي» . وعلى كل ، ليست الافكار والاشعار هي التي تؤدي الى تحرير المرأة . والاسباب مغالطة تماما تحسن وضعها قليلا في اواخر العهد الاقطاعي . ذلك ان سلطة الملك حين ازادت ، رفعت عن النبلاء بعض صلاحياتهم فأخذوا يقررون مثلا امر زواج تابعاتهم .

الا ان العناصر التي كانت تتضافر ضد استقلال المرأة كانت من الكثرة بحيث لم يحدث مطلقا لها الغيت تماما ، صحيح ان ضعف المرأة الجنسي لم يعد يتدخل الا ان تبعية المرأة بقيت مفيدة للمجتمع في حالة



الزواج . لذلك بقيت سلطة الزوج بعد زوال النظام الاقطاعي . وهكذا  
شاهدت نفس التقلص الذي ما يزال موجودا الى الآن . فالمرأة الأكثر  
انحصارا في المجتمع اي المرأة المتزوجة هي التي تتسع بأقل قسط من  
الامتيازات . ولئن كان الزوج وصي الزوجة في عهد الاقطاع ، فان  
بورجوازية حافظت ، حين تشكلها ، على نفس القوانين .

في الحقوق الدينية كما في الحقوق الاقطاعية لا تكون المرأة متحررة  
لا خارج نطاق الزواج . فالنساء والارامل لهما نفس امكانية الرجل . اما  
انما تزوجت المرأة صارت تحت وصاية الرجل الذي يستطيع التصرف  
بثروتها بمجرد الزواج وليس بالاستئذان الى عقد لان مصلحة الاملاك  
تقتضي ان يكون هناك سيد واحد يسهو على ادارتها . وهكذا يفرض  
بالمرأة المتزوجة منذ عهد الاقطاع حتى يومنا هذا ، عبدا ، في سبيل  
الملكية الخاصة . وان هذا يظهر بشكل خاص عند الطبقات الغنية ، اما  
الفقر المتبادل فيجعل من الزواج علاقة متبادلة .

لم تحرر المرأة بفضل النظام الاقطاعي ولا بفضل الكنيسة ، بل  
بالاخرى ابتداء الانتقال من الاسرة الابوية الى الاسرة الزوجية المشتركة  
الصحيحة اعتبارا من الرق .

كان رقيق الارض لا يتكون مع زوجاتهم الا حق التمتع المشترك  
بالمزول والاثاث وادوات المنزل . فلم يكن للرجل اذن اي سبب يدفعه  
الى التسلط على زوجته لانها لا تملك شيئا . وعلى العكس من ذلك ، كانت  
علاقات العمل والمصالح التي تربط بينهما ، ترفع للزوجة الى درجة رقيقة .  
ولما اتى الرق من الفقر . فكان يرى ، في بيوت الرقيق والحرفيين ،  
الزوجان وهما يعيشان على قدم المساواة . المرأة في مثل هذه الحال لا

يمكن ان تكون لا متاعا ولا عاقبا لان هذا بذخ لا يتاح الا للأغنياء .  
ففي العمل الحر ، تحصل المرأة على استقلالها العملي لانها تعود الى  
احتلال دور اقتصادي واجتماعي .

والحكايات العزلية التي تصور المجتمعات البسيطة في القرون  
الوسطى ، مجتمعات الريفين والحرفيين وسفار التجار ، ترى الزوج لا  
يشع بأي امتياز سوى ضرب زوجته التي تعالق قوته بحيلتها ومكرها ،  
فيسبح الطرفان متعادلين . في حين ان المرأة الغنية كانت تدفع بالخضوع  
لن بطالتها .

وفي القرن السادس عشر جرى صبح القوانين الباقية خلال النظام  
الملكي القديم هذه القوانين التي كانت متأثرة بالحقوق الرومانية والتي  
نظر الى المرأة نظرة احتقار . فكانت كل الانهادات التي توجه للمرأة  
كالعاقبة والضعف قد انحلت تماما لتبرير نصوص القوانين الموجبة  
شد المرأة .

عندما كان وضع المرأة الفرنسية في النظام الملكي القديم . كانت  
تبدو في العمل وفي الامومة كغادمة اكثر من رقيقة . اما الانشاء والقيم  
والامثال التي توجد لها المرأة فلا تخصها هي بل تخص الاسرة وبالتالي  
الزوج رب الاسرة .

وفي البلاد الأوروبية الاخرى ، لم يكن حظها احسن ، لان مجسوعات  
القوانين الأوروبية شطرت اعتبارا من الحقوق الكنائسية والحقوق  
الرومانية والحقوق الجرمانية التي كانت جميعها مجعفة بحقوق المرأة .  
كل البلاد اذن كانت تطبق الملكية الفردية والاسرة وتخضع لستلزمات

هذه النظم .

كان من نتيجة استعباد المرأة الشريرة في كل هذه البلاد وجود البغاء . لذلك كانت المؤسسات الموسوعات على هامش المجتمع يفسر بدور اساسي فيه . فالمسيحية تزخرين ولكنها ترفض بين كثير لا بد منه . يقول القديس اوغستين :

«احذروا المؤسسات ، تكلموا المجتمع بالاخلاق» .

كان تنظيم المجتمع اذن يجعل من البغاء ضرورة . يقول سويدهاور :

«البغاء من الضحايا البشرية على مذبح الزواج بوحدة» .

وقال احد مؤرخي الاخلاق الاوربية ، له كي :

«البغاء اعلى لئودج للفجور ، وانتط حراس للفضيلة» .

البغاء مجبرات مثل اليهود في اانيا النازية ، على ارتداء القواب مسيرة تحمل اشارات خاصة .

في مثل هذه الشروط يستحيل على المرأة او من النادر جدا ان تظهر . ففي الطبقات العاملة ، يلقي الاضطهاد الاقتصادي التمييز بين الجنسين الا انه يقضي على كل امل للشخص مهما يكن جنسه . اما عند النبلاء والبرجوازيين فالمرأة مضطهدة كجنس . وبصفتها جنسا آخر ، ليس لها الا وجود طفيفي . فهي محدودة التعليم ويضيق حدوث ظروف استثنائية لتفكر في هدف ملموس تحققه .

قليل ما كان رأي الرجال في القرون الوسطى في صالح المرأة . صحيح ان «الادب الرفيع» يشيد بالحب الا ان الادب المتاخر بالاوساط

اليورجوازية كان يهاجم المرأة ويخيشه على ان اعدى اعدائها هم رجال  
الدين .

وقد طالبت كريستين دويزان في القرن العاشر عشر بالسماح للنساء  
بالتعلم الا ان وضع المرأة لم يتأثر بالعركة الادبية لانه لم يكن هناك احد  
يفكر في اثناء المرأة دورا اجتماعيا يختلف عن الدور الذي كان لها .

\*\*\*

يقال ان الوضع القانوني للمرأة بقي على حاله من مطلع القرن  
الخامس عشر حتى القرن التاسع عشر . الا ان وضعها الفعلي عند  
الطبقات ذات الامتياز قد تطور فالنهضة الايطالية كانت عصر الفردية  
وكانت مناسبة لتفتح الشخصيات القوية بغض النظر عن الجنس . الا  
ان الحرية بالنسبة الى الاكثرية كانت تأخذ شكل الخلاعة . اما الاخلاق  
السائدة فبقيت بصورة عامة على ما كانت عليه في القرون الوسطى ولما  
ازدهار الشخصية فلم يكن ميسورا الا لعدد محدود . حينئذ كانت  
النساء تظهر امكانيات مثل الرجال في حالة تكافؤ القوي . على ان هذه  
القوي بقيت في الواقع غير متساوية .

وفي القرن السادس عشر كانت النساء محدودات التعليم . الا انهن  
تقدمن في الميدان الفكري خاصة ، خلال القرن السابع عشر . فقد  
توسعت الحياة الاجتماعية وازداد دور المرأة في الحلقات الادبية . ولما لم  
تكن مهسكة في بناء العالم فقد كان بإمكانها الاستمتاع بالمعاشرة والفنون  
والآداب . ولم يكن تعليم النساء منقطعا الا انهن كن يحصلن على الثقافة  
عن طريق المحادثات والقراءات والمطالعة الخصوصيين . وفي القرن

الثامن عشر ازدهار استقلال المرأة وحريتها ، أما العادات فبقيت قاسية شديدة فلم تكن الفتاة تأخذ إلا قسطا محدودا من الثقافة ، كما كانت الزوج أو توضع في الدير دون استشارتها .

إن البورجوازية المساعدة فرضت على الزوجة اخلاقا شديدة . أما طبقة النبلاء السائرة الى الانحطاط والانحلال فكانت تسمح للنساء البارزات بالمجون . ثم انتقلت العدوى الى البورجوازية فلم تعد الاديرة او المنازل الزوجية تستطيع إيقاف النساء .

هكذا بقيت الحرية ، للمرة الثانية بالنسبة الى اكثر النساء ، سلبية ومجردة . فكانت محدودة في البحث عن الفتنة . وقليلت كمن الذكيات الطموحات اللواتي طغفن لانفسهن مجالاً للنشاط .

أما حياة الصالونات فقد اصبحت - يقول مونتسكيو - بان كل شيء يمكن عمله في فرنسا بواسطة النساء . حين تشكلن دولة جديدة فليس الدولة .

هكذا كان الميدان القتال ، خلال العهد الملكي القديم ، اقرب مثلا بالنسبة الى النساء . ظهر له ما من احد وصل الى القمة وصارت مثل داته وشكسبير . هذا الامر يفسد بوضعهم العام البسيط . فلم تكن الثقافة سوى امتياز نحظى به بنفس تنظر عن العوائق التي كانت توضع في طريقهم .

\*\*\*

فقد ينتظر البعض من الثورة الفرنسية ان تغير مصير المرأة . لكن لم

حدث شيء من هذا . فالثورة البورجوازية اشترمت النظم والمفاهيم  
البورجوازية وكانت تقريبا من صنع الرجال فقط . ومن المهم ان نشير  
الى ان نساء الطبقات الكادحة ، ابلن العهد الملكي القديم ، كن اكثر من  
غيرهن استقلالاً . وكان ينتظر منهن ان يؤكذن الصنم لأشخاص ...  
الا ان تقاليد الحياة والخضوع كانت تقيدهن . والشعب لم يكن هو  
الذي قام بتوجيه المشروع الثوري ولم يكن هو الذي قطف ثمار الثورة .  
لما نساء البورجوازية فكن مندسجات بالاسرة لدرجة حالت دون لقر  
تضامن فعلي بينهن . ولم يكن يشكلن طبقة قائمة بذاتها تستطيع فرض  
مطالبها ، لأنهن كن طفيليات من الناحية الاقتصادية .

ولن يكون مسكنا للكادحات الحصول على حقوق لم تحصل عليها  
مطلقا النساء النبيلات والبورجوازيات الطفيليات ، الا حينما تسمح  
السلطة في يد الكادحين .

صحيح ان فرنسا كانت متقدمة على غيرها من البلاد من الناحية  
النسائية ، الا ان من سوء حظ المرأة الفرنسية الحديثة ، ان وضعها  
الاقتصادي قد بت فيه في عهد ديكتاتورية عسكرية ، لأن مجموعة قوانين  
نابليون التي تثبت وضعها خلال قرن كامل قد احرقت كثيرا من تحرورها .  
فالزوج يمارس سلطته بشدة على شخص الزوجة واموالها ايضا .

ولم تفعل اجتهادات المحاكم ، خلال القرن التاسع عشر ، سوى  
ترسيخ شدة قوانين نابليون ، لان البورجوازية لم تكن ، في اي وقت  
من الاوقات ، في مثل هذه القوة . ولكنها كانت تترك ، في نفس  
الوقت ، ما تحويه الثورة الصناعية من تهديد لكليتها . لذلك كانت

تبسط نفوذها وهي تحسن بالقليل ، ولم تؤثر الحرية الفكرية المتوارثة عن القرن الثامن عشر في إطلاق الأسرة التي بقيت كما حددها في مطلع القرن التاسع عشر المفكرون الرجعيون الذين طالبوا بمجتمع يسوده التسلسل مع اعتبار الأسرة الغلية الأساسية في المجتمع .

وطالب الفيلسوف (أوغست كوث) بصورة مختلفة اعتقاد مبدأ لتسلسل الجنسين : فبالنسبة إليه تعتبر الإثارة «طفولة مستمرة» تبعد المرأة عن «النموذج المثالي للعرق» يدعوى ان هذه الطفولة البيولوجية تعود الى ضعف فكري . والدور الوحيد لهذا الكائن العاطفي المتفعل هو دور الزوجة وربة البيت ، فلا يمكنها بشكل من الأشكال منافسة الرجل . فهو يقول :

«ولا يمكن للمرأة ان تصبح من زمرة المؤلفين شأنها في ذلك شأن العمال البروليتاريين» ولكنه رفع المرأة الى مرتبة الألوهية في الجزء الثاني من مؤلفه بعد ما تأثر بحب احد النساء .

ويعبر (بالزك) أيضاً عن نفس المثل الاطلاق للمرأة . فهو يقول في «فيزيولوجيا الزواج» :

«ان مصير المرأة ومجدها الوحيد هو في دفع قلوب الرجال على ان تخفق لها» .

والمرأة بالنسبة اليه متاع منقول يحصل عليه عن طريق المتعة . ولا تعتبر سوى ملحق بالرجل . انه ينطق هنا بلسان البورجوازية التي اشتد عدائها للنساء بعد مجيء القرن الثامن عشر وشهد الابتكار التقدمية المهددة لها . ويحث بالزك الزوج على ابقاء المرأة في حالة الخضوع

الناس . وعليه ان يرفض تعليمها وتثقيفها وان يمنع عنها كل ما من شأنه تطوير شخصيتها وان يفرض عليها ثيابا غير مناسبة وان يجبرها على نظام يضعف جسدها .

ولكن بالزناك يروض على النساء ، تجاه ضعف الشدة ، باحاطتهن بكل التصرفات الهذية ، يقول بالزناك :

«المرأة المتزوجة عبدة ينبغي لنا ان نعرف كيف نرفعها على العرشة لذلك يباخر الى تجنيبها الاعمال الشاقة ، وهذا يعني في نفس الوقت اعطائها من كل مسؤولية .»

\*\*\*

على ان هذه المقادير العتيقة لا يسكنها ايلاف سير التاريخ ، فحلول الآلية في الانتاج العام يهدم الملكية المقاربة ويقود الى تحرير الطبقة العاملة وبالتالي المرأة .

ان قضية المرأة تأثرت بالفكر التي تشيد بالمرأة وباسم انوثتها وانثى ان تشيها بالرجل بل قر لها بالجنس والعاطفة دون العقل .

الا ان الحركة الاصلاحية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر كانت مؤيدة للحركة النسائية ، لانها تبحث عن العدالة ضمن المساواة .

وفي هذا المجال يعتبر الفكر «برودون» استثناء للقاعدة . وليس من شك في ان منشأ الرضي قد الرقيه فهو مهاجم سان سيون بشدة وبقي من اصار الملكية الصغيرة وبالتالي طالب باجاء المرأة في البيت . ويظن برودون ان المرأة تتأرجح بين حالتين «انما سيدة بيت او خيالة» .



برودون هو الذي قطع التحالف بين الحركة النسائية والاشتراكية .  
وفي كتابه «المعادلة» يقول بان على المرأة ان تنقل مرتبطة بالرجل .  
والرجل وحده مهم كقود اجتماعي وانه ليس بين الزوجين اشتراك قد  
يفترض المساواة بل العاد .

لم تكن هذه الجدالات النظرية هي التي اثرت في مجرى الحوادث ،  
فالمرأة استعادت الاهمية الاقتصادية التي فقدتها منذ عصور ما قبل  
التاريخ . وخرجت من البيت لتساهم في الانتاج ضمن العامل . والآلة  
هي التي سبعت بهذا الانقلاب لان الفوارق الجسدية بين الذكور  
والاناث اصبحت لانفية في كثير من الاحيان . ولما كان ازدياد الصناعة  
العجائلي يتطلب بندا عاملة كثيرة لا يستطيع الذكور وحدهم تأمينها ،  
اصبحت مساهمة المرأة ضرورية .

هذه هي الثورة الكبرى التي حولت في القرن التاسع عشر مصير  
المرأة وفتحت لها آفاق عهد جديد .

ان ماركس وانجلز يقدران اهمية هذا الحادث ويعدان المرأة بحرية  
نرفضها حرية البرولينارييا . وقد بين انجلز ان مصير المرأة كان دائما  
مرتبطا ارتباطا وثيقا بتاريخ الملكية الخاصة التي استبدلت الحق المرتكز  
الى الامومة بالحق الابوي . الا ان الثورة الصناعية ستعيد الى المرأة  
حريتها السلية .

\*\*\*

كانت المرأة في مطلع القرن التاسع عشر مستثمرة بشاعة اكثر من  
العامل الذكور . وكان ارباب العمل يفضلون النساء على الرجال .

والعبارة الفاتحة : ويمتلئ خيرا من الرجال بأجور الخفضة ، ففي النور  
على مأساة العمل النسوي .

يقول بلانكي :

وفي مدينة ليون ، بعض النساء يشتغلن وهن معلقات مستخدمات  
أرجلهم وأيديهن معا .

وفي عام ١٨٦١ كانت عاملات الحرير يشتغلن في الصيف من الساعة  
الثالثة صباحا حتى المساء ، وفي الشتاء من الخامسة صباحا حتى العادية  
عشرة مساء ، أي سبع عشرة ساعة في اليوم خمس ورشات غير صعبة لا  
تستغل اليها ائحة الشمس أبدا .

وكتب در فيل : « المرأة في هذا اليوم اما حيوان للبطخ او حيوان  
الجره » .

إن عادة الرضا والخنوع وقس التضامن والشعور الجماعي ، إن  
هذه العادة هي التي تركت النساء دون سلاح أمام الأمكانيات الجديدة  
المتشعبة امامهن . ونجم عن ذلك ان القانون انظم للعمل النسائي لم  
يصدر الا في وقت متأخر . كن مضطرات الى قبول بأجور منخفضة  
خاصة انهن لم يكن يعرفن الدفاع عن انفسهن ضد المستثمرين المستغلين .  
ويجدر الملاحظة ان ارتباط المرأة ببيت والدعا او زوجها كان لا يستلزم  
مها الا تقديم عون اضافي . كانت تستغل خارج الأسرة ولكن من اجلها .  
ولما لم تكن تعمل عندها في جميع حاجاتها كانت تضطر الى قبول اجور اقل  
من اجور الرجال .

وبما ان نساء كثيرات كن يرضين بأجور منخفضة فإن المعدل العام

لأجود النساء كان يتكيف مع أدنى حد وانسبه لرب العمل .

ولئن قبل أرباب العمل على استخدام النساء لهذا السبب ، فإن هذا السبب نفسه ولد مقاومة عند العمال الذكور ، لذلك لم ينشأ تضامن مباشر بين قضيتي البروليتاريا والنساء . إن مثل هذا الحادث يجري بصورة مقاربة مع العمال السود في أميركا .

يستعمل أرباب العمل الاقليات الأكثر تعرضا للاستثمار والاضطهاد ضمن مجتمع ما ، كسلاح ضد مجسوم الطبقة التي ينتمون اليها . وهم يظهرون في بداية الوقت كأعداء . وينبغي ارتفاع مستوى الوعي كيما تتجع مصالح السود والبيض ، والنساء والرجال في التضامن بدل التناحر والتناحر .

ولم تستطع النساء الدفاع عن مصالحهن الخاصة والتوقف عن تهديد مصالح الطبقة العاملة في مجسومها ، الا حين انظن في الحياة الثقافية .

\*\*\*

من المسائل الاساسية التي تثار بخصوص المرأة ، التوفيق بين دورها في التنازل وعملها الانتاجي . إن السبب العميق الذي حصر المرأة في العمل المنزلي ، في بداية التاريخ ، ومنعها من المساهمة في تسيير العالم هو استبعادها لوظيفة التنازل . وفيما يخص تحديد النسل ، قلبت الديانة المسيحية المفاهيم الخلقية باعتبارها ان الرقيم ذو روح ، حيثئذ لسبح الاجهاض جريمة ضد الجنين ذاته .

إن تطور وضع المرأة يفسر تضامر العاملين التاليين : المساهمة في الانتاج والتحرر من عبودية التنازل .

فيما يخص الحقوق السياسية فإن المرأة لم تتوصل إليها في فرنسا  
والإنجلترا وأميركا بسهولة . وإن النساء ينتظرن الحرية من تحرر العمال  
بصورة عامة ، ولا يتسكنن بفضيلتهن الخاصة إلا بصورة ثانوية . أما  
البورجوازيات فيطالبن بحقوق جديدة ضمن المجتمع كما هو ، ولا  
يدعين الهن ثورات بل يردن إدخال بعض التعديلات على العادات كالتقاء  
الشرب والكتب الخفيفة والبناء .

والبلاد اللاتينية مثل البلاد الشرقية ، تضطهد المرأة بحكم العادات  
أكثر مما تضطهدها بحكم القوانين . وإيطاليا الفاشستية استعادت المرأة  
للسلطات العامة والزواج . أما في الاتحاد السوفياني فإن الحركة النسائية  
كانت أوسع منها في أي بلد آخر . وقد ابتدأت تلك الحركة منذ أواخر  
القرن التاسع عشر حيث ارتبطت النساء في العمل الثوري أكثر مما  
ارتبطن بفضيلتهن الشخصية . وكانت الثورة هي التي حررت العاملات .  
ومن الصعب استنتاج وضع المرأة الحالي في روسيا من خلال الشهادات  
العاطفية التضارية ، إلا أن الأمر الأكيد في يومنا هذا ، أن السياسة  
العالمية بعد الحرب تقوم على اعتبار الأسرة خليفة المجتمع الأولى والمرأة  
عاملة وربة بيت معا .

\*\*\*

لذا ما القينا نظرة على هذا الاستعراض التاريخي ، ظهرت لنا عدة  
نتائج ، أولها أن تاريخ النساء كأن من صنع الرجال ، لذلك كانت مسألة  
المرأة دائما مسألة رجال . فهم الذين لمسكوا دائما بصير المرأة بين  
أيديهم . ولم يحرروا فيه نبيعا لمصلحتها ، بل اتخذوا بعين الاعتبار أهدافهم

— ٦١ —

الخاصة ومطاوفهم وحاجاتهم . فلم يقدسوا .. الأية .. الام إلا لأهم  
 كانوا يخشون الطبيعة ، وما أن سحت لهم الأدوات المعدنية بتحدى  
 هذه الطبيعة - حتى اوجدوا النظام الأبوي - أن النظام الاجتماعي القائم  
 على الملكية الخاصة هو الذي جر إلى الوصاية على المرأة المتزوجة والثورة  
 الصناعية التي حققتا الرجال هي التي حررت نساء اليوم . والحركة  
 النسائية لم تكن في يوم من الأيام حركة مستقلة ، بل كانت إلى حد ما  
 أداة في يد السياسيين ، والنساء لم يشكلن قط طبقة منفصلة ، والحقيقة  
 انهن لم يحاولن مطلقا لعب دور في التاريخ كسواء . والمفارقة التي تعتبر  
 المرأة كجسد وعبادة . جسد . كجنس آخره هي عذراء . كور لا تعبر  
 يعال من الاحوال عن المطالب النسائية . ان الطلية النساء ترعى بحفظها  
 دون ان تقوم بانه معاولة عمل ، والاول التي حاولن تغيير حالهن والتدخل  
 في مجرى العالم ، فعلى ذلك بالاتفاق مع الرجال ومن خلال وجهات  
 نظرهم .

ان هذا التدخل ، كان لاجالا ، تدخلات ثأريا وعرضيا . فالطبقات  
 التي تنتج نساؤها بشيء من الاستقلال الاقتصادي وتساهم في الانتاج  
 هي طبقات مضطهدة والنساء العاملات كن أكثر تعرضا للاضطهاد من  
 العمال . وفي الطبقات الحاكمة تطلّى نرأة حايلية وهذه الفئة تكون  
 خاصة لتقوانين الرجال . وفي كلا الحالتين كان النضال مستحيلا . ان  
 الحقوق والمعادلات لم تكن دائما متطابقة ، فكان التوازن بينهما يحدث  
 بصورة يستحيل على المرأة ان تكون حرة بصورة فعلية . وفي اوقات  
 تمكك المجتمع ، تنجر المرأة ، ولكنها ان تكف عن كونها تابعة للرجل  
 لا تريح سوى حرية سلبية تأخذ شكل الخلاعة والمجون .

ومهما يكن من تأثير النساء لأن الاسوات النسائية تسكت ، حيث يبدأ العمل الفعلي . فقد استظمت اثاره الحروب ولكنهن لم يوجهن بخطا القتال ، ولم يوجهن قط السياسة الا اذا اخذت هذه شكل مؤتمرات . ان القيادة الحقيقية للعالم كانت دائما في يد الرجال ولم يكن في ايديهن . الا ان ظهور نساء مثل (مدام كوري) اثبتت بوضوح قصص النساء لم يكن هو الذي حدد تاريخهن العادي البسيط بل ان تاريخهن البسيط هو الذي كتب ظهن هذا القصص . وان الاتجازات الشخصية تصبح تقريبا مستحيلة الفئات البشرية القليلة جناسها في وضع منخفض .

ان نساء كثيرات يردن اليوم ان يتصر عندهن ، كما في مجموع الانسانية ، التطور على الجسد وان ينحن اخيرا الحقوق المجردة والامكانيات العقلية التي تضمن الحرية بدون تضارفاها ، نوعا من التمية .

ان هذه الازادة في طور التحقق ، الا ان الفترة التي نمر بها هي فترة انتقال وهذا العالم الذي كان دائما تابعا للرجال لا يزال في حوزتهم ، وان الامر الذي يتحكم بالوضع الحالي للمرأة هو وجود اقدم التقاليد ضمن الحضارة الحديثة التي هي آخذة في التكون . والحقيقة ان وضعها غير متوازن ، ولهذا السبب يصعب جدا التكيف معه . المعامل والبيئات تفتح امام المرأة ولكن الناس لا يزالون يعتبرون الزواج احسن مهنة للمرأة تنبها عن كل مساهمة في الحياة الجماعية .

ولا يزال الامل يربون ابتهم في سبيل الزواج اكثر من ان يشجعوا تطويرها الشخصي . والفتاة ترى في ذلك من المزايا حتى انها تتناهى

لنفسها . ونجم عن ذلك انها تكون غالباً أقل اختصاصاً من اخواتها وأقل اعتماداً بهنتها ، لذلك تبقى أقصر باعاً فيها . حيثئذ تصبح الحلقة فاسدة متلفة فيشوي فيها قصصها الرغبية في إيجاد زوج .

إن العصر الحالي يقتضي من النساء العمل بل يضطرهن اليه ، وفي نفس الوقت يفرهن بالبطالة والمذاتلة . والنساء لا يزالن إلى الآن في حالة التبعية . ونجم عن ذلك ان المرأة تعرف نفسها وتختار نفسها لا على انها موجودة بذاتها بل كما يحددها الرجل . ان كونها «المرجل» عنصر جوهري من عناصر وضعها الواقعي .

صحة المرأة

عبد الله  
عسرة المرزا



ان صورة المرأة النموذجية تلعب دورا مهما في الأديب والحياة اليومية فكل كاتب يعكس في نتاجه امزجة واحوال مجتمعه وخيالاته عن المرأة المثلى الا ان هذه الصورة النموذجية للمرأة تأخذ شكلا مابينما بالنسبة الى كل فرد ، حسب المقام الذي يعطيه لنفسه من حيث التحرر والارتقاء .

فالكاتب «موتزلاند» يعتبر نفسه المثالي المحوم في النساء اما المرأة فتركع عند اقدامه . اما «كثوديل» فالتسبية اليه تقوم المرأة بادامة الحياة في حين يتكفل الرجل بتמיד وثبة الحياة بالاعمال . وعند الشاعر «بروتون» يتمكس التسلسل : فالعمل والتفكير الواعي اللذان يشكلان ميدان تسامي الذكور هما غيبة سطحية تؤدي الى الحرب والحماقة والتكر لما هو انساني . والمرأة وحدها تستحق الاجلال لانها تحمل راية السلم .

اما «ستالدال» فيعتبر المرأة كالرجل من حيث التجاوزة والسور . وفي العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة تستكمل العربات .

\*\*\*

هناك انواع مختلفة للصورة النموذجية . فالصورة التي تتصور باحد الاشكال الدائمة للوضع البشري ، وهو انقسام الانسانية الى فئتين ، هي صورة ساكنة . والانسان يتألف في ساء الغلاطوية واقعا مستمدا

من التجربة يستحيل الى مفهوم . ويستفيض عن الواقع والقيمة والمعنى  
والقانون التجريبي بفكرة متسامية ، واقعة خارج نطاق الزمن ، ثابتة ،  
ضرورة تكتسب صفة الحقيقة المطلقة .

هكذا تواجه الفكرة الصورية الوجود الموزع المتعدد للنساء ،  
بالاشئ الخالدة الفريدة . فاذا ما تناقض تعريف الصورة النموذجية مع  
سلوك النساء الواقعيات فهن المخططات .

نظير النساء في الواقع الملموس بأشكال مختلفة . الا ان كل صورة  
نموذجية تدعى انها فريدة . والنتيجة هي وجود صور نموذجية متعددة  
لا يمكن لها ان تتعاضد معا . اما الرجال فيبتقون حائلين امام التهلل  
الغريب لفكرة الامثلة .

يجب ان نميز بين الصورة النموذجية والندرك المعزى ، فتأمل جسم  
المرأة ومقارنته مثلا بالازدهار لا يعني الانتقال الى الصورة النموذجية .  
اما اذا قلنا المرأة هي الجسد والجسد هو النيل والموت فاننا نقطع عن  
الأرضي .

ان اكثر الصور رسوخا بالاذهان هي فكرة «نظر المرأة» . فلهذه  
الفكرة مزايا عديدة اولها انها تسمح لنا ان نقرر دون جهد ما يستعصي  
علينا تفسيره ، وبدل ان يقرر الرجل بجهله ، يقول بوجود نظر خارج  
شخصه .

الحقيقة ان المعز متبادل . الا ان القاعدة العامة تبين صحيحة هنا  
ايضا فالرجال لا يواجهون الاثياء الا من خلال وجهة نظرهم . انهم  
يجعلون هنا كما في اي مجال ، المبادلة . ولئن كانت المرأة تعزى بالنسبة

الى الرجل فانه ينظر اليها كلفز بالذات .

ان العصور والطبقات التي لها مجال التنوع بالأعلام هي التي نصبت التماثيل السوداء والبيضاء للانونة . صحيح ان اغلب الصور التوضيحية ذات جذور في الموقف العضوي للرجل ازاء وجوده الخاص والعالم المحيط به . الا ان مجاوزة التجربة الى الفكرة التسامية قامت به المجتمعات الابوية عن عمد خادفة من وراء ذلك الى تبرير ذاتها . فمن خلال الصور التوضيحية كانت تفرض على الافراد قوايينها وافتراقها بطريقة صورية محسوسة . ونحت شكل الصورة التوضيحية كان الواجب الجسامي يفرض نفسه في عناصر الافراد محاولا عن طريقها استبدال التجربة الحية وما تستدعيه من احكام حرة ، بصم جامد .

ان الرجل ، في الحقيقة ، لا يفقد شيئا اذا كف عن التعمية واقنع بما اخفاه المرأة تحت الرموز والطلاسم . كما ان تجربته لا يحل بها الفخر اذا رأى في المرأة كلثا سايا . ولا يعني ذلك الغاء الشعر والحب والتغلي عن الأعلام بل يكون من نتيجة ارساء التصرفات والاحساسات على اسس واقعية حقيقية .

## مقدمة

يسعى المؤلفان بعد ان يقدم لهما على السواء على السواء في السيرة الذاتية في هذا  
الكتاب، ليرصد جوانب الحياة الشخصية لهما من خلال ما كتبا في السيرة الذاتية  
التي كتبا في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما

## الكتاب الثاني

من السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما  
في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما في السيرة الذاتية لهما

فإننا نرى حركاتها المتعددة في كل يوم في كل مكان .  
فإننا نرى حركاتها المتعددة في كل يوم في كل مكان .  
فإننا نرى حركاتها المتعددة في كل يوم في كل مكان .

## مقدمة

تسعى المرأة جاهدة في هذه الأيام القضاء على اسطورة العزوبتها . فقد  
أخذت تولد دعائم استقلالها بالنسبة للرجل لكنها مع ذلك لم تستطع  
التوصل الى المتع بكامل كيانها الخاص كالإنسان بشري مستقل إلا بعد  
عناء شديد .

إن المرأة تشأ تفرج وسط عالم تحف به مظاهر الالفوة من كل  
جانب ، في عالم لسوي يكون مصوغا فيه الزواج من رجل تربطها به  
عليا صلة التبعية . ذلك أن سحر الرجولة لا يزال محافظا على تأثيره  
الكبير لدى النساء وما انك يستند على قواعد واسس اقتصادية  
 واجتماعية راسخة .

من الضروري إذن والحالة هذه ان ندرس بنائية المصير التقليدي  
للمرأة كيف تتلقى شروط حياتها الجديدة ، كيف تدرس عليها وفي أي  
عالم تجد نفسها حبيسة ، وما هي وسائل هروبها ومزولها عنه . . . هذا  
ما سأحاول وصفه . وسيكون في وسعنا بعد ذلك ان نقيم المناكرا  
المطروحة امام المرأة ، هذه الاناسة الناشئة التي تزوج تحت عبء  
ورثة ماضي ثقيل ضخم محاولة دون كلل او ملل ان تشق لنفسها طريقا  
جديدا يحررها من عبوديتها .



القسم الأول

# مراحل تكوين المرأة

## الفصل الأول

### الطفولة

لا يمكن لأي علم بيولوجي أو فسيائي أو اقتصادي أن يفرّد بتحديد الشكل الذي ستتخذه الأثني البشرية في قلب المجتمع ، لكن مجموعة الظروف المضاربة هي التي تكون هذا التنوع التوسط بين الذكر والخصي ، الذي تسبب عليه سفة الأثونة عند المرأة . ان الجسد لدى البنات والعنينة لا يخرج عن كونه الأشماع الذي يعبر عن وحدة الشخصية ويبيرها عن غيرها كما انه يشكل الأداة التي تساعد على تحسن العالم وتقمته ، اهم بتحسبون ما يحيط بهم بواسطة العيون والأيدي وليس باعضائهم التناسلية فلا فرق في ذلك بين الطفل والطفلة والفتاة والعنينة . اما مأساة الولادة والمطام ، فانها تدور على الوثيرة ذاتها بالنسبة الى مواليد الجنسين فهم يبدون نفس الاهتمام بالنسبة للأشياء الخبيطة بهم ويشتمون نفس السررات ويكتشفون اسرار اجسامهم نفس الفضول او عدم الاهتمام ويستمتعون نفس المتعة الغامضة من اكتشاف اعضاءهم التناسلية . وفي هذا تسمى الفتاة الصغيرة حتى الثانية عشرة من عمرها الى ان تكتسب نفس متانة الجسم التي يمتلكها اخوتها ، وتم عن لمكانيات فكرية متائلة لامكانياتهم حتى انه لا يوجد اي مجال



يتعدى على الفتاة مناقشتهم فيه . وإذا كانت الفتاة تبدو لنا قبل بلوغها سن الرشد والحياء منذ حداثة طفولتها متميزة بطابع جنسي خاص فهذا لا يعود الى وجود دوافع فطرية غامضة تؤهلها لحياة السلبية والتبرج والافترة . وانما الى كون تدخل الآخرين في حياتها يبدأ اسلا منذ السنوات الاولى لطفولتها فيفرض عليها مصيرها المحتوم .

يظهر العالم للولود الجديد في البدء ، على شكل انفعالات كاملة في ذاته : فهو لا يزال غارقا في لجة (الكل) كما كانت عليه الحال في زمن لقائه بين ظلمات احشاء امه ولا يبرح واقفا تحت تأثير حرارة جسدها . ثم يتعلم شيئا فشيئا تمييز الاشياء المنفصلة عنه ويبدأ بالتفريق بين ذاته وبينها . لكنه يمس في ذات الوقت بالجزلة والوحدة والانفراد ، خاصة بعد الفطام حيث يظهر حينئذ رغبة جارفة في حيازة اعجاب الآخرين بواسطة بعض الحركات والمظاهر اليعوض الفراغ الحاصل لديه من جراء انفصاله عن الجسم المرضع . ويحاول الطفل حين يسو بوسيلتين ضد امتزاجه الاصلي فهو يحاول ان ينفي وجود الانفصال فيتمالك بين ذراعي امه ناشدا حراوتها الحية مستريدا من مداعباتها . ثم هو يلجأ الى الاشخاص الآخرين الراشدين الذين يعتبرهم كالأقربة لانهم يستطيعون لوحدتهم ان ينتهوه ميزة الشعور بوجوده . انه يشعر بسحر النظرة التي تحاول احياها الى ملاك صغير وحياء اخرى الى وحش ، وحين يتجعجج في نيل اعجابهم تجد هذه النزعة تأكيدا جسديا لها في القبلات والمداعبات التي يتلقاها .

لا يوجد هنالك اذن خلال الثلاث او الأربع سنوات الاولى اي اختلاف بين وضعية البنات والصبية ، هم يحاولون جميعا اذمة العهد

السيد الذي سبق الفطام فنلاحظ لدى الطرفين سلوك التظاهرات والفت  
النظر وتصادف لدى الذكور نفس الرغبة التي تشعر بها الاناث في التارة  
الابتناسامات وحيازة الاعجاب .

في هذا العالم المشبع بالفوضى والتفاجآت يتعثر الطفل في كل خطوة  
يخطوها وهذا هو السبب في ان عددا من الاطفال يرغبون البقاء سفارا  
ويخشون السور والكبر ، وكثيرا ما يفعلون فريسة للباس اذا توقف الاهل  
عن تدليلهم بوضعهم على ركبهم وقبولهم ضمن اسرهم . لكن الفتاة  
الصغيرة تستع في هذا المجال بامتياز كبير على الفتي ، لان الفتي يحرم  
بشكل خاص تدريجيا من القبلات والمداعبات وكان فطاما ثانيا اقل عفا  
واكثر بظا قد فرض عليه . لما الفتاة الصغيرة فاننا نستمر في تدليلها بمد  
الفطام ونسمح لها بان تمشي في ذيل امها وتكسوها بالفساتين الناعمة  
وتسمح معها اذا ارادت ان تكيد لنا ونضحك من حركاتها وتبرجها ،  
كما نحبها اللسات الجسدية والنظرات العطوفة من وحشة العزلة .  
وفي مقابل ذلك يحرم الصبي من كل مناورات ليل الاعجاب والتشليات  
فنقول له : «ان الرجل لا يطلب القبل والمداعبات ... والرجل لا  
يكفي ...» ولعل هذا هو السر الذي يدفع كثيرا من الفتيان الصغار  
الى توجس الخيفة من الاستقلال الذي تفرضه عليهم حياتهم الجديدة ،  
ويشنون لو خلقوا فتيات . وقد قص موريس ساتس يقول : «كنت اتنى  
من كل قلبي ان اكون فتاة ، وبلغ بي عدم الاهتمام بنظام الرجولة حدا  
جعلني ابول جالسا مقلدا الفتيات» ومع ذلك اذا ظهر لنا الصبي اقل  
محابة من اخواته فان ذلك يعود الى الامال الجسام يملتها الاهل عليه  
مستغلين فيه نوعة الرجولة التي توالف هذا المفهوم المحدود الذي يتجسد

عليا لدى الذكر في عضوه التناسلي ، ولا يشعر القى بالتحرر والمزة تجاه عضوه التناسلي الصغير الامن خلال نظرة الناس المحيطين به فالعادة جرت لدى الامهات والمرضعات على النظر الى عضو الطفل التناسلي بعين العطف ، وقد حفظ لنا التاريخ قصصا كثيرة عن مرضعات يغزلن بعضو الطفل الصغير وبعته بشئ الصفات الحبية كما تدرج بعض النساء على التكلم مع العضو كأنما يتكلم بالاضافة الى شخصية الطفل الصغير شخصا مستقلا بذاته . وهكذا فان العضو التناسلي لا يشكل بالنسبة للذكر امتيازاً يستمد منه شعورا بالتفوق وانما زيادة في الاحتراب ابتكرها له الآخرون تعويضا له عن مصائب فترة ما بعد الفطام لكنه يصبح منذ ذلك الوقت نتيجة للعادات والتقاليد ، تحسيدا ورمزا لتفوق الذكر وسيادته العالية .

اما مصير الفتاة فهو مختلف تمام الاختلاف اذ لا تكن الامهات والمرضعات لاعضاؤها التناسلية اي احترام او عطف ولا يلفتن نظرها الى هذا العضو الخفي الذي لا يرى منه في الحقيقة سوى غلافه ولا يسمح لنا بأن نلمسه بقبضة يدنا ، لدرجة دفعت بعض العلماء الى القول بأن الفتاة لا تطك عضوا جنسيا . وبذلك تكتشف الفتاة بان وجودها في العالم يختلف عن وجود القى ويكفي ان تجتمع لديها بعض العوامل وتتفاهم كي يتحول هذا الاختلاف في نظرها الى شعور بالنقص .

من المؤكد ان الوظائف الترفيفية وبشكل خاص الوظائف البولية تلفت اهتمام الاطفال بشدة ، فالتبول في السرير دليل عن احتجاج الطفل على تفصيل لعله لطفل آخر واذا كانت هنالك بلاد درجت فيها العادة ان يبول الرجال وهم قاعدون بينما تقوم النساء بذلك وعن واقفات ، فان

العادة استقرت بصورة عامة في المجتمع العربي المعاصر على ان تجتو الفتاة بينما يحتفظ الرجل بامتياز الوقوف . ويشكل هذا الاختلاف بالنسبة لفتاة الصغيرة الفرق الجنسي الاشد بروزا ، فلكي تبول يجب عليها ان تجتو على قدميها وان تتعري وبالتالي يتحتم عليها ان تعجب نفسها عن عيون الناس .

ويزداد الخجل في الحالات التي تشكل خلالها الفتاة من الانفلاتات البولية غير الارادية في حالة الضحك العنيف المتواصل مثلا ، فالسيطرة هي اقل متانة لديها من الفتيان ، لان الوظيفة البولية تظهر لدى هؤلاء ككلمة مستقلة تتمتع بجاذبية بقية الالعاب التي يمارسها الطفل في سباه ، فالعضو التناسلي للذكر يمكن التحكم فيه وقيادته بكل حرية وهذا ما يجلب اهتمام الفتيات . يروي ان فتاة صغيرة ساحت بدعشة وامجاب حين رأت سيبا وهو يبول : «يا لها من عملية سهلة مريحة ا» . وفي هذا يتحدث ابراهيم عن : «اللذة الطفولية التي تشعر بها المرأة حين تسقي الحديقة بالنيوب ماء» ، وانا اعتقد بالانفاق مع نظريات سارتر وبشلابه ان هذا لا يعني بحكم الضرورة تشييل العضو التناسلي للذكر بالانيوب ولا يمكن ان يكون مصدر اللذة والسرور ، فسقي الماء على هذه الطريقة يظهر للطفل الصغير بشكل المعجزة لانه يعد تحديا لقانون القالة : وان قيادة العضو التناسلي للذكر والتحكم فيه يعد اتصارا صغيرا على قوانين الطبيعة ، وهو على كل حال تسلية يومية يتحتم بها الذكر وتحرر منها الفتيات الصغيرات . وتلجأ بعض الفتيات الصغيرات رغبة منهن في موازنة تجربة التبول لدى الذكور الى الانبطاح على ظهرهن في محاولة قذف المادة البولية «نحو الاعلى» . كما تلجأ بعضهن الى محاولة التبول

في وضع الوفوف . كما يقول (كارن هورني) فإن الفتيات الصغيرات يحسبن الصبية على الامكانية المنوحة لهم في عرض اعضاءهم التناسلية أثناء التبول امام الناس . ويروي ان فتاة مريضة ساحت فجأة بمد ان رأت في الشارع رجلا يبول : «إذا كان لي ان اطب هدية من الآلهة فسأطلب منحي امكانية التبول مرة واحدة في حياتي كما يفعل (الرجل)» ويظهر ان هذا الشعور يعود الى حرية الفتى في ان يمس عضوه ويستعمله كلعبة بينما لا تستطيع الفتيات ان تفعلن ذلك بسبب تركيبهن العضوي ولا شك ان هذه المجموعة من العوامل التي تثير الرغبة لدى عدد كبير من الفتيات الصغيرات في امتلاك عضو تناسلي ذكر ، هو امر اكدته عدد من التحقيقات والايحاءات والاعترافات السرية التي حصل عليها العلماء النفسانيون . فمثلا يورد لنا هقلوك الياس بعض كلمات احدى الفتيات التي يطلق عليها اسم زينا : «ان ضجة ابعاث الماء وخاصة حين يخرج من البوب سقي طويل كان دائما بالنسبة لي امرامثيرا يذكرني بالفضجة التي كان يحدثها اخي والآخرون حين يبولون» . ونقص فتاة اخرى انها كانت تحب بشدة وهي طفلة صغيرة ان تمسك بين يديها العضو التناسلي لاحد رفيقاتها ، وفي احد الايام وقع في يديها البوب لسقي ف قالت : «ظهر لي في ذلك الوقت انه ما يبحث على اللذة والسرور ان امسكه كما كنت امسك العضو التناسلي للذكر في حدثتي» لكنها تؤكد مع ذلك انها لم تكن تشعر بأي احساس جنسي في ذلك وإنما يقتصر الامر على فضولها في التعرف على اداة التبول لدى الفتيان . واكثر هذه الحالات اهمية هي حالة فلوري التي اوردها هقلوك الياس : فلوري امرأة ذكية فتاة ذات حيوية شديدة عادية من وجهة النظر البيولوجية وقد روت لي ان الوظيفة

البولية لعبت دورا كبيرا في طفولتها ، كانت تلعب مع اخوتها لعبات بولية ترسلهم ويرشقونها بهذه المادة دون اي خوف او استئزاز . وكانت مناهسي الاولى حول تفوق الذكور على الاناث ، ذات علاقة وثيقة مع الاعضاء البولية . وكنت اكتب على الطيعة حرمانها لي من عضو مريح وسهل الاستعمال وذي شكل حسن كعضو الرجل ولم يكن هناك من حاجة بي لتعلم نظرية هيمنة وتفوق الرجال على النساء فقد كان لدي مثل حي ، تحت عيني ، ان هذه الحالة هي عامة بالطبع لانها توضح عددا من العناصر التجريبية في زمن الطفولة ، ولكن الامر لا يتعدى بالتأكيد بعض الظروف الخاصة التي اعطت هذه الظاهرة اهمية ضخمة بالنسبة للعلوي . ذلك ان الامتياز البولي لدى القتيان هو في اكثر الاحيان شيء ثانوي بالنسبة للفتيات الصغيرات اللاتي تلقين تربية طبيعية ولا يمكن ان يؤدي الي الاحساس بشعور النفس .

ان التركيب الجسدي للذكر يوحى بالقوة لدرجة لا تستطيع معها الفتاة الصغيرة ان ترى جسما الخاس . ويورد «سوسوره» مثلا على ذلك فتاة صغيرة تبلغ الرابعة من عمرها محاولة ان تبول على طريقة القتيان وهي تقول بانها تريد «شيئا صغيرا طويلا قويا» وهي تؤكد بنفس الوقت انها كانت تمتلك (قضييا) اناضات الآن ، وهذا يتفق تماما مع التفكير بطريقة «المشاركة» التي وصفها (ياجييه) لدى الاطفال . فالفتاة الصغيرة تفكر بكل برائة ان جميع الاطفال يمتلكون قضييا حين الولادة لكن الاهل يلجأون بعد ذلك الي قطع بعضها التحويل اسطحها الي اللث ، غير ان حدثا خارجيا كما تقول (بروتسي) ، كروية القضيب مثلا لا يمكن ان يؤدي الي حدوث ردود فعل داخلية : فان رؤية العضو

الذكر يمكن ان يكون له تأثير الضعالي ولكن بشرط ان يسبق ذلك سلسلة من التجارب الماضية التي يمكن ان تخلق مثل هذا التأثير ، فاذا شعرت الفتاة الصغيرة بعدم قدرتها على اشباع رغباتها في ممارسة العادة السرية وتعرضت لشها لانظار الناس ، واذا تولد لديها الشعور بانها غير محبوبة وتخطى بتقدير اقل من اخواتها ، حينئذ تنعكس على عضو الذكر عدم رضاها . ان الناس المحيطين بها يعتبرون انعاما مثلا متوقفا عليها وهو نفسه يتزرجوله ، فينتاب الفتاة الصغيرة الشعور بالعسء ويحبل اليها ان مصيرها هو العنسل في الحياة . وتسمع احيانا بالتفقد تجاه انها وفي بعض الحالات النادرة تجاه ايها او تنهم نفسها بانها هي التي اجتثت عضوها التاسلي لم تعزي نفسها مفكرة بان القضيب محبأ في جسها وانه لا يد وان يظهر في يوم من الايام .

من المؤكدة ان قصص القضيب لدى الفتاة يلعب في مصيرها دورا هاما حتى ولو لم ترقف جديا في حياتها ، اذ ان الامتياز الذي يشبع به الذكر ينشأ من ملكيته لعضو تاسلي بارز يمكن فحسه وكشف جميع اسراره ، فهو يستطيع ان يقبس طولوه ويقارن بينه وبين الاعضاء التاسلية لرفاقه كما يستطيع ان يجعله مصدرا للذة وتمتته ، لما الفتاة الشابا فانها لا تشبع بهذا الامتياز ، ولذلك فهي تشبع تعويضا عن ذلك دمية تكون بالنسبة لها بمثابة بديل عن النقص الذي تشعر به اذا قورنت مع القس . لكنه يوجد اختلاف كبير في الواقع بين الدمية التي تمثل الجسم بكامله وبين العضو التاسلي للذكر كما ان الدمية لا تعدى كونها شيئا سليا وهنا هو السبب الذي يشجع الفتاة على اعتبار ذاتها كمرضية جامدة سلية . وبنينا نجد المسي يبحث عن نفسه في القضيب بصفته كيانا

مستقلا ، ترى الطفلة الدلال صديقتها وتزينها كما لو انها تعلم بان تلقى الدلال والزينة لنفسها . انها تعتبر نفسها دعية رائعة ، وخلال كلمات الاعجاب والاستهجان ومن بين الصور والكلمات تكتشف معنى كلمة (جميلة) و (قبيحة) فهي تعرف انه لكي تثير اعجاب الآخرين يجب ان تكون جميلة كالصورة ، ولذلك زارها تحاول ان تشبه الصورة فتسكّر وتنظر الى قصها في المرآة وتحاول نفسها مع الأميرات وجنيات الاساطير . وقد زودتنا ماري باشكير تسيغ بمثل عن هذا النوع من التفتيات المولعات بالحصول على اعجاب الآخرين فتكتبت تقول : «لم يكن عري يتجاوز الخمس سنوات حين كنت ارتدي مختلف الداتيللا المائدة لامي وكنت اتخيل نفسي الراقصة الكبرى (بانيا) وجميع اهل البيت ينظرون الي باعجاب شديد ٤٠٠٠ » .

ان هذه الطبيعة الرئيسية «اي ولع الانسان الشديد بذاته» تظهر لدى الفتاة الصغيرة بصورة مبكرة وتلعب في حياتها كامرأة دورا رئيسيا اوليا لدرجة ان البعض يعتبرون هذه النزعة وكأنها تصفر عن احاسي انثوي غامض . لكننا رأينا في الواقع ان الفتاة لا تخضع في تطورها الى العناصر العضوية لانها تستطيع ان تتحرر بشئ الطرق من تأثير الاختلاف العضوي الذي يميز الصبي عنها فالتغيب يشكل هنا امتيازاً بالنسبة للصبي لكن تأثيره يتضائل حين لا يميز الطفل اي اهتمام لوظائفه التفرغية : واذ احتفظ على الرغم من ذلك ببعض التأثير بعد ان يتجاوز الثامنة الى التاسعة من عمره فذلك يعود الى ان التغيب اصبح رمزا لرجولة تتمتع بعد ذاتها بزيادة في الاختيار اجتماعيا . والحقيقة هي ان تأثير التربية والانحياز المعطين بالطفل كبير جدا .



فجميع الأطفال يحاولون أن يعوضوا وحشة الانفصال التي تسببها الفطام بسلوك يهدف إلى إثارة الإعجاب ، ولذلك فإنا نفضل الصبي الذي يتجاوز هذه المرحلة وينطلق من طبيعته الرئيسية بتحويل اهتمامه نحو عضوه التناسلي بينما يبقى الفتاة منشغلة في نفس الاتجاه تساعدنا على ذلك النعمة التي لا تقوم مع ذلك بالدور الأساسي . فالصبي بدوره يستطيع أن يتولى بنفسه من نوع آخر كالدب وغير ذلك ، وهذا ما يدعونا إلى أن نستنتج ، أن كل عامل من العوامل : سواء كان القلبيب أو النسية تتضح أهميته وتبرز قيمته من خلال الشكل الاجتماعي العام لحياة الأطفال .

وهكذا فإن السلبية التي تميز بصورة رئيسية المرأة «الأنثى» هي ظاهرة تتطور لديها منذ السنين الأولى . لكنه من الخطأ أن نزعج أن هذه الظاهرة تشكل معطية بيولوجية ، فالمعقبة هي أن القائمين على تربيتها والمجتمع الذي تعيش فيه كل ذلك يفرض عليها هذا المصير . أن الحظ الكبير للصبي يكمن في طريقة وجوده بالنسبة للآخرين التي تقبضه على أن يعيش نفسه فهو يتلقى دروس الحياة بحركة حرة تتفتح نحو العالم الواسع ويتنافس بصلاته واستقلاله مع الصبيان الآخرين فيحترق البنات ويتصرف بكل حرية واستقلال . وعلى العكس من الصبي تعرض المرأة منذ البداية إلى نزاع بين وجودها المستقل و «وجودها الأخر» فمنع نطمها بأن الواجب يحتم عليها أن تحاول الحصول على إعجاب الآخرين وأن تشكل وجودا سلبيا وتتخلى بالتالي عن استقلالها ، أنا نعلمها ككسبية حية وتنتج عنها كل قيس من الحرية وهكذا تتشكل حولها حلقة مفرغة ، كلما تضاعفت حرمتها في فهم وتحسس واكتشاف العالم الذي يحيط بها تضاعفت في نفس الوقت إمكاناتها ولم تعد تجرأ على تأكيد

شخصيتها كوجود مستقل ، ولا شك اننا لو بحثنا فيها السجادة لتسلق طريق التفكير المستقل كأن يوسعها ان تظهر نفس الحساس التوقد والنضول وروح المبادرة والبراعة التي وجدناها لدى الصبي . وهذا ما يحدث احيانا حين يشرف الرجال على تربية الفتاة فتحاشى بذلك عبدا كبيرا من المشاكل وتخلص من القسم الاعظم من مساوي الانوثة . غير ان العادات تعارض هذا الاتجاه وتمنع معاملة الفتيات تماما كالصبيان . ولقد اتيح لي ان اتعرف في احدى القرى على فتيات سفريات يبلغن ٣ الى ٤ سنوات من العمر وكان والدهن يشرف على تربيتن فبرئدين السراويل الرجالية . كان جميع الاطفال يستهجنون ذلك فيقولون انهن فتيات ولسن ببيان ويحاولون بعد ذلك التأكد من طبيعة جنسهن لفرجة اضطررنا الى التوسل كي يرتدين الانوثة النسائية . وبإستثناء حالة الفتاة التي تعيش وحيدة منعزلة عن الناس فانها لن تستطيع ان تعيش وتصرف كالصبي حتى ولو سمح لها اهلها بذلك لان الاشخاص الآخرين المحيطين بها ، سديقاتها وساندتها سوف يضغطون عليها كي تلتزم عن هذا الاتجاه فهالك دائما العنات والجدات وبنات العم على استعداد في كل لحظة لمقاومة تأثير الاب . يقول ميشلة : ان احدى اللعنات المفروضة على المرأة هي انها تترك منذ حداثتها لتعيش في جو يحفل بالنساء . ان الصبي كذلك ينشأ في البداية ويتفرع تحت اشراف امه ، لكنها تكن الاحترام لرجواته فتتركه طليقا بعض الشيء . ايضا تسعى في ضم ابنتها الى عالمها النسوي .

وسنرى فيما بعد ان العلاقات بين الام والفتاة معقدة للغاية : فالفتاة بالنسبة للام تشكل نفس الوقت ازديادا منها وشخصا آخر غريبا عنها ،

والأم تحب وتطفه على ابتها بنفس الوقت الذي تظفر لها عذابها ،  
انها ترض على المطة مصيرها الخاص وهذه طريقة تبرز بواسطتها  
أوثانها وتؤكدعها وتحاول بنفس الوقت ان تنظم منها . نحن نجد نفس  
المسألة لدى المواطنين والقمارين وضحايا المفخرات فهم يفخرون بالانتباه  
الى صناعة معينة ويشعرون بالظلم مع ذلك في نفس الوقت . وهكذا  
نرى انه اذا عهد بالطفة الى النساء تربيتها فانهن يعطن بسوء وتعت  
على تحويلها الى امرأة تاملون في الصفات والعادات . وحتى اذا كانت  
الام كريمة الطباع تسمى بصراعة وانعلاص في سبيل هناء ورفاهية ابتها  
فانها تفكر عادة بانها من الانسب تربية ابتها بشكل صحيح فيه وامرأة  
حقيقية ما دام المجتمع سيقبلها على هذا الشكل بكل سهولة ورحيب .

لا نجد الفتاة والحالة هذه حولها سوى الفتيات الصغيرات ، ولا  
يعهد بها الا الى سائفة من النساء اللواتي يخترن لها الكتب والالعاب  
التي لعدها وتدرجها على اداء دورها لامرأة ويعلمتها الصفات والطباع  
النسائية فهي تتدرب على اصول الطبخ والعناية بالبيت في الوقت الذي  
تتعلم فيه كيف تتبرج وتزين وتظهر بظهور العياء والتفجبل امام الناس .  
انها لا تفكك تسبح من هنا وهناك : فهي مستقبلية ، لا تبخترني مثل  
البطة ولا تحتبسي طرق الصبيان في الحركة ، كما يحرم عليها ان تقوم  
بالحركات العنيفة فلا يجب ان تصارع او تضارب ، وبالاختصار يجب  
عليها كشيلاها من النساء ان تكون خادمة ومتتلا محببا الى النفس .  
الا انه اصبح في يومنا هذا من الامور العادية . بفضل التصارات الحركة  
النسائية . ان تشجع الفتاة على متابعة دراستها ومزاولة الرياضة وغير  
ذلك من الامور لكن اعلمها يفخرون لها عدم نجاسها ويشترطون فيها ان

لا تعمل في الوقت ذاته شأنها كأمراء بل ان هذا الشرط يشترع بالانفصالية  
لدى الاهل لان الواجب الاساسي النفس على عائلتها يقضى في ان تحافظ  
على اوتنتها .

خلال المئين الاولي تسلم الفتاة الصغيرة بدون اية مقاومة الي  
هذا المسير فالطفل يحيا في جو من اللعب والاحلام ولا يبالي بالمسير  
الذي ينتظره خاصة وانه يوسع الفتاة ان تعرض شعورها بشوق الصبيان  
عليها في الامال الكرامة في مستقبلها كأمراء هذه الامال التي تحققت منذ  
الآن في لعيا . وما دامت الفتاة لا تعرف بعد سوى عالم الفتوة فان  
انها تظهر لها متممة بسطة اكبر من سلطة الاب . ولذلك فهي تخيل  
العالم بشكل سمود فيه سلطة الامومة وهذا ما يدورها الي تقليد انها في  
حركاتها وسكناتها والى التمثل بها وغالبا ما تلجأ الي قلب الادوار فتقول  
لاعين اصبح كبيرة وتصبحين انت صغيرة والدمية ليست بالنسبة للطفلة  
الصغيرة لزولجا لشخصيتها وانا هي طفلة كذلك ، فهي تدافع عن نفسها  
ضد انها وتتحلى بوقار الامومة حين توبخ وتعاقب ثم تغري وتعدل  
ديتها . والنجأ اعيان اغري الي اتصالها على اسرارها وتقوم بتربيتها  
وتؤكد عليها سلطتها المثلثة بل انها كثيرا ما تتزج قراءتها وتطرحها  
وتعدبها : اي انها تعلق من خلالها تجربة تأكيد شخصيتها وطبها  
بالسيطرة . يتضح للفتاة الصغيرة ان العناية بالاشغال يقع على عاتق الام  
وهذا ما تتعاه من خلال القصص التي تسمعها والكتب التي تقرأها كما  
ان تجربتها الشخصية تؤكد لها ذلك ، ويمكننا القول بالنتيجة ان وطبعتها  
(المقدرة لها) تفرض عليها فرضا وتطلى عليها لعلاء . وما دامت تربية  
الاشغال مستصعب في يوم من الايام من لصيبتها فان فضولها ورغبتها في

معرفة غنايا التوالد يزداد شيئا فشيئا . انها لم تؤمن بان الاطفال يرادون او ياتون الى الحياة في ورققات الملغوف او تاتي بهم اللقائن (ج اللقن) خاصة اذا كان لديها الخوة والخوات ، وعلى كل حال فهي تتعلم بعد ذلك ان الرضيع يتشكل في بطن امها . وفي ايامنا هذه لم يعد الاهل يكتسبون اسرار وغنايا الحمل والولادة عن الطفل كما يدرج الناس على كتابها في الماضي . اما الفتاة الصغيرة فانها تعجب وتدهش اكثر مما تخاف نتيجة لاكتشاف هذه الظاهرة التي تعتبرها نوعا من السحر لانها لا تلم دفعة واحدة بالتفاصيل الفيزيولوجية لعملية الولادة . فهي تجعل دور الاب وتفترض ان المرأة تصبح حاملا نتيجة لتناولها لبعض الاغذية ، وهذه قصة اسطورية ، «يروي ان ملكات القمص الخرافية يلدن فتاة صغيرة او سيبا جيلا بعد تناول بعض الفاكهة ونوعا خاصا من الاسماك» .

تأخذ مجسومة هذه المشاكل والقضايا بلب الفتاة الصغيرة وحواسها وتضفي خيالها . واني اورد فيما يلي حالة نموذجية تشابه في عدة نواح حالة هانس الصغير التي حلها فرويد في نفس الوقت :

بدأت «آنا» تستفهم من اهلها عن مصدر التوالد الجديد وهي لم تتجاوز بعد الثالثة من عمرها ، وحين بلغت الرابعة رزقت امها بمولود ولم تكن آنا قد لاحظت افتتاح بطن امها اثناء الحمل لكنها نظرت اليها بعد الولادة بحذر وضيق وانتهت الى القول : «هل ستوتين يا امه ؟» . كانت تتخيل ان الناس حين يموتون يصعدون الى السماء ثم يتحصون هيئة الرضيع والملك فقد زادت دهشتها حين رأت امها في الفراش بعد الولادة ، وقد اصبحت بعد ذلك تشعر بالغيرة تجاه امها الصغير فكانت تحدث نفسها قصصا غريبة ولا تطيع اوامر اهلها وتهدد باللجوء الى

جدتها لحايتها ، كانت تتم في اغلب الاحيان بالكذب لانها كانت تمسك  
 في عدم اعلامها بحقيقة ولادة اخيها وكانت تسأل والدتها بالحاح هل  
 سأصبح امرأة مثلك يا اماءه واخذت تنادي تمام الليل لعليها بصراخ  
 عال . وفي يوم من الايام بدأت تسأل بطفلة «ما هو السبب في ان صوفي  
 تصغري سنا ؟» ابن كان فرطت قبل ان يولد هل كان في السماء ١٠٠ وماذا  
 كان يفعل هناك ١٠٠ ولماذا عبط منها لان فحسب ١٥٠٠٠ واضطرت امها  
 اخيرا ان تشرح لها بان الاخ الصغير نبت في بطنها كما تثبت الثبته في  
 قلب الارض . اثار هذا التصغير اعجاب وسرور آفا لكنها استغرقت  
 متسامة : هل خرج لوحده دون مساعدة احد ؟ - نعم . - ولكن كيف  
 يفعل ذلك وهو لا يستطيع المشي ١٠٠ - لقد خرج زاحفا - هل يوجد  
 هناك اخن قلب ١٠٠ (واشارت الي صدر امها) : من اي مكان خرج هل  
 فعل ذلك من خلال التم ١٠٠ وبدون ان تهتم بالجواب استغارت الي  
 اعينها يسع من عينها يريق الرضا والطاينة . وفي احد الايام سألت  
 اباهما حين رآه يرقد في السرير : لماذا اراك مستلقيا في السرير يا ابنا ١٠٠  
 هل لديك انت الآخر نية في بطنك ١٠٠ في هذه الفترة بدأت تعاودها  
 اعلامها المرعبة ومن السهل علينا ان نستنج بانها كانت تسأل نفسها  
 عن دور الاب في عملية الولادة . وفي سبيحة احد الايام كان والدها في  
 غرفة التواليت فقزت على سريرها واستلقت متسدة على بطنها واخذت  
 تحرك ساقيها قائلة : «ليس هذا ما يفعله والدي ثم سألت والدتها قائلة :  
 «ولكن كيف دخل فريرت الصغير بطن امي ١٠٠ من هو الشخص الذي  
 زرعه في جسدي ؟ وانت من زرعت في بطن امك ؟ ومن اي مكان خرج  
 فريرت ؟ فقال لها والدها ضاحكا «ماذا تعتقدين انت ؟» حينئذ اشارت

يبدعا الى اعضائه التناسلية : هل خرج من هنا ١٠٠ - نعم - ولكن كيف استطاع ان يدخل في امي ١٠ هل يفر في بطنها بعض الحبوب ؟ حينئذ اتسها والدعا ان الاب هو الذي يعطي البذر . ظهرت علامتهم الرضا والسرور على وجه آنا وفي اليوم التالي بدأت تنهكم على اميا قائلة : فروى لي والذي ان فرتميز كان ملاكا صغيرا وان القلق هو الذي حطه البناء واصبحت بعد ذلك هادئة اكثر من ذي قبل الا انها حطت في يوم من الايام بمشاهدة بعض الفلاحين وهم يولون وينهم والدعا وحطت كذلك بعد ان شاهدت البيستاني يسقل الطرائل بمنجر في يده . انه يجري نفس العملية على اعضائها التناسلية ، كانت بالطبع منشغلة البال في معرفة دور الاب الصحيح ، وعندما اكتسبت معلوماتها نهائيا في سن الخامسة لم تعد تشعر بعد ذلك بأي قلق او اضطراب .

هذه القصة ، لها ميرتها الخاصة على الرغم من ان البنات يتساملون بشكل سهل عن الدور الذي يلعبه الاب لان الاهل يتهربون من الجواب على هذا السؤال .

وكنا نضح ذهن الطفل اكثر فاكتر اتسع الفم تفكيره وتوطعت دعالم مبدأ افضلية الذكور على الاناث . حينئذ لا يسود تقليد الفتاة لانها علا مرضيا بالنسبة اليها واذا كانت الفتاة الصغيرة قد قبلت وظيفتها الانثوية فهذا لا يعني انها تنازلت ورضخت بل على العكس من ذلك فانها كانت تجد في هذا الحل وسيلة لاعلاء شأنها ، والحصول على السيادة ، فهي تريد ان تكون سيدة لان مجتمع السيدات يظهر لها مستعنا بالامتياز ولكن حين تتزوجها اتصالاتها مع الناس ودراستها والاعاها وفرعاتها من محيط الامومة فانها تفهم ان اسيد العالم ليسوا النساء والما

هم الرجال . وهذا الاكتشاف - أكثر من اكتشاف التخصيب - يعيدل بشكل جذري وعجيب وهما نفسها وتقديرها لمزنتها .

يتضح لسلسل الفضلية الجسدي باديء ذي بدء خلال التجربة العائلية ، فهي تفهم شيئا فشيئا انه اذا كانت سلطة الوالد لا تظهر بشكل محسوس كل يوم فانها هي التي تسود في البيت اولا واخيرا . حتى ولو كانت الام هي التي تسود في البيت عمليا فانها تحاول في شتى المناسبات ان تثبت بان ارادتها هي نتيجة لارادة زوجها الاب وذلك على الاقل في الحالات الهامة ، فمن خلال ارادته تتحكم هي في ادارة البيت وبأسسه لنسج وتعايق .

ان حياة الاب محاطة بحالة من التلوذ الغامض : فالساعات التي يقضيها في البيت والرفة التي يعمل فيها والاشياء التي تحيط به ومشاغله وهواياته كل ذلك يتخذ في نظر الاطفال صفة القدسية . انه هو الذي يقوم بإعالة الأسرة وهو المسؤول عنها بصفته رئيسها . وهو يعمل عادة في الخارج وبواسطته يتصل البيت مع بقية الناس وهذا ما يجعله يظهر امام افراد عائلته وكأنه يجسد هذا العالم المقامر الواسع الصعب والرائع ، انه المسو واه لاله ا وحينئذ تغير وضعية الطفلة بشكل جذري فلقد كانت مدهورة لان تصبح في يوم من الايام امرأة ماثلة لامها التي لا حدود لسلطانها وسيطرتها لكنها لن تكون بعد الآن ابدا الاب الذي يتضح بالسيادة المطلقة ، كانت صلتها بامها تميز بنوع من المناقسة التي تعنى على تقبل الحياة اما بالنسبة لايها فهي لا يمكن ان تنتظر منه سوى تقديرا سليا ودون ان تكون هناك اية حاجة لمشاركتها . ان الصبي يتحسس السيادة الابوية من خلال شعوره بالتنافس بينما تتحمل الطفلة



هذه السيادة باعجاب سلمي .

لقد ينت من قبل ان ما يسيه فرويد بمركب (الكتر) لا يعبر في الواقع عن رغبة جنسية وانما هو تنازل عميق من صاحب العلاقة الذي يرضى بأن يكون مادة في الخضوع والتعذيب ، ولذا ظهر الاب حناه وعطفه نحو ابنته فانها تشمر ان وجودها له ما يبرره وتصبح حينئذ مزودة بجميع المتائب والصفات التي يصعب على الآخرين الحصول عليها ومن المحصل انها تستشعر بالتسوق طوال حياتها الى هذا الكمال وهذه الطمأنينة .

اما اذا لم يحظ بمثال هذا الحب فستشعر الى الابد بانها مذنبية او ستلجأ الى البحث في مكان آخر عن التقدير وزيادة الاعتبار وتصبح حين ذلك عديمة الاهتمام تجاه والدها وقد تشمر نحوه بالعداء . غير ان الاب لا يستمع لوجهه بهذا السلطان . فجميع الرجال يساهمون في خلق عظمة الرجولة وليس هناك من مجال للكلام عنهم (كبدليل) عن الاب لانهم يسلبون لب الفتاة الصغيرة مباشرة بصفتهم رجالا سواء كانوا جدودها او اخواتها او عماتها او اسدقاء الاسرة الخ ...

ولا شك ان التقدير الثير الذي تكنه الفتيات الراشدات نحو الرجل يكفي لكي يرفع مكانته نحو العلاء . كل شيء يساهم في تأكيد تفوق الرجل على المرأة في نظر الفتاة الصغيرة . ثقافتها التاريخية والادبية ، والانثي والاساطير التي تسمعا تهذب جميعها الى تسبيح الرجل . ان الرجال هم الذين بنوا سجد اليونان ، والامبراطورية الرومانية ، وفرنسا وجميع الامم . وهم الذين اكتشفوا الارض واخترعوا الادوات التي تسمح لهم باستغلالها وهم الذين حكموها ، ونحتوا التماثيل ، ورسنوا

اللوحات وأهوا الكتب ، ويمكس ذلك ادب الاطفال والميتولوجيا  
والقصص والروايات والاساطير التي خلقتها كبرياء ورغبات الرجل ،  
فن خلال عيون الرجال تبرز الفتاة الصغيرة نور العالم وتكشف عن  
مصريها . والتاريخ مليء بقصص عشاق الرجال كما ان الفتيان هم الذين  
يدورون حول العالم في قصص المغامرات وسافرون كسلاحين في البواخر .  
وتقع جميع الاحداث الهامة بواسطة الرجال . ويؤكد الواقع صحة ما  
جاء في هذه القصص والاساطير فاذا ما قرأت الفتاة الصغيرة الصحف او  
اسفت الى معادلات الرجال الكبار فلانها تتأكد هذا اليوم كما كانت  
تفعل في الماضي بان الرجال هم الذين يقدرون العالم ويحكمون فيه . ان  
رجال الدولة ورؤسائها ، والجنرالات والمكتشفين ، والموسيقين  
والرسامين الذين تولع بهم الفتاة هم رجال كذلك ، اهم رجال يعيشون  
في قلبها الخفقان من شدة الحماس .

ككل شيء يدعو الفتاة لكي تهالك حاملة بين ايدي الرجال فتقل بعد  
ذلك الى سناء العبد . انها تعلم انه لكي تصبح سعيدة يجب عليها ان  
تحظى بحب الرجال ولكي تكون محبوبة يجب ان تتركس وقتها لانتظار  
الحبيب الموعود وامير الاحلام ... المرأة هي (جيلة الغابات النائية)  
وهي كذلك (بلانيس نيج) و (ساندريلا) انها تلك التي تقبل وتتحمل .  
تم تفض علينا الاناشيد القديمة والاساطير الخرافية ، ان الفتى الشاب  
يذهب مغامرا للبحث عن المرأة ، فيطلق رأس التنين بسيفه ، ويصارع  
الحيابرة بينما تكون الفتاة سجينه في احدى القلاع او القصور ، في  
الستان او في الزنزانة مقيدة الى صخرة ، حبيسة ، نائمة او قلقة : انها  
تنتظر . في يوم ما سيعود امير الاحلام وينقذني ... في احد الايام

سيأتي على الحرب الطويل الرجل الذي لجه ... وهذه هي الاحلام  
النسبية تساهم كذلك في توجيه الفتاة وتبحث فيها الاحلام العسير والامل .  
لقد اسبح من الضرورة القصوى بالنسبة للانثى ان تأسر قلب الرجل  
ولكني تتوسل الى ذلك تراها تحاول ان تظهر في حياتها بظهور الضحية  
الى ان يأتي فارس احلامها فينتشلها من ورطتها . وقد كتبت مدام  
دو نواي تقول : اذ كنت انسى وانما لم ازل صغيرة السن ، ان احظى  
بعطف الرجال وان ايرق قلوبهم علي وان اجبر من المآزق بغضهم ، وحتى  
ان اموت بين ايديهم . توجه الالجاب والاحلام الفتاة الصغيرة ، وتطورها  
شيئا فشيئا نحو السلبية في تصرفاتها . لكنها مع ذلك تشعر بانها نفس  
بشرة قبل ان تكون امرأة ، وهي تعرف منذ الآن ان قبول مصيرها  
كأمرأة يعني تخليها عن استقلالها وتسوية شخصيتها . ان الرجل والحب  
لا زال بعيدان عنها في شباب المستقبل ، اما الآن فانها تبحث مثل اخواتها  
عن النشاط والحركة والاستقلال . ولا شك ان عبء الحرية ليس بتقيل  
على الاطفال لانه لا يستلزم وضع اية مسؤولية على عاتقهم . ولذلك  
فان جنوح الفتاة التطري نحو الحياة ونذوقها للمب والضحك والمغامرة  
يجعلها تشعر بان الوسط الذي تعيش فيه مع امها هو وسط ضيق خائق  
وتسنى لو تتخلص من سيطرته وسلطانه .

ومما يزيد في عطف نورة الفتاة ان امها تفقد في اغلب الاحيان ثوبها  
وسمعتها وتلاشي من حولها هالة السيطرة والتفرد وتظهر كيفية النساء  
في وضعها السلبى، تنتظر وتحمل، وتسكو وتبكي فتبدو حياتها نموذجاً  
حياً للتكرار المبل .

تأتي الفتاة الصغيرة في هذه الفترة ان تشبه امها ، ولذلك فانها تكن

تقديرها واحترامها كبيرين للنساء القواني يتفادين الوقوع تحت وطأة العبودية النسوية كالمثلاثات والكنايات والاستاذات كما تراها تشغل نفسها بالرياضة والدراسة ، وتحاول ان تقلد الذكور فتسلك الانتحار وتمزق الثياب ، وتختار في أكثر الاحيان سديفة وافية ، تقضي لها اسرارها وتكن لها حبا يشبه الحب العاطفي كما انها تقاسمها الاسرار الجنسية والواقع ان الفتيات الصغيرات يتبادلن المعلومات التي ليجدن في الحصول عليها ويعلقن عليها .

ومستاء الفتاة الصغيرة عادة من قواعد التحفظ والسلوك المفروض عليها كما تتضايق كثيرا من ثيابها وقد البت احد الاستفتاءات ان الاكثرية الساحقة من الفتيان صرحوا بعدم وجود اية رغبة لديهم في التحول الى فتيات وصرح اكثر من 95٪ من الفتيات انهن كن يفضلن لو خلقن رجالا ، وتبرر الفتيات هذا الاختيار بالحجج التالية :

«لا يتاكم الفتيان كما تتاكم الفتاة في حياتها» «ان امي تحبني اكثر اذا كنت صبيا» «يستطيع النسي ان يقوم باعمال اكثر اعبية» «يستمتع النسي بامكانيات اكبر في الدراسة» «حينئذ سأتسكن من تسلية نفسي في تخريف البنات» «ولن احس بالخوف من الصبيان» «انهم جميعا لحرارا» «لا يتضايقون من لباسهم» .

وحين تبلغ الفتاة 10 - 12 من عمرها يمكننا ان نطلق عليها لقب (الصبى الفاضل) وهي لا تتالم من قتلها هذا لانه يشكل بالنسبة لها حرما وظلما فحسب وانما لان النظام الذي يفرض عليها هو في حد ذاته غير صالح للحياة فايامها تصبح فارغة لا يوجد فيها اي نشاط او حركة يسود فيها الضجر والتمرم وحدة الاعصاب لذلك تراها تستسلم لاجلامها

الداخلية لتعوض مرارة فشلها قديماً بفقدان معنى الواقع وتشد التعزية في عوائلها الرئيسية (عبادة الذات) ، فتخيل نفسها بطلقة قصة لعجب بجسالتها وتشكو من واقعها المؤلم . ومن الطبيعي جداً ان تصبح نتيجة لذلك مولية بالزينة والتبرج والكوميديا ، كما تتضاعف هذه المساويء في فترة البلوغ فتكثر حالات تقاذ الصبر والزمان الغضب ومشاهد الفسوح . ان الفتاة تولج بشكل خاص بالبكاء وسبب ذلك يعود الى ميلها الظهور بشكل الضحية وقد روى المولسنيور دو بانلوب يقول : «تحب الفتيات الصغيرات البكاء حيا شديداً لدرجة ان احدهن كانت تدعى للبكاء امام المرأة للتسرع بشكل مضاعف بلغة منظرها وهي تبكي» .

انها والحق لتجربة غريبة بالنسبة لاسنان كان يحس نفسه كشخصية مستقلة تصرف بحياته بكل حرية فيكتشف فجأة بأنه مكبل بقيود التبعية . انها لتجربة غريبة لمن يفترض كونه (واحد) مستقلاً مستعماً بكافة صفات الشخصية فيكتشف ان البرزة الرئيسية لطبيعته هي الشعور بالنقص تجاه الآخرين . وهذا ما يحدث للفتاة الصغيرة عندما تنرس في مدرسة الحياة فتشعر بأنها امرأة وان الوسط الذي تنتمي اليه مغلق عليها من كل جانب ، محدود الافق يسيطر عليه عالم الذكور . ومهما اتبعت من اساليب التحرر والمقاومة فسيكون دائماً فوق رأسها سقف يمنعها من الارتفاع ومستنصب من حولها جدران تحدد من حركتها وتقطع عليها السبيل . ان آلهة الرجل يفضون بعيداً عنه في أقاصي السموات لدرجة لا يشعر بوجودهم ، اما الفتاة الصغيرة فانها تعيش بين آلهة على صورة البشر .

أقد تقرر مصيرها ا فستصبح زوجة ، وأما ، وجة ، وستدرف على  
العناية بيبتها وبأطفالها كما تفعل أما تماما أما لم تتجاوز بعد الثانية  
عشرة من عمرها ومع ذلك فإن تاريخها مكتوب في السماء بحروف من  
نار ، وعلى مر الأيام ستكتشف مستقبلها السطحي دون أن تساعف في  
بنائه ، وأما لتسفر بالفضول المزوج بالخوف حين تفكر بهذه الحياة  
التي تحددت طبيعتها منذ الآن والتي تنقاد نحوها اقتيادا اعنى في كل  
لحظة تعيش فيها .

ولأ شك أن مصيرها المحكوم يدفعها لأن تهتم أكثر من أخواتها بأسرار  
وخطايا الحياة الجنسية ، هذه الأسرار التي تسفر شعورا مبهما بأنها  
تهدد جسها وكيانها . لقد تيدد سحر الأمومة وسواء اكتشفت اسرار  
الحياة الجنسية بصورة مبكرة او متأخرة فإنها تعلم أن الطفل لا يظهر  
مصادفة في بطن امه وانه لا يخرج منها بفضل العسا السحرية ، وأما  
لتهدس بقلق في هذه الأمور ، إذ لم يعد يبدو لها من الأمور المحيية  
الرائعة أن تولد في أحشائها اجسام طفيلية . نعم أن السؤال يدور  
ويدور في رأسها : كيف يخرج الطفل ! وحتى لو أما لم تسع من قبل  
بالأم الولادة فلا بد أن تكون قد قرأت كلمات الانجيل : «ستلهم في  
الآله» أما تسفر منذ الآن بالأم الولادة دون أن تتوصل إلى تحديد  
طبيعتها فتتخيل عددا غريبا من العطيات في بطنها وإذا ما اقترخت بأن  
الجنين سيقتذف من الخلف فهذا لن يكون من بواعث طمأننتها . وقد  
روي بأن بعض الفتيات الصغيرات أصبن بالقياض عسفي في الأمعاء اثر  
تصور طريقة الولادة ، كما أن الشروح الطفيلية المسيحية لأسرار  
التوالد لا تقدم أية مساعدة للطفلة لأن صور الجروح والتشقق والتزريف

لا تفك زاود مغيلتها كالكتابوس . وقد روت الكتابة الشهيرة (كوليت)  
ان لها وجدتها مغنيا عليها بعد ان قرأت في كتب (اميل زولا) وسلا  
مفصلا لعملية الوضع .

نوحى الصفات العيزالية للحبل والوضع ، بأنه لا يد وان يحدث  
(شيء جسائي) بين الزوجين . ان كتبة (الدم) التي تتردد كثيرا في بعض  
التأثير مثل «الولاد من نفس الدم ، دم اميل ، دم مزوج» توجه احياها  
مغيلة الطفلة فتفترض ان الزواج لا يتم الا خلال احتفال تجري فيه  
عملية نقل الدم بين الرجل والمرأة . لكن (الشيء الجسائي) يبدو مرتبطا  
في الطب الاحيان بعمليات التبول والتبرغ بصورة خاصة فيفترض الطفل  
ان الرجل يبول ضمن جسم المرأة ولذلك فانه ينظر الى الجساع كثيرا .  
(وسط) ويتساءل مع نفسه : كيف يقبل الراشدون القيام بمثل هذه  
العملية الوسطة ؟ لكنه لا يجد اي معنى للاجوبة القامضة التي يسمعا  
او يقرؤها ويبدو له ان كل شيء خيالي بعيد جدا عن الواقع . بل ان  
الخوف يداعبه في بعض الاحيان حين يشبه ان اهله وامسقاءه واسائذته  
يقومون بمثل هذا العمل . وفيما يلي اعترافات طفلة عن خواطرها حين  
اكتشفت هذه الحقيقة :

«حين حدثتني لاول مرة عن العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ،  
صرحت بأن هذا مستحيل لانه لو كان الامر كذلك لوجب علي والدي  
ان يقوم بها وانا اقدرها لدرجة لا تصور . . . فناديتا على مثل هذه  
الامور . لكنني اردت بأنه لا يمكن ان . . . فما على ذلك ابدا فهي عملية  
مفرقة للغاية . ولكنني اتركت بعد مدة كم كنت مخدوعة عندما اكتشفت  
ما يقوم به والدي . . . كانت لحظة نظيمة مؤلمة وكنت اغني وجهي تحت

الغطاء واسد اذني متنية ان اكون على بعد آلاف الكيلومترات من  
مكالي ا .

كيف يمكن للطفل ان يتقل من صورة اناس وفورين يرتدون  
الثياب ، اناس يرتدون كل يوم على مسامحة تعاليم العشرة والتحفظ  
والوقار ، الى صورة وحشين عازين يتعاقبان ويتصارعان ؟ ان في هذا  
تشكيك في هية الراسلين بزعر مكاتهم ومنزلهم الكبيرين . وكثيرا  
ما يرفض الطفل بعد هذا الاكتشاف المثير فيقول : « ان اعلي لا  
يفعلون ذلك » ويحاول في بعض الاحيان ان يضي على العلية صورة  
محتشة كما صرحت بذلك احدى الفتيات مثلا : « حين يريد الزوجون  
ان يزرعوا اطفالا فانهم يذهبون الى الطبيب فيخلعون ثيابهم ويسترون  
اعينهم بشريط من القماش كي لا يروا شيئا ، ثم يربط الطبيب الزوجين  
الى بعضهما ويرسد لهما يد العون لكي تسير الامور على ما يرام » اي ان  
الفتاة تحولت في مخيلتها العمل الجنسي الى عملية جراحية ، لا شك انها  
لا تجلب شيئا من المتعة لكنها تشكل عملا مشرفا في حد ذاته يعادل  
الزيارة التي يقوم بها كل انسان الى طبيب الاسنان . لكن الشك يتسلل  
الى قلب الفتاة على الرغم من الرفض والهروب وتحدث فيه ظاهرة مؤلمة  
تعادل الاكلام التي خلفتها فترة الغطام في نفسها لانها في هذه الحالة لم  
تفقد عطف اناس عليها فحسب كما كانت هي الحال بعد الغطام ، وانما  
تسهر وكان عالمها الخيالي الذي كان يحسبها قد اتاه من حولها ، فتجد  
نفسها بدون سقف فوق راسها منعزلة وحيدة امام مستقبل حالك الظلام .  
ومما يزيد في يؤسها انها لا تتمكن من تحديد تفاصيل هذه اللغة المبهمة  
التي تزرع تحنها بشكل كامل ، فالملومات التي حصلت عليها متناثرة



وغير مرتبطة فيما بينها والكتب متاقفة وحتى الفروح الفنية لا نستطيع ان نزيل الظل الثقيل العائل السود ، فهالك مائة سؤال بدون جواب : هل يؤلم العمل الجنسي ام يبحث في النفس اللذة والشهوة ؟ وكم من الوقت يستغرق ؟ خسى دقائق ام طوال الليل ؟ هل يقوم الناس بالعمل الجنسي كل يوم ام نادرا ؟ ومتى تحصل المرأة وكيف الخ... ان الولد يحاول ان يفهم كل ذلك بقراءة الكتب ومراجعة الفوليس وسؤال الرفقاء في جو يسوده القلام والانسئزاز . وقد اجري الدكتور (اليجان) استفتاء لدى بعض الفتيات فيما يتعلق بمعلوماتهن عن الحياة الجنسية فقالت احداهن :

«من اين يخرج الاطفال ؟ لقد تعلمت الجواب على هذا السؤال في المدرسة وشرحت حينئذ بأن ذلك يجب ان يشير الفرف والانسئزاز . ولكن كيف يأتون الى الدنيا ؟ كنا تصور ذلك كشيء غريب وحتى ، خاصة منذ ان سافقنا ونحن ذاهبات الى المدرسة في يوم من ايام الشتاء رجلا ارانا اعطاهم التناسلية وقال لنا وهو يقرب منا : «الا يبدو لكم هذا لطيفا يستهوي القضم ؟» وقد بلغ انسئزازنا من هذا الموضوع بعد هذه الحادثة حدا لا يحتمل ، وبقيت حتى سن الحادية والعشرين تصور ان الاطفال يأتون الى الدنيا من خلال السرمه .

وقالت فتاة اخرى :

اتحت بي فتاة من زميلاتي جانبا وسألتني : «هل تعرفين من اين يخرج الاولاد ؟» وحين اجبت بالنفي قالت لي : «يا لك من غبية .. ان الاولاد يخرجون من بطن الامهات ، ولكني يأتوا الى الدنيا يجب ان تقوم النساء بشيء مفرق تماما مع الرجل !» ثم فسرت لي معنى كلماتها

بالتفصيل وغير اني لم اسبق ما قالته لي الى ان حدث لي يوم من الايام  
ولمن نيام في نفس غرفة والدينا ، ان سمعنا ما لم اسفقه يجري بينهما ،  
فعمري الحياء واسبحت الخجل من والدي والشعر بالعصرة على اكتشاف  
هذه الاشياء المثيرة للاستنزاز .

يجب ان تضيف على ذلك بأنه حتى ولو تلقى الأطفال تعليماً مناسباً  
حول هذا الموضوع فإن حسن لية الأهل والأساتذة في فهم الأطفال  
دقائق العمل العاطفي لن تجدي لها لانه لا يفهم الا عن طريق الممارسة  
الحية . ولا شك انه بوسع الكتاب والطباء ان يكشفوا النقاب نظرياً  
عن غمهاى التوالد لكنه من الصعب عليهم ان يبينوا بنفس الوضوح اسرار  
النهضة الجنسية والحب الجنسي . كيف يمكننا ان نشرح لطفل لا يتسع  
بأي احساس جنسي ، معنى ولذة القبل والمداخيات ا يحدث كثيراً في جو  
الاسرة ان يتبادل اعضاؤها القبل وفي بعض الاحيان بواسطة الشفاه ،  
قلماًذا يثير هذا القاء الشهوة والشعور بالارتغاء ا لا شك ان شرح هذه  
الامور للأطفال يعادل التدرة على وصف الالوان للصبان ، وما دام  
الطفل ينتظر الى هذا الشعور بالافعال والرغبة الجنسية اللذين يعطيان  
الوطنية العاشقية معناها ووجدتها ، فان مختلفه عناصرها تبقى غريبة  
مبهمة مثيرة لاستنزازه .

تعرض الفتيات كثيراً في هذه الأيام بسبب انتشار عادة التعري امام  
الاعلى الى رؤية الاعضاء التناسلية للصبية والرجال في وضع الانتصاب  
وعلى كل حال يد وانهم لاحظن الاجزاء الجنسية للحيوانات فتشور  
تأثرهم حين يفهمون انه لكي تتحول الفتاة الى امرأة يجب ان ينفذ فيها  
عضو الرجل . ومن المؤسف ان عضو الحصان هو الذي تقع عليه

انظر من اكثر من غيره وهذا ما يدعونا الى تفهم اسباب فزع وقلق  
الفتيات امام هذه المناظر . الهن يتعرضن للخوف من الوضع والخوف  
من عضو الذكر ومن الازمات التي تهدد للتزوجين ويضربهن الاستمزاز  
لهذه الاسباب الوسخة العديدة المعنى . . كل ذلك يدفع الفتاة الصغيرة  
لان تصيح : «ان الزوج مطلقا وهذا يشكل امع دفاع تقوم به الفتاة  
ضد الالم والجنون والحياء .

وعلى الرغم من كل ذلك فان التحول لا بد ان يتحقق في سن البلوغ  
الذي لا تفهم البنت الصغيرة اي معنى له ولكنها تشعر في قرارة نفسها  
بان بعض الاشياء هي في سبيل التبدل والتحول في علاقات جسمها مع  
العالم الخارجي . انها تصيح حساسة تجاه بعض الاشياء التي تحتك بها  
وتجاه الواج خاصة من الروائع التي كانت لا تهتم بها في السابق ، وتر  
في رأسها الصغير بعض الصور الغريبة كما انها لا تتبين جسمها وشكلها  
الا بصعوبة امام المرآة ، انها تشعر في قرارة نفسها بوجود شيء مضحك  
فيها وقد وصلت مارغريت كندي في معرض حديثها عن إحدى بطلات  
قصصها (تيسا) هذا الاضطراب الغريب :

«وفجأة شعرت بعرق انها تعيسة للغاية ، وكانت عينها تنظر ان يطلع  
في ظلمة القاعة التي يتسرب اليها ضوء القمر من خلال الباب المفتوح . لم  
تعد تيسا تستطيع المكوث طويلا في الظلام فنهضت بقفزة واحدة وهي  
تصيح بصوت حاد : - اوه كم اكره العالم كله - ثم ركضت يطلع  
ويغضب نحو الجبال لتختبئ فيها يتبعها احساس حزين بغربة ما يفعل  
في نفسها ، وكانت تهمس قائلة وهي تتعثر على الطريق الوعرة : (كم اود  
ان اموت ، اريد ان اكون ميتة الآن) .

كانت تعلم انها لا تفكر بتفويض ما تقول ، فلم تكن لها اية رغبة في الموت لكن عطف كلماتها كان بمثابة ترضية خاصة لها ...

ان ما يحدث في هذه الفترة المضطربة هو ان جسم الطفلة يتحول الى جسم امرأة ويصبح مشغرا للشاعر الجنسية وبإستثناء حالات الاضطراب النفسي حيث تبقى الطفلة في مرحلة الطفولة فان ازمة البلوغ تدخل في حياة الفتاة حوالي ال ١٢ أو ١٣ من عمرها .

تبدأ هذه الازمة بشكل مبكر لدى الفتاة وتؤدي الى حدوث تغيرات جذرية هامة في حياتها وتنتشر خلال هذه المرحلة بالقلق والاشياء قبيحة اللحظة التي ينمو فيها تديها وشعرها ، يتولد لديها احساس بالخجل والحياء يطلب في بعض الاحيان الى شعور بالعزة والكرامة ، وببدي الفتاة بشكل مناجي . حياتها فتتغير ان تظهر عارية امام اخواتها او اماما وتلتصق نفسها ببعضه مزوجة بالفرح ، وترقب بقلق انتفاخ هذه التوتة الصلبة المؤلمة بعض الشيء . التي تظهر تحت حلسي الثديين ولا شك ان هذه الآلام الخفيفة ليست شيئا مذكورا امام عذاب الحروق والام الاسنان لكن الطوراني . والامراض والآلام كانت دائما شيئا غير عادي في حياة الانسان . هنالك اشياء تحدث في داخل هذا الجسم القوي ، انها اشياء لا يمكن ان توصفها بالمرض ولكنها مقررة بموجب قانون الحياة نفسه ومع ذلك فهي صراخ والام والحزن . ولا شك ان الفتاة قد تمت منذ الولادة حتى البلوغ لكنها لا تشعر بهذا النمو الا في فترة البلوغ ، كان جسدها يظهر لها يوما بعد يوم كشيء غريب ومفوس والتي نام . اما الآن فانها تتشكل وتتحول وهذه الكلمات نفسها تكفي لتبعث فيها شعور الهلع لان الظواهر الحيائية لا يمكن ان تبعث الشعور بالطمأنينة الا اذا

وجدت في حالة التوازن • لكن براعم صدرها المنقطة تدفع الفتاة الى الشعور بغموض كئيب • الحياة ، انها ليست ذهابا ولا لؤلؤا ولكنها مادة غريبة غير ثابتة في حركة مستمرة تتفاعل في قلبها بعض المواد الكيماوية غير الصافية • لقد تعودت على شعر طويل يتهدل كالحرير على جسها ولكن هذه النية الجديدة تحت ابطها وفي اسفل بطنها تحولها الى شكل وحش او شكل الطعوب المتناثر على سطح الماء وسواء كانت تعلم ما يخفي القدر لها او لم تعلم فانها تكتشف في هذه التبدلات والتغيرات حقائق تنتزعها من نفسها وها هي تجد نفسها الآن تسبح في بحر الحياة الذي يتجاوز في مداه وجودها نفسها ، ومن بعيد تراها تتحس صلة التبعية التي تربطها الى الرجل ، الى الطفل ، الى القبر • ويخيل للفتاة ان تمر التدين على هذا الشكل البارز هو في حد ذاته امر عظيم الفائدة وغير مرغوب فيه • اما الفراغان والساقان واليشرة والعضلات وحتى ايتاها المستديرتان اللتان تقعد عليهما كل ذلك كان له حتى الآن استعمال واضح صريح باستثناء العضو التناسلي الذي كانت تعتبره العضو المستعمل للتبول ، كان هذا العضو غريبا بالنسبة اليها ولكنه خفي غير مرئي بالنسبة للآخرين • وانما لتود لو اختلفت من بين الناس كي لا يلاحظوا تطورها وحالتها الجديدة ، فان الخوف ليطبقها من ان تصبح جسما ينفض بالعاطفة الجنسية وان تبرز معانها • يعكس هذا الخوف والاشمزاز لدى عدد كبير من الفتيات فيميلن على ان تصبح اجسامهن لحيمة ، ويمتنعن عن الاكل خشية السمنة وتصبح الاخرى خجولات يشكل مرضي فالدخول الى الرذعة وحتى الخروج الى الشارع هو عذاب بالنسبة اليهن الى غير ذلك من الضاعطات التي

تولد لدى الفتاة في فترة البلوغ - أما الأهل فيساهمون في تثبيت الخجل والخوف من مظهرها الجسدي وهذا ما يجعل الفتاة على أن تتصرف بخشونة ، وتحمر وجنتاها في كل مناسبة وقد روى (ستيكال) أن إحدى الفتيات كانت تحمر خجلا بصورة مرضية وعقبة للدرجة أنها خلال عام كانت تحصل ضلالات حول وجهها مدعية أنها مصابة بوجع الأسنان - وتعمل الأم في قلب الأحيان لتت نظر انتباهها إلى احتمال مجيء الطمث لديها ، الأمر الذي يزيد في ارتباكها وتعاثها وغالبا ما تكشف الأم لفتاتها عن أسرار الحمل والولادة وحتى العلاقات الجنسية لكنها لا تبذل أية معلومات عن الدورة الشهرية وهذا يعود إلى أن الأم نفسها تشعر بالاشمئزاز من هذه العبودية النسوية - كما أن الفتيات يحسبنهن مصابات بنفس في البطن أو نزيف مهبلي أو مرض متخجل حين يجدن في ثيابهن بقعا تشير الشك وقد ينتت نتائج التحقيقات التي أجراها سنة ١٩٩٦ هافلوك أليس أنه من بين (١٢٥) تلميذة أمريكية (٣٩) لا يعرفن شيئا عن الدورة الشهرية و (٣٩) اخذن عن الموضوع مبادئ أولية بسيطة أي أن أكثر من النصف كن في حالة الجهل التام ويقول هيلين دونش أن الأمور لم تتبدل عما كانت عليه سابقا في عام ١٩٥٦ فيضرب لنا هافلوك مثلا حالة الطفلة التي رمت بنفسها في البحر لأنها كانت تعتقد انها مصابة بمرض مجهول ، كما يروي لنا ستيكال في كتابه (رسائل إلى أم) قصة طفلة حاولت الانتحار حين دأبتها الدورة الشهرية ورأت الدماء تسيل على ساقها لأنها اعتقدت بأن هذه الظاهرة ليست سوى عقاب لها عن الذنوب التي تدنس روحها ، ومن الطيبي أن الخوف أصاب الفتاة فخيّل إليها أنها تفقد حياتها - ويقول كلارين وغيره من رواد المدرسة

البيكاثاليزية الانكليزية ان الدم يمثل في عيني الفتاة الجروح التي  
اسات الاضياء الداخلية .

تجرى الأمور بشكل ساقى بالنسبة لجميع الفتيات الصغيرات  
ويصاب اهلهم باللع والخوف لانه يحتم عليهم افشاء سرهن الى  
الآخرين وقد فسدت على سديدة لي انها كانت تعيش بدون ام بين ايها  
- احدى المطلقات فأمضت ثلاثة شهور بين الخوف والحجل تخفي سرها  
وتواليها الى ان فصح امرها - حتى الفلاحات الثوراني ينظر منهن ان  
يكن على جانب من الخبرة بسبب حياتهن الخشنة قرب عدد من اصناف  
الحيوانات الاخرى فان وقع الدورة الشهرية عليهن يماثل ما يحصل  
لغثبات المدن من خوف وارتيك ، وقد تعرفت الى مزارعة شابة ظلت  
خلال فصل الشتاء الطويل تفضل تياها خفية في الساقية المتجددة مرتدية  
قبضها البتل بالماء ، كي تخفي سرها الذي تعاقب الوبح به واني  
لاستطيع ان احرب امثلة كثيرة مماثلة على هذه الحالات النفسية المعقدة .

غير ان الاقرار والاعتراف بهذا السر امام الآخرين لا يعني خلاص  
الفتاة ولا شك ان الام التي سمعت بعبء ابنتها التي سألها بعض الامور  
قائلة : (ايها الفتية انك لانت صغيرة السن) ، هو أمر استثنائي في حد  
ذاته لكن الغلبة الامهات لا تعطي الفتاة الايضاحات الكافية فتبقى  
مضورة والارتيك امام هذه الوضعية الجديدة التي خلقتها الدورة  
الشهرية الاولى : فهي تتساءل فيما اذا كان السكيب يخياً لها مفاجآت  
مؤلمة اخرى او تخيل بانها منذ الآن تستطيع ان تصبح حاملة بمجرد  
الاحتكاك بأي رجل ، الامر الذي يجعلها تشعر نحو الذكور بملح وذعر  
شديدين - وحتى اذا اردنا ان نجيبها هذه التساؤل والاضطرابات وذلك

تزوئدها بالشروح الكافية فإنا لن نعيد السلام إلى قلبها بهذه السهولة قبل البلوغ وكان يوسع الفتاة أن تتخيل قبل البلوغ مع بعض سوء النية لها مجردة عن الشعور الجنسي بل يمكنها ألا تفكر على الإطلاق ، وقد يحدث لها أن تعلم بأنها ستفتح عينها في صبيحة أحد الأيام لتجد نفسها قد تحولت إلى رجل ، أما الآن فإن الأمهات والمعلمات يتهاسن وعلائم التحرش يادية على وجوههن : (أنا فتاة كبيرة الآن) . نعم لقد ربحت جماعة الأمهات المعركة ، : أنها تنتمي اليهن الآن . وها هي تنضم إلى صفوف الألاف من النساء ، كما يحدث أحيانا أن تشعر الفتاة بالتحرش نتيجة لبلوغها فهي تفكر بأنها أصبحت شخصا كبيرا وأن حياتها ستعرض إلى انقلاب كبير .



## الفصل التالي

# الفتاة المرافقة



تعرفت الفتاة خلال طفولتها الى مختلف انواع الضغط والحرمان ، ولكنها مع ذلك كانت تتحسن في قرارة نفسها وجود شخصية مستقلة لها . ففي علاقاتها مع اهلها واصدقائها ، في دراستها وفي العاجل في كل ذلك كانت تكتشف في نفسها تجاوزا : فلم تكن تفعل سوى العلم بسليتها المستقبلية . غير انها اكتشفت حين ادركها البلوغ ان المستقبل لا يقرب منها فحسب والى يستقر في جسها ويصبح واقعا ملموسا . منعقة من ماضيها الطفولي يترامى لها الحاضر الآن كمرحلة انتقالية لانها لا تلجح فيه اي هدف يمكن ان يستثير شعورها ومخيلتها . وبشكل عام تطحن الفتاة شبابها في الانتظار والترقب . انها تنتظر الرجل . لقد اكتفت الفتاة طوال حياتها بتفوق الرجل عليها وهذه السمة التي يتحلى بها الذكور ليست سرايا سيالها في خيالها بل تستند على اسس اقتصادية واجتماعية . ذلك الرجال هم اسياد العالم . جميع الاحوال ، وكل شيء يوجه المرافقة نحو هذا الاعتقاد ويقنعها بان مسلماتها تقضي عليها بان تكون تابعة للرجل ، فالاب فظهور بنجاح ابنته لدى الرجال والام ترى في ذلك اعلا في تأمين مستقبل مزدهر لابنتها والرفيقات يعجبن برفيقتهم

التي تحظى بالكثير فسط من إعجاب الذكور . فلي الشاهد الاميركية  
تفلس منزلة العالية بعدد المواميد التي تحصل عليها من الرجال . ان  
الزواج لا يشكل فقط مهنة مشرفة اقل تبعاً من غيرها وانا يسمح للفتاة  
بان تتبحر بكامل منزلتها الاجتماعية وان تحقق امالها الجنسية في ان تكون  
عشيقة واما في آن واحد . ومن التفت عليه اجساما ان الحصول على زوج  
هو اكبر مشروع بالنسبة للفتاة . ولا شك ان الزواج يعبر الفتاة من  
منزل اعلاها ومن سيطرة امها ويفتح امامها المستقبل بواسطة استسلامها  
السلي الراضى بين فراغى السيد الجديد . فهناك من يدعي ان الفتاة حين  
تستسلم بهذه الطريقة وتخلى عن شخصيتها فان ذلك يعود الى كونها  
اقل منزلة جنسيا ومعنويا من الشبان الذين لا تستطيع منافستهم . ولا  
شك ان البلوغ يطور جسم المراهقة فيصبح اكثر ضعفا من قبل ، اما  
الاعضاء الاثوية فهي اكثر دقة ونعومة كما يشكل الثديان بالنسبة للفتاة  
علا قليلا لانها يذكراتها في كل حركة خفيفة تقوم بها ، وكثيرا ما يسيان  
لها الآلام . ويطلق عدم توازن القراز الهرمونات لديها قلعا عسبيا  
مسترا ، كما تسبب لها ازمة الدورة الشهرية لما لا يحتل : اوجاع  
في الرأس اوجاع في العضلات آلام في البطن كل ذلك يجعل من العسر  
على الفتاة ان تقوم باعمالها العادية ، وبالإضافة الى هذه الآلام  
الجنسية تعسر الفتاة في الحب الاحيان باضطرابات نفسية فتصبح  
عصية المزاج سريعة التأثر ، وتفقد السيطرة على جهازها العصبي وجهازها  
السياتي وتحدث لديها اضطرابات في دورة الدم وبعض التسمات  
الذاتية بشكل يضع بين الفتاة والعالم لحداوة من الضباب الحرق يعجز  
عليها فيختفي وينصلها مما حولها . ومن خلال هذا الجسد الناحب

الطبي ترى الفتاة العالم المحيط بها وكأنه حمل تيريل يكاد يخنق الفاسياء .  
انها مضطهدة ومضورة بالالام غريبة عن نفسها بسبب شعورها بالفصالها  
عن العالم الذي تعيش فيه .

ان الذكر ينجأ الى المشاجرة وتبادل اللكمات حين يتعرض للاسائة  
او الى اية محاولة لاذلاله وانقضائه فهو لا يسمح بالتجاوز عليه من قبل  
الآخرين ، والتمف هو الدليل الحي الذي يبرز فيه شخصيته و ارادته .  
ولا شاة ان رفض العنف بشكل جذري يعني رفض كل حقيقة موضوعية  
والانحياس في الشخصية الخيالية ، وان الغضب والثورة اللذين لا  
يتجسدان في العضلات يطلان ضربا من ضروب الخيال . انه لحرمان  
مخيف ان لا يستطيع الانسان تسجيل حنقات والفرجات قلبه على سطح  
الارض . ففي جنوبي الولايات المتحدة لا يسكن للزنجي باي شكل من  
الاشكال ان يستعمل العنف تجاه البيض وهذا هو مفتاح (الروح  
السوداء) الفاضة الغريبة ، وهذه الطبقة تفسر تصرفات وسلوك  
الزنجي السلبية في المجتمع الذي حكم عليه ان يعيش فيه مقيدا سجيناً .  
وهكذا يتخذ العالم بالنسبة للراعين وجها يختلف عن العالم الذي  
تعيش فيه المراهقة حيث تحرم عواطفها من كل فعالية آتية . ويولد هذا  
الضعف الجسدي لدى الفتاة شعورا بالتقص يجعلها بصورة عامة  
طعونة منكشحة على نفسها ، فهي لا تؤمن بقوة جسها التي لم يتسن  
لها ممارستها ولا تجرأ على القيام باي عمل من اعمال المبادرة فلا تنور  
ولا يشكر بل تترك نفسها في عالم يسوده الاستسلام والخضوع . انها  
تقبل نظام الحياة المفروض عليها كما هو دون اي تغيير او تبديل . ولقد  
اتاحت لي فرصة التعرف الى فتاة شابة تلقفت تربية الرجال وكانت تتشع

بقوة جنسية استثنائية وكانت تعتقد انها تساقط الرجال قوة واقتدارا وعلى الرغم من انها كانت جميلة وان العادة الشهرية كانت تعرضها شعريا لفتى الالام العنيفة ، فانها لم تكن تمي او تسلم بانوثتها فكانت تتصرف بنفس الصف والاندفاع وتقوم بنفس الاعمال التي يقوم بها الشباب ولم تكن تتردد في الدخول في مشاجرات على طريقة الصبيان . لكن تجربتين مؤلمتين تعرضت لهما في تلك الفترة كانتا بالنسبة اليها دافعا لكي تسلم وتؤمن بان القوة هي بجانب الذكور فانهارت تحتها بنفسها حين اضطرت الى الاعتراف بقوة الذكور ، وكان هذا بداية عهد جديد تطورت خلاله نحو حالة الاتوثة والسلبية وقبول صفة التبعية .

وهكذا نرى بان الحالة البيولوجية للمرأة تشكل بالنسبة اليها حاجزا يحول دون شعورها بشخصيتها المستقلة . ان الضعف العصبي وعدم التوازن الدموي لا يحول بينها وبين ممارسة اية مهنة . فبين الذكور انفسهم يوجد عدد مختلف من الطباع والامكانيات، والاضطراب الذي يصيب الفتاة خلال يومين من كل شهر حتى ولو كان مؤلما لا يمكن ان يعد عائقا لها ، والواقع هو ان عددا كبيرا من النساء توفقن بين حالتهم كمناء وبين عملهن في الحياة . فترى المرأة تمارس مختلف المهن الصعبة وتساغر وترهن نفسها كالأرجال ، ومع ذلك فان ضعفها الجسدي لا يسمح لها بمزاولة اصناف العنف، فلو كان بإمكانها ان تثبت شخصيتها وتتصرف كما تريد في المجتمع الذي تعيش فيه تمارس السباحة وتسلق الجبال وتقوم بالطائرات وتتنازل ضد العناصر الطبيعية وتعرض للاخطار والمغامرات ، اذا استطاعت ان تفعل ذلك فانها لن تشعر بهذا الخجل والمقارنات ، اذا استطاعت ان تفعل ذلك فانها لن تشعر بهذا الخجل او بهذا الضعف الذي تكلمت عنه . ان الحالة الاجتماعية العامة للفتاة

هي التي لا تترك لها أي مجال لأبرار شخصيتها واليات وجودها بل  
تؤكد على العكس مركب النفس الذي بدأت تنشر به منذ طفولتها .

بل إن هذا التركيب يحتم على حياتها من ناحية أخرى ليعيق تطورها  
الروحي والفكري . وقد لوحظ أن الفتاة تبدأ ، اعتباراً من بلوغها ، في  
التأخر عن الرجال في الميادين الفكرية والفنية . هناك عدة أسباب لذلك  
وأهمها أن المرأة لا تصادف من حولها التشجيع الذي يحظى به اخواتها  
في على العكس من ذلك يشجعها الأهل والأسدقاء على أن تظهر بظنهم  
(المرام) ، وشحنهم عليها نتيجة لذلك أن تقوم بالإضافة لعملها المنهي  
بالواجبات التي تفرضها عليها أن تكونها فتؤدي الأعمال المنزلية والواجبات  
الاجتماعية التي لا تتردد الأم في فرضها على الطالبة والمعلمة ، الأمر  
الذي يؤدي إلى إجهادها جسدياً ومعنوياً . أما نطلب من الفتاة أن  
تبقى في البيت وأن تصرفه بشكل لا تفي فلا تشجعها على أن تختار بنفسها  
طرق الهوفا ولعبها ، ومن الشائع أن ترى نساء ينظمن لوجهن فرحة  
طويلة أو سفرة على الإقدام أو على الفرجة أو يمارسن لعبة بريمة  
كالبيارد أو الكرة الخ... وإذا سارت المرأة في الطريق فالجميع ينظرون  
إيها ويراقبونها وإذا ما خطر للطالبات التزود بجنتحات في التسوارح كما  
يفعل الطلاب فإن هذا يثير دعشة المارة إذا رأوا هذه الجماعات تتبختر  
في الطريق وتضحك أو تأكل تامة أو تتكلم بصوت عال ، كل هذا يند  
القارة . وقد يتعرضن للسياق أو إلى شتى أنواع الإهانات البذيئة إذا ما  
سولت لهن القسطن الاستمرار في هذا النهو البري . ويروي أن بعض  
الفتيات اللواتي لم يكن أعمارهن تتجاوز الرابعة عشر كن يؤكذن أن  
للمسيان السعد حقا منهن ، وهذا الانتقاد يشجع على الكسل والضمول .

والقد روي ان فتاة اعتادت ان تحصل على احد الرجال بسبب جبهه  
وحين تمت نظرها الى انها حياة اجابت : «اوه ان المرأة شيء آخر» .

ان السبب العميق لهذا الشعور بالانهزامية يكمن في ان المراهقة  
لا تعتقد انها مسؤولة عن مستقبلها ، فلا تحصل نفسها اكثر من طاقتها ما  
دام مصيرها معلقا بمصر شخص آخر ، انها لا تربط مصيرها بمصر  
الرجل لانها تشعر بضعف تجاهه ، بل تقبل على العكس بفكرة ضعفها  
تجاهه لان مصيرها مرتبط بمصيره .

يختلف رد فعل الفتاة المراهقة على وضعها الجديد ، من فتاة لاخرى ،  
(للمرأة الصغيرة) التي تعد نفسها لكي تكون اما ، لتسلم بسهولة ثامة  
الى نتائج التحول الفجائي الذي طرأ عليها ومع ذلك فقد تكتسب هذه ،  
من ظروف حياتها ، ميلا الى السلطة يدفعها الى الثورة ضد سيطرة  
الذكور فتراعا مستعدة لتأسيس اسرة تخضع للسيطرة الاموية لا لكي  
تصبح وسيلة للمتعة الجسدية ، والقيام باعباء المنزل . وهذه الحالة  
تصادفها لدى الفتيات البكر القراني تحصل اعباء ومسؤوليات هامة وهن  
صغيرات وحين تكتشف (المتسي المائل) في نفسها شخصية المرأة ، تنس  
في بعض الحالات بغية امل شديدة يمكن ان تقومها مباشرة الى مزاوله  
التسابق .

مقابل هذا الشعور بالنقص تكتشف المراهقة مدى سلطان وضعها  
السلفي الذي تعيش فيه ، فتسزج بالخجل الذي يوجه اليها جسدها ،  
عاشة الزهو والاعجاب بنفسها . هذه اليد التي اثرت اتصالها ، وهذه  
النظرات التي اضطربت لها نفسها انها هي تدها ورجاء ، قيتراهي لها

جسدها وكأنه يستع بفضائل سحرية ، انه كثر ، انه سلاح ، وهي فقورة به . واذا بها تبدأ بالتبرج والتزين فتصنف شعرها ، وتدرس انسابها من خلال المرأة ، ثم تولع بجسدها وكأنه جسم انسان آخر فتداعيه وتقبل اجزائه وتمعن النظر في صدرها وساقها ، ونحن نراها تشد العزلة كي تنعم في التلذذ بفنائن جسدها ، وتبر عن ولعها بنفسها . وهي تحاول بواسطة بعض الحركات المملدة تسجيد جسدها من خلال الاطباخ والمديح اللذين تقاضاهن من الذكور ، ولقد اصبح من عادة القول الاشارة الى ان الفتاة تريد ان تكون جميلة كي تعطى باعجاب الرجال وانها تحاول ان تعطى بالاعجاب للتأكد من جمالها . وفي عزلة غرفتها او في اللتديبات حيث تسمى الفت الاطوار اليها لا تفصل الفتاة رغبته في الرجل عن حبا لذاتها . ولقد روي ان فتاة كانت مولعة بنفسها منذ الخامسة من عمرها ، فكانت تعجب يديها ووجهها ورشاقته ، وكانت تقول :  
 والتي بظلة تسي ٥٠٠٠ ، وكانت تطمح في ان تصبح مغنية لكي ينظر اليها الجمهور باعجاب . وقد وقعت في الحب منذ الثانية عشرة من عمرها فحلمت مثلا بأن الدوق (هد) الذي تحبه ، دون ان يكون قد تكلم معها مرة واحدة ، يركع تحت قدميها : «سيهرك جمالي وستحبنى ٥٠٠٠ ولا تليق الا بالمرأة التي آمل ان اكولها» .

ولا يتجسد تقييد الذات بعبادة الفتاة لجسدها ، وانما تنسى ان تمتلك وتتمتع بنفسها من كافة الوجوه . وهذا هو هدف البيوميان الخاصة التي تفرغ فيها احاسيس وروحها العميقة السرية . وتتكلم الفتاة مع دفتر مذكراتها كما كانت تتكلم في الماضي مع صديقتها ، فهو الصديق وكانم السر ، تخاطبه كما لو كانت توجه الكلام الى شخص طيب .

واقفا لنلمح من بين السلور بعض الحقائق الغنية المجهولة عن حياة الغنائة الخاصة ، وكثيرا ما تكتب الغنائة على خلاف دفتر يومياتها العبارات التالية : «قرأ بعد موتي» او «بحرق بعد موتي» . ويبدأ ميل الغنائة الى الغناء وكتمان امور حياتها الخاصة منذ السنوات القليلة التي تسبق سن البلوغ وتتعاطم هذا الميل شيئا فشيئا حتى تصل الغنائة الى درجة الانزواء التام عن كل ما حولها . فترفض ان تبوح لأحد بأسرارها ، وتعتزل العالم لتخيل نفسها واقصة شهيرة مثل (ناناشا) بطلة تولستوي او قديسة مثل (ماري لينرو) او تكتفي باختيار نفسها روضة من روائع الدهر . وهناك على الدوام اختلاف كبير بين هذه البطلة والصورة الحقيقية التي يعرفها بها أهلها واصدقائها وهذا ما يدفعها الى الانتقال بانها غير مضمومة فتريد من عزلتها ، وتخيل نفسها مختلفة عن الآخرين ، واعلى منزلة منهم وان المستقبل كليل بان يعرضها عن شغلها الوظيفي .

الا ان هذه العيادة الانزوائية التي تكتنها الغنائة لنفسها ، لا تخفي بحاجاتها . ولا بد لها كي تشبع رغباتها من ان تعيش في نفس انسان آخر ، فتشيد العون لدى رفيقات سياتها ، لان صدقة القلب تساعدنا على الهروب من جو الامومة التي تعيش فيه لتكتشف العالم الخارجي ، وخاصة عالم الجنس . وتتعري الفتيات امام بعضهن البعض كما والدتهن سياتهن ويقارن بين محاسنهن وخاصة صدورهن واملنا لا تزال نذكر بشهد نساء (فتيات باليرة السكرية) الذي يكشف لنا عن العاب الفتيات العربية حيث تبادلن المعامبات الجنسية ، وكما اوضحت كولايت في كتابها (كولدين في المدرسة) . فان هنالك ميولا متحققة لدى غالبية الفتيات ، وهذه الاتجاهات لا تتميز الا ببعض الشرء من مظهر حب



النفس الرئيسية فهي تجد لدى الطرف الآخر نعمة جسديا نفسها ،  
وتقاطع جسديا التي يرغب فيها الرجال . والمقابل تعبر الفتاة بواسطة  
حياتها لنفسها عن عبادة وتقديس الانوثة بصورة عامة . ولا شك ان  
هذا هو السبب في ازدهار عادة (المداقات الخاصة) بين الفتيات في  
المعهد والمدارس والمعامل وتتصف بعض هذه المداقات بالروحية  
الخالصة بينما يكون البعض الآخر منها جسديا بحتا . ويقتصر الامر في  
الحالة الاولى على تبادل الاسرار بين الصديقتين وتقطع الفتاة صديقتها  
على دفتر مذكراتها كدليل على منزلتها لديها . وكثيرا ما تلجأ الفتاة الى  
تقديم دليل حسي عن حبها لصديقتها ، فمن لرى مثلا في قصة توالستوي  
ان نانسا تحرق ذراعها بواسطة مسطرة محجرة كالجمر لتثبت حبها  
لسويا . وتطلق الفتاة بصورة خاصة على صديقتها شتى النعوت  
والصفات الرقيقة الثيرة كما تبادل معها رسائل تطمح بالعواطف البيضاء .  
وقد اورد (مندهوس) في كتابه (روح المرافعة) عددا من هذه الرسائل :  
«عزيزتي سوزان : كم انت جميلة يا صديقتي ، كم انت جميلة ! وقد كنت  
كالخطيبة الالهية السعرة تشبهن ازهار الوردان . ان منزلتك عندي  
تفوق منزلة الفتاة العادية ، لانه كنت رمزا لعدد من الاشياء الجميلة  
الرفيعة ... وهذا هو السبب يا سوزان البيضاء في اني احبك جدا صافيا  
مجردا يتضمن نوعا من العاطفة الدينية »

وتعترف فتاة اخرى في يومياتها فتحدثنا عن شعورها بالضعفالات اقل  
رفية وتجردا : «كنت هنالك تلفظ حول خصري هذه اليد البيضاء  
الصغيرة بينما كانت يدي مسترخية على كتفها المدور وذراعي فوق  
ذراعها العاري الداليه ... ملتصقة بنعومة ثديها وامامي فيها المنتح

عن اسنانها الجميلة ... كتبت ارتعش واحس بأن وجهي يلتصق ...

وقد تبحث الفتاة عن مصدر آخر من مصادر اتباع عواطفها في طور المراهقة ، فيقع اختيارها في كثير من الأحيان على إحدى معلماتها التي تكبرها سناً ، والتي لها قسط من التجربة في الحياة ، وتصلح لكي تعوضها عن الرجل الذي تمجبه به ولكنها تغافه وتخشاه . وتفضل الفتاة ان تكون صديقتها الكبيرة عزباء ، لا علاقة لها بالرجال ، لانها تحرم من الا يكون موضوع حبها وتقديسها طامساً لزوج او عشيق . وتدور غالباً حوادث هذا الحب القريب في الخفاء ، او على الاقل بشكل عذري ، لكن الانتقال الى ممارسة العلاقات الجنسية العظيمة ، هو اسهل في هذه الحالة مما لو كانت العلاقة بين فتاة ورجل . ذلك ان جسم المرأة لا يبعث الوجل في قلب الفتاة الصغيرة لانها قد اعتادت عليه منذ سفرها بواسطة احتكاكها مع امها واخواتها ، كما ان الاضطراب الجنسي الذي تشهده المرأة لدى الفتاة الصغيرة لا يتميز بصورة عامة بالعنفه ولا تنتشرط المداعبات التماسخية عليلتي ازالة (البكارة) والاختراق كما هي الحالة في علاقات الرجل بالمرأة وهكذا فان الفتاة الصغيرة تتسبح عطشها للجنس دون ان تصاب بأية تحولات جديدة مزعجة او تشعر بأي تنازل من طرفها، وهذا ما تعبر عنه هذه الايات الشعرية (الرواية فيليان) حيث تصف فيها علاقات (النساء اللواتي حلت عليهن اللعنة) مع عشيقتهن :

اجسامنا هي لاجسامكن مرآة الخوفة

فيلانا الهلالية تصف بالنعومة الضاحجة

اصابعنا لا تؤذي مطلقاً زغب الوجنتين

وفي وسعنا حين ينحل الزنار

ان نكون في نفس الوقت عشيقات وانخوات

والواقع هو ان الفتاة المراهقة ، توجه اول حب لها نحو المرأة ، لانها تحسى العنف والافتصاب ولا بد بالطبع ان تسفر كل علاقة بشرية عن وفروع الخلافات وكل حب عن حدوث بعض مظاهر العنف . وقد تتطور العلاقة بين الفتاة والمرأة فتصبح حيا ملتهايا ولكن الفتاة بصورة عامة لا تطر الى علاقتها هذه كمرحلة انتقالية تتلقى خلالها مبادئ الحب الحسي وتلعب فيها ادوار الغيرة والغضب ، والكبرياء والفرح ، وكأنها تلك بذات ما تعلم يحدثه في المستقبل خلال علاقتها مع الرجل الذي لم تسبح لها الفرصة في مخالطته ، والتي لم تول تنظر مجيئه .

يسبب الرجل لب الفتاة امجابا ، لكنه في الوقت ذاته يبعث فيها شعور الخوف والتوجس . ولكي نستطيع ان نوفق بين هذه المواضع المتناقضة ، تلجأ الى التفرقة بين شخصية الذكر الذي يغيبها وبين الصورة الوهمية المشعة التي تقدمها بورع وخشوع . ولذلك فان الفتاة تصرف في هذه المرحلة من حياتها بكل خشونة وفضاحة مع رفاقها الذكور ، وتعيد من بعيد عددا من الرجال الذين لا يمكن ان تقوم بينها وبينهم علاقة جنسية عملية . كسائل السبنا ، او بطل ميت او حي وفي بعض الاحيان يقع اختيارها على رجل يتبع بمنزلة فكرة او اجتماعية دون ان يوحى مظهر جسده في نفسها اي ميل جنسي ، كاستاذ مسن مضحك ، او رجل دميم الخلق ، متواضع المركز الاجتماعي الخ... فتحبه بشكل تشبع فيه غرائزها الرئيسية دون ان تضطر الى انشاء

علاقات جنسية معه . وقد اورد (هر دوغلي) قصة فتاة جميلة مثيرة  
لاعجاب القيان ، يسكنها بكل سهولة ان تقيم علاقات عاطفية مع الشبان  
المحيطين بها ، لكنها مع ذلك فضلت منذ الثالثة عشرة من عمرها ان تحب  
فتى عاديا عمره / ١٧ / عاما لم يوجه اليها بعبارة اية كلمة . فحصلت  
الفتاة على صورته وسجلت عليها بنفسها الاهداء ، وطلت خلال ثلاث  
سنوات تقريبا في مذكراتها تجاربها الخيالية معه : كانا يتبادلان القبل ،  
وكثيرا ما تحدث بينهما علاقات خيالية ، فتتوهم بنتيجتها الممزوج من  
عيني الفتاة الي درجة الاحمرار ثم يتسالمان ، ويهديان الزهور لبعضهما  
الآخر . . . . . وحين يغير حبيبها عنوانه تكتب اليه رسائل تحفظها في فراشها ثم  
تجيب عليها بنفسها . . . . . ولا شك ان هذه القصة تعبر بوضوح عن رغبة  
الفتاة في نحاشي التجارب الجنسية الحقيقية الواقعية التي كانت تخيلها  
وترهبها .

تعثر الفتاة بلفت اعتمام الذكور واتارة اعجابهم وقد تنور لآثرها  
اذا الجذبت نحوهم واعجبت بهم . لقد تعلمت الحياة والخجل في سن  
البلوغ وسيظل الحياة خلال حياتها متزوجا بحب اتارة الاعجاب والزهو  
بنفسها ، فتطرات الشباب تسبح رغبتها وتخرج شعورها بنفس الوقت .  
ولا تود ان تقع العين على جسمها الا بالقدر الذي تود اظهاره ، ومن هنا  
تنشأ هذه التناقضات في تصرفات الفتاة التي تحب الرجال ، فهي تبالغ  
في فتحة ثوبها العليا وتتمدد ابراز ساقها لكنها لا تلبث ان تحمر خجلا  
وتشور غضبا حين تقع عليها عيون الرجال . وانما لتظهر وتتفنن في اتارة  
رغبة الرجل لكنها لا تلبث ان تتراجع باستمرار حين تشعر بذلك ، ان  
رغبة الذكر تجاهها هي لعانة والحجاب لها في نفس الوقت ، وهذا هو

معنى الحياة الاصيلي الذي يتداخل بشكل محير مع مختلف وسائل  
التبرج وشنى وسائل التفتن في اثاره الاعجاب .

تستطيع الفتاة ان تقوم بحركات وتصرفات مثيرة مدعومة حين لا  
تسعر بان مبادواتها تكشف عن سلبيتها وضعفها ولكن حين تسعر بذلك  
زاعها تخافه وتكتمش على نفسها . انها ربما في التخلي عن لوانها لكنها  
لا تثبت ان تصلب وتقتل الرغبات وقد تسعر احياها بالشهوة الجنسية من  
خلال جسما الذي لم يبلغ بعد مرحلة التوازن والاهل لها رقيقة مسرة ،  
واحيانا اخرى كالهيا هي مزيج مكرب . وقد تثير القبلة افعالها في البدء  
ثم لا تثبت ان تصحكها فجأة ، وانها لترضى منح الرجل قبلة لكنها لا  
تردد في ان تسبح فيها بالشمزوز بعد ذلك . وكثيرا ما تبدو مبتسة  
رقيقة عذبة ثم تتحول فجأة فتصبح متعكة عدائية وهي تبذل في كل  
مناسبة الوجود بدون حساب ثم تنسى الوفاء بها بكل بساطة . لم تعد  
الفتاة تعيل في هذا الطور من حياتها ان تكون طفلة ، لكنها ترفض بنفس  
الوقت ان تصبح رائدة ناشجة فهي تنغم نارة على تصرفاتها الصيانية  
وتثور نارة اخرى لاستسلامها كالمراة : انها في وضع يفسرها الى اتخاذ  
موقفه الرفض المستمر .

هذه هي الميزة الرئيسية للفتاة في هذه المرحلة من حياتها . وهي  
تطينا صبورا كاملا لتصرفاتها وسلوكها في المجتمع . انها لا تعيل المصير  
الذي يعمده لها المجتمع والطبيعة ، ولكنها لا ترفضه مع ذلك بصورة  
ايجابية لانها مزعجة الثقة في قرارة نفسها بشكل لا يجرأ على التذوق  
في صراع مع العالم الخارجي فتكتفي بالهروب من الواقع او الاحتجاج  
عليه ومعارضته بصورة رمزية . ان كل رغبة تنسى بها ، تزودج بشعور

طافح بالقلق والتردد ، فهي تلهف على الاندفاع في حياتها الجديدة لكنها تخشى في المقابل ان تقطع صلاتها مع ماضيها ، وهي تسيئ ان تحصل على فارس احلامها لكنها تخاف ان تصبح قريسته . وراء كل شعور بالحنوف تكمن الرغبة في الهالك عليه ، فالانتصاب يثير هلعها الشديد لكنها تمنى الى الاستسلام .

وتشكل الرغبة في الهوى والسخرية مطهرا من مظالم معارضة الفتاة المرافقة لعائلتها وكثيرا ما ترى فتيات المدارس يشجون مقهقهات ضاحكات حين يسمعن القصص العاطفية او حين يتحدثن عن مغازلات الرجال لهن ، او حين يلصحن عاشقين في حالة العناق . واقد اتبحت لي الفرصة في التعرف الى بعض التلميذات القواني ضصدن عن عهد حديقة الوكسيبورغ ويشجون في سر العناق للضحك لا اقل ولا اكثر ، كما ان البعض الآخر يدفعن الى الحمايات التركية لتتاح لهن فرصة الضحك والتهكم على السيدات ذوات البطون الفخمة الثقيلة . ولا شك ان هذا الميل الى التشهير اجسام النساء والتهكم على الرجال والضحك والهوى من الحب ، ما هي الا وسيلة من وسائل انكار الحياة الجنسية والظن بما كما تهدف من وراء هذا الضحك والمرح الى التقلب على ضيق المرأة واندفاع عواطفها ، فهي تلعب بالصورة وبالكلمات لتبديد عن ذهنها الالهواء وسحره الخطير .

ويلاحظ غالبا لدى الفتاة في هذا الطور من حياتها بعض الالهواء الفذائية الغريبة : فهي تأكل رصاص الاقلام ورؤوس القطع الخشبية وبعض الحيوانات البحرية الحية وتبتلع عشرات حبات الاسبرين وقد تبتلع الذباب والعنكبوت . ولقد تعرفت الى احدى الفتيات التي كانت

سهلحة في تحضير مزيج كريمة من القهوة والنيذ الأبيض ثم تفسر نفسها على ابتلاعه وفي احيان اخرى كانت تلجأ الى تناول قطع السكر بعد نطسها في الخل ... وتلجأ الفتاة في بعض الحالات الى اسابة فخفها بعروج بواسطة مومس الحلاقة والى حرق جسها بواسطة لفاقة تبغ مستعملة الخ...

تعد هذه الحالات السادية استيقا للتجربة الجنسية وتسرنا عليها فهي تفكر بأن تحمل هذا العذاب يضاعفه مقاومة الجسم ضد كل طاريء في المستقبل بما في ذلك ما يحدث في ليلة الزواج ، انها تعلم بانها معدة لتكون فرسة مسلوبة الارادة ولذلك فهي تطالب بالحرية حتى في حقها في تحمل الامم والشعور بالانسئاز . وهي حين تفرض على نفسها آلام الرضوض والحروق والعروج ، تحتج بذلك ضد عطية الاحتراق التي سترمل بكلماتها . وقد تبلغ ثورة الفتاة ضد وضعها السلسي حدا يدفعها الى ارتكاب اعمال خطيرة جدا . فعدد كبير من الفتيات العذارى مصابات بمرض السرقة ، ويمثل هذا المرض ميل الفتاة المراهقة الى مخالفة القوانين والاعتداء على كل ما يقدره الناس . انها حين تأخذ اشياء لا حق لها بما تؤكد بكل وقاحة استقلالها وتفرض شخصيتها تجاه الاثياء السروقة والمجتمع الذي يحرم السرقة كما انها ترفض بسملها هذا الخضوع للنظام السائد .

يحدث كذلك كثيرا ان تهرب الفتاة بعيدا عن منزل ابويها فتضيب ثلاثة ايام او اكثر ثم تعود من تلقاء نفسها وهذا المصل لا يعبر عن رغبتها في قطع العلاقات نهائيا مع اهلها وانما هو تمثيلية يظن لها ان تمثلها لتثبت شخصيتها المستقلة تجاه ذويها . وقد يصاحب هذا الهروب

مضاعفات خطيرة فتتحيل الفتاة نفسها غاية وتلب هذا الدور فتسرع وتزين بشكل يفت النظر وتطل من النافذة موجهة نظرات الانغراء الى المارة ، كما تترك في بعض الحالات البيت وتقوم بتشيل الدور عليها .  
ان هذا السلوك يعبر في الغالب عن استنزاف الفتاة من الاحساس الجنسي وشعورها بالانتم بسبب ما تحس به فتقول لنفسها : ما كنت افكر بهذه الامور واحس بهذه الرغبات فان الغاية لا تقل منزلة عنى لاني مثلها غاية .

وفي بعض الاحيان تشعر برغبة شديدة في الاعناق من هذه الوضعية التي تعيش فيها ، فتسعى الى التحرر قائلة لنفسها : لنته من هذه الامور ، ولنذهب الى اقص حد ممكن ، انها تريد ان تثبت لنفسها ان الحياة الجنسية ليس لها اية اهمية لديها ، فتعرض نفسها لاول رجل تصادفه في طريقها .

الا ان الفتاة لا تقتصر على المعارضة السلبية لعائلتها المفروضة عليها فربما بل تسعى في نفس الوقت الى تمويض ما ينقصها في الحياة ، وسد الفراغ الحاصل في حياتها الجديدة ، فتلجأ الى التشيل والخداع والتلاعب ، ولعل هذا هو السبب في انهاها بالمرارة والكذب واختلاق الحكايات والقصص . والواقع ان المجتمع هو الذي يفرض عليها التكم والتشيل والكذب .

حين تبلغ المرأة السادسة عشرة من عمرها تكون قد اجتازت وطأت محنا عديدة مؤلمة : البلوغ - الدورة الشهرية - تنبه الحس الجنسي .  
اولى الاضطرابات الجنسية - الحس الاولي - المخاوف - الاستنزاف -



التجارب البشعة وكل ذلك اضطرت الى كتابته في قلبها فتمثلت ان تحفظ باسرارها لنفسها بكل غاية . ولا شك ان مجرد اضطرابها الى اخفاء مناقيلها الصحية والتكتم حول مواعيد دورتها الشهرية يدفعها الى الكفب والسبيل . يقص طينا (بورن) ان نيات امريكا اللواتي كن يمشن حوالي عام ١٩٠٠ كن يتسمن المرض فيتلعن مزيجا من الملح والبيون لايقاف دورهن الشهرية رغبة منهن في الذهاب الى الحفلات الراقصة . لان الفتاة تعاف من ان يشعر الشبان بحالتها من خلال الهالة الزرقاء اللعينة بعينها العتيق ومن الرائحة التي قد تنتشر في بعض الاحيان . انه لمن الصعب في الواقع ان تلعب الفتاة دور المعبودة والجنية والاميرة العالمة حين تحس بوجود قفلة من القساوي الداية ما بين فخذها . ان التبرج والتزين وتجاهيد الشعر المزينة وحوامل التمجين المتلوخة بشكل مبالغ فيه هي عبارة عن الآداب ، حتى ان الوجه نفسه يظهر وكأنه قناع ، فترى نماير الفتاة تتغير من موقف الى آخر بشكل يدعو حقا الى الامتعاب فتتحول نظراتها فجأة من التحديق والتركيز الى الاسترخاء والظهور بمظهر الفتاة الشطرة التي اعلامها المستسلمة لمصرها المحتوم وإسماة عذبة تدور على شفيتها : انها تنتظر وجميع حركاتها وسكناتها وإتساماتها تعبر عن الدعوة والنداء ، انها لم تعد سوى زهرة معروضة او ثمرة خان قطانها .

والرجل لا يفتأ يشجبها على ضروب الانواء والانواء لانه يجب ان يكون قريبة لها ولو ابدى بعد ذلك استياءه وانهم المرأة باصطناع وتشل هذه الطرق الملتوية . ان المرأة حين ترى بان جميع الطرق مسدودة في وجهها وانها لا تستطيع ان تفعل وانما يجب عليها ان تكون :

تسمر وكأن لمة تجثم على صدرها . انها تعلم بعدم وجود اية مسؤولية على عاتقها وان لا أهمية لها في عالم الرجال الذي تعيش فيه : وما دامت لا تستطيع ان تقوم بأي عمل جدي فانها تضطر الى حيك القصص والاقاويل فتتهك نفسها كالأطفال الصغار يشاهد الغضب والتورق والدموع وتصنع المرض ، وتظهر الاضطرابات الهستيرية لتلفت الانتظار اليها وتثبت انها شخص له قيمة في الحياة . ثم هي تتدخل في مصير الآخرين لأن كل سلاح جيد بالنسبة اليها ، فتفشي الاسرار وتخترع الاقاصيص وتغنون وتغتاب ، انها بحاجة لخلق جو المأساة فيما حولها لتسمر بانها تعيش ما دامت لا تستطيع ان تستمد العون من حياتها الداخلية . وقد تطرف فتتسك بكل شيء بعباد واسرار دون اية مهادة او مساومة ، فتولع بما هو نهائي ومطلق لانها ما دامت لا تستطيع ان تتصرف في مستقبلها فهي تشد التوصل الى ما هو مطلق وخالد . وان اتنازل مطلقا ، واريد ان احصل دائما على كل شيء ، هذا ما كتبه (ماري ليفرو) . ان هذه الامبريالية المسيانية لا يمكن ان تصادف سوى لدى الشخص الذي يعلم بمصيره لأن العلم يحدد الزمن ويعلم التغيرات وهو بحاجة الى التضخيم والمبالغة لتعويض واقعيته للتمتعة . ان التنازل تود لو تحصل على كل شيء ، سبب عدم وجود اي شيء يربط بها وبشيءها ، ومن هذه الطبيعة تستمد التنازل تجاه الراسخين والرجال بصورة خاصة صفة (الولد الشيطان) . انها لا تقبل اي تحديد يُعرضه عليها شخص آخر ضد دخولها الى عالم الواقع بل هي تتحداه وتدفعه الى تجاوز تلك الحدود ، وهكذا فان هيلن تينتر من سولنيس ان يعطيها ملكة (من كتاب سولنيس البناء لابسن) . ان فرد هذه الملكة لا يقع على عاتقها ولذلك فهي

تردعها سطوة بدون حدود والطلب منه بأن يشيد لها أكبر وأعلى قلعة في الوجود وأن يصعد إلى القمة : أنه يتردد في التسلسل خوفاً من الانهيار أما هي التي ستبقى على سطح الأرض تنظر إليه وهو يسلك قائلها ترفض هذا الضمف البشري منه ولا تقبل مطلقاً أن تصنع العظيمة حدوداً لأحلام العظيمة التي تشع بها .

يشين لنا ما تقدم أن جميع المساويء والعيوب التي لمتصق بالمراعاة ليست سوى تعبير صادق عن وضعها الاجتماعي وأنه لوضع مؤلم أن تشع الفتاة بسببها وتبعيتها في سن الأمل والطموح ، في السن التي تتفتح خلالها إرادة الحياة لدى الإنسان ليبنى لنفسه مكاناً على سطح الأرض . ففي هذه الفترة الحافلة من العمر تتعلم بأن الانتصار محرم عليها وأنه يجب عليها أن تتخلي عن شخصيتها المستقلة ، وأن مستقبلها يتوقف على إرادة ومشيئة الرجال .

ألا أنه يحدث في بعض الأحيان أن هذه الفتاة التي تهرب من خلال الطرق الملتوية من واقعها المؤلم ، تتسجم مع واقعها في النهاية وتظهر صفات خاصة تجعلها تبرز إلى المجتمع بوجه وشخصية جديدين لحياتها المتكسبة المقلقة للبيئة بالمتناقضات والتعقيدات لغزى تفكيرها وتوسع وتطور حياتها الداخلية تطوراً أكثر عمقا من حياة اغوتها وتصبح أكثر تحسناً لحركات قلبها وتتعمق الأمور النفسية أكثر من الذكور المنفتحين نحو تحقيق الأهداف الخارجية وقد نستطيع أن نعطي لهذه الثورات التي تصارع بها العالم شكلاً عميقاً مهيباً فهي تتحاشى فطاح الحب والتفرد بالتقاليد وحين تشع يوماً بعد يوم بغموض شروط حياتها تدفعها شجاعتها إلى إعادة النظر في التناول السائد حولها وإقيم الجائدة

## والاخلاق اللينة بالفن والرياء .

تصرف الفتاة حين لا يقدر لها ان تصادف الحب ، الى التسرع بطاهر الفن والشعر وبسبب كونها متأثرة لا مؤثرة تظني الفتاة اوقاتا في التأمل والتفكير والتسجيل ، وتجد الألوان والاشعارات لديها امضاء عتيقة . ذلك ان مستقبلها ومصيرها متقوضان خارج حياتها الداخلية ، في اللحن المشادة وعلى وجوه الرجال المختلفين . انها تنفوق بشكل اشد عقا وعاطفية من الرجل لانها تلب موقفه المتخرج من العالم المحيط بها ، فعوضا عن ان تهتم بتأثيرها على الاشياء تصرف الى سير لغورها واكتشاف معانيها ، ومن النادر ان تشعر في قرارة نفسها بنفحة خلاقة لاذ تنفصا غالباً الوسائل التي تسمح لها بالتعبير عن نفسها لكنها تظهر في محادثاتهما ورسائلها ومحاولاتها الابدية ، حساسية فادرة لا مثيل لها . تهافت الفتاة الشاب يحس تنوع الاشياء لانها لم تحرم بعد من جميع عناصر تفوقها ، وما يريد في انفعالها ان القيود الاجتماعية لا تسمح لها في ان تجر او تبشكر شيئا دائما يشهد بقوة ابدانها وهذا ما يدفعها الى الشعور بحب غريب تجاه الطبيعة فتقدسها اكثر من الغنى المراهق .

ان الطبيعة المتردة المتجدة عن الانسانية للخص بكل وضوح كل ما هو كائن ، والمراعاة التي لم تقطع بعد اي جزء من العالم المحيط بها ، تشعر بفضل هذا الفراغ في حياتها بان العالم كله هو ملكتها ، وهي حين تمتلكه تشعر بالكبرياء وكأنها تمتلك نفسها . وقد وصفت لنا كويت في عدد من كتبها هذه الانجاعات لدى الفتاة المراعاة :

لا كنت منذ ذلك الوقت لعب العجر الذي منحني لمي اياه ، حيا

جنونا فقد استطعت ان احصل منها على موافقتها في ان استيقظ في الساعة الثالثة والنصف من كل صباح فاذهب ويدي سلة خالية نحو الاراضي المزروعة القريبة من النهر ، نحو اشجار التاكهة المتنوعة .  
وفي الساعة الثالثة والنصف والكون نائم تحت زرقة السماء الصافية ووسط الجو الرطب البارد ، كنت اتحدر في الطريق الرملية وطبقات الغيابة لغمر سائي ثم لا تلبث ان تصعد شيئا فشيئا نحو سفوح السنتليء لكي تبلغ بعد ذلك شفتي واقفي ثم تلمس اقصي وتغمر جميع اجزاء جسدي ...

على هذه الطريق وفي هذه الساعة كنت اشعر واقدر قيمتي واقضي كأنسان بشري وكنت اعيش لحظة من لحظات عمري السعيدة فاشعر بالفرح بضمري من كل جانب لاني كنت حرة طليقة كالتبيعة نفسها .  
تطرح مختلفه التصوص الادبية بوصف وتحليل شعور الفسافة المراهقة تجاه العقول والعايات والواقع هو ان تראה الام والقوانين والمبادئ والتقاليد تسود في المنزل الابوي والفتاة لا تشد سوى التخلص من هذا الجو الذي تشعرك كأنه يضغط على انفاسها ويحرمها من حريتها فهي تريد ان تصبح شخصا يتمتع بالسعادة ، لكن قيود المجتمع لا تبيح لها ان تدخل عالم الراشدين الا يتحولها الي امرأة تابعة لغيرها . ولذلك فهي تدفع بتأزرها ثمن حريتها . لكنها تشعرك في عالم النباتات والحيوانات بأنها انسان بشري كامل متحرر من قيود الاسرة ومن روابط التبعية نحو الذكور ، يتمتع بالسيادة والحرية . انها لتجد في مجاهل القبايل سورة حية لعزلة نفسها وفي الاقن الواسع المتد حول السهول شكلا محسوسا لسورها وتوقها ، انها هي هي نفسها في هذه

الأرض اللامتناهية هذه القسم المنتسبة نحو السماء وهذه الطرق الدفاعية التي المستقبل المجهول . ومن قبة العنفة تستطيع الفتاة ان تعرف على نزوات الأرض المتناثرة تحت قدمها المروضة لها من خلال لبس الحياة التبعث عن المياه الجارية ومن خلال تسوج الانوار المرتمسة . . . انها لتتسرر بالسعادة تفرها والدموع تسيل من مآقيها وهذه كانت لا تزال تجمها حتى الآن . فالروائح والالوان تتكلم لغة غامضة تبين الفتاة مع ذلك منها كلمة واضحة وطرح الشمس : «الحياة» .

لم يعد الجسم في قلب هذه الطبيعة الرائعة عينا مضجلا ، بل انها تتبين في هذه الرغبات الجامحة التي كانت تكيثها تحت انظارها ، التسع الذي يصعد في جذوع الأشجار ، كلا انها لم تعد ملموعة لانها تشعر بقرابتها لأوراق الأشجار وزهارها انها بنفس الوقت الروعة والجمال ، والروح والحياة ، وجودها حتي منتشر ، كحسية وجود الأرض نفسها . ومن خلال حالة العبودية التي تعيش فيها ، من اصنام عزائها المريعة تستطيع الفتاة ان تلعب دورا هاما في الحياة يفوق بكثير الدور الذي تلعبه الملية الذكور . فزلعها لرحي الشعراء وتصنع البطولات ذلك ان إحدى الوسائل التي تنتهجها الفتاة لتعويض منزلتها الضئيلة في المجتمع هي تجاوز آفاقه المحدودة .

يتضح لنا من هذه المسحة التي اتينا على ذكرها حول أزمة الفتاة في سن البلوغ انها تمر في مراحل عصيبة من حياتها . لكن هذه الحالات العصيبة المختلفة وردود الفعل الغريبة لا تطبق على جميع الفتيات بوجه عام فهناك نساء يقين انقلابا طيلة حياتهن ، كما قد يستغرق السلوك الذي شرحناه مدة طويلة يصاحب الفتاة مع تقدمها في العمر . ومع ذلك

هنالك فرق كبير بين الفتاة المرافقة العاطفية التي يبلغ عمرها ١٥ سنة وبين «الفتاة الشابة الكبيرة» فهذه الأخيرة تسجم أكثر من الأولى مع الواقع ولا تتصرف بشكل خيالي غير واقعي ولا تشعر بالانقسام في داخل نفسها . وقد كتبت «ماري بانكروسييف» حين بلغت ١٨ سنة من عمرها تقول : «كلما تقدمت نحو شيخوخة شبابي زاد عدم اعتمادي وعمري عدم الاكتراث . لم يعد هنالك شيء يخفق له قلبي وقد كان يخفق لكل شيء» .

وكتب (إيرين ريليتوت) تقول : «لكي تكون مقبولات من الرجال يجب ان تفكر كما يفكرون والا فان نصيبنا يكون العزلة المؤلمة . والا الآن بعد ان لاقيت ما لاقيت احب ان اعيش في قلب اللجج لا على هامشه وان اعيا دون ان اضطر الى الانتظار واعلم بالحبب المنتظر» . وكتبت كذلك فيما بعد : «من كثرة ما لاقيت من آيات الغزل والاعجاب والاطراء الخ... أصبحت طموحة بشكل مغيّب ولم أعد اشعر بالسعادة الرائجة المذهلة التي كنت احس بها في الخامسة عشرة من عمري بل انها أصبحت نوعاً من الشالة الباردة الجامدة اثر بواسطتها من الحياة واصعد في معارجها . اني اغازل والحب حتى الحب ، لكني لا اقع فريسته ... ومع مرور الزمن اكتسبت ذكاء أكثر فأكثر وتعلّيت بيرودة الاعصاب وهدوء البال . اني اتسع قلبي ، وفي فترة شهرين فقط ارتكبت طغواتي الى غير رجعة» .

لا بد وان تنتهي الفتاة الى قبول ارتها وفي اكثر الاحيان تنسج بالسعادة لانها تتم مجاناً ودون مقابل بالذائذ والاتصارات في الهوا وغزلها واعيا قبل ان تستقر نهائيا في ثيابا مصيرها المحتوم وهذا ما تصفه

(ثد - واحة) عن احساسات فتاة لعوب متبرجة خلال إحدى حفلات  
السهرة .

«كنت اشعر وكأنني ألعب في الظلام ، وسأقاي المساوان يحتكان  
بعضهما البعض بصورة ينمنا كانت احجار عقدي الباردة تداعب عفتي .  
الي مستعدة ... وشعري يتفتح بالسحر المشود ، وشفتاي قانيتان كما  
يجب . الي مستعدة للافهام الي هذه الجملعات من الرجال والنساء  
التي تصعد السلم : مررت امامهم معرضة نفسي لانظارهم كما تعرضوا  
هم انفسهم لانظاري ... وفي هذا الجو المعطر المتلالي ، كنت التفتح كما  
تفتح الزهرة من خلال انصاف الاشجار ... وكنت اشعر الي املك  
امكانيات لا حدود لها في نفسي ، فقد كنت اتبدل في كل لحظة من فتاة  
لعوب الي اخرى ساحكة ، ومن وضع الانفراء الي وضع التامل الحزين ،  
منتمية نحو اليمين ويموني للعب تحت الابرار ... قلت لهذا الفتى  
الشباب «ادن مني ... فدا ، واتجه نحوى . انها من لزوح لحفلات  
حياتي واتشفها الارة . كنت اراعتى واتسوج . الا تيدوا رالعين ونحن  
قائمان سوية تسامر ؟ انا بنوي الجميل من السائق وهو يذنه الرائعة  
بالولوين الاسود والايضى ؟ ان وفتياني يستطعن الآن ان يحلقن وينظرن  
نحوى ، والرجال كذلك ان يفلتوا .. لاني استطع ان ارد للجميع  
نظرائهم فانا منهم وفيهم لاني دخلت عالمي العجيب من باب الفتح الذي  
لا يزال يفتح بدون توقف . واريدا تبدلت حياتي تبدا جلوبا في المرة  
القادمة التي سينفتح فيها ... نعم ان الباب يفتح على مصراعيه .  
«اوه .. اذن مني» قلت لهذا الفتى الشاب وانا انحي نحوه كزهرة  
مذعبة كبيرة . «ادن ا» قلت له ، واذا به يتجه نحوى ...»



كلما تقدمت الفتاة في العمر ، زادت وجاهة سلطة الام عليها . فاذا كانت تقوم في البيت بالاعياء المنزلية ، فانها تتضيق بسبب قيامها بدور المعاونة لامها وتود لو كان لها بيت خاص واولاد تشرف على تربيتهم . اما اذا كانت تعمل خارج البيت فانها تستاء من معاملة اهلهما لها كعضو من اعضاء العائلة العاديين وتود لو عملت كغيره له شخصيته المستقلة . وتطور الفتاة مع مرور الزمن فتصبح اقل ورومانتيكية من قبل ، وتصرف الى التفكير بالزوج اكثر من التفكير بالحرب ، ويصبح اقص ما تتناهى ان تحصل في هذا العالم على وضعية ثابتة فتتزوج وتعيش حياة السناء .

وهذا ما كان يخالف ذهن (بروسارن) في كتاب (سارن) لآري ويب :  
«كنت افكر بانني اذا لم تزوج ، فان مصيري مؤلم بدون اي شك ، فجميع الفتيات يتزوجن . ان الفتاة تمتلك بيتا خاصا لها حين تتزوج ، وقد تحصل على مصباح تزيه في المساء ساعة عودة رجلها من عمله ، اما اذا لم يكن لديها سوى الشمعات ، فهذا سيان ، لانها تستطيع وضعها بقرب النافذة ، وحينئذ يقول الرجل : «ان امرأتي في البيت لان الشمعات مضاءة» . ثم يأتي يوم لك فيه الزوجة طفلا جميلا ، فترسل الدعوات لحضور حفلة التعميد ، ويهرع الجيران اليها ملتئين حولها كما يلتفت النحل حول ملكتهم . كنت لاقول نفسي حين تسوء الامور بالنسبة لي : «لا بأس يا (بروسارن) ا سيأتي يوم تصيحين فيه ملكة تسمن خليك الخاصة» .

ان الحصول على زوج يصبح بالنسبة لجميع الفتيات من مختلف

التزمت امرأ حيوة دائما . وتتحول هذه القضية الى مشروع مستحيل خطير ، وتتلد (صديقة القلب) مكاتبا المتازة ، لال الفتاة ترى في رفيقاتها منافسات لها في نضالها للحصول على الزوج ، الامر الذي يجعلها ضيقة الاذن ، للجا الى الشاويرات وتظهر بمظهر العشوة والانابة . واذا ما تأخر امير اعلانها عن الظهور ، تصبح الفتاة غريبة الطباع ، منعزلة عن العالم متعجرفة مليئة بالحسد لقرينتها .

لا شك ان طباع وسلوك الفتاة الشابا تعبر عن وضعيتها الاجتماعية ؛ فاذا تغير هذا الوضع يتغير وجه الفتاة المراقبة واسيح يبدو لنا مختلفا تمام الاختلاف . وقد اسيح في وسع الفتاة في يومنا هذا ان تمسك مستقبلها بين يديها ، عوضا عن تركه للرجل يتصرف به كما يشاء . فاذا اتيح لها ممارسة الرياضة ، او الانصراف الى الدراسة ، او التسوق على مهنة من المهن ، او مزاولا بعض النشاط السياسي والاجتماعي ، فانها تتحرر من التفكير في الرجل ولا تشغل نفسها الا قليلا جدا بالمشاكل العاشقية والجنسية . ومع ذلك فانها تصادف صعوبات تتوق ما يلاقه الرجل الشاب ، وذلك في محاولتها التي تقوم بها تعرضي نفسها وارادتها على المجتمع كمرء مستقل . لقد قلت بان الأسرة والعادات الاجتماعية لا تسجع الفتاة على بذل جهودها في سبيل الوصول الى حريتها ، واضيف الى ذلك بأنه حتى ولو اختارت الاستقلال في حياتها فلا بد ان تترك فيها مكانا للرجل والحب ، وسينتابها الخوف في الغالب اذا كرست نفسها لعسل من الاعمال ، من ان تفضل في حياتها كامرأة ، وهذا الشعور موجود في قرارة نفسها على الدوام ، يضع الحدود امام ناضها في الحصول على الاستقلال . ان المرأة العاملة تعرض على التوفيق بين عملها وبين حياتها

كأمراء ، وهذا لا يتطلب منها ان تكرس وقتا كبيرا لزيارتها وتبرجها وانما يؤدي الى تجرئة مصالحتها الحيوية الى شطرين • فالطالب يشغل وقته على هامش برامج الدراسة بشتى التسليلات الفكرية التي يمكن ان تؤدي الى نتائج مدهشة ، لكن اعلام الفتاة توجه اتجاهها آخرافلتفكر وزيارتها وجمالها وبالرجل وبالحب ولا تكرس سوى الحد الأدنى من وقتها لدراساتها ومستقبلها • وان السبب في ذلك لا يعود الى ضعف في تكوينها العقلي او الى عدم امكانيتها في تركيز ذهنها ، لكنه ينحصر فقط في كونها مضطرة على الدوام الى تجرئة مصالحتها واعداقها ، التي تتوافق بصعوبة بالغة فيما بينها •

كثيرا ما تعتري الناس الدهشة امام السهولة التي تتغلب فيها الفتاة عن الموسيقى والدراسة والمهنة ، اذا وجدت زوجا مناسبيا لها : الامر الذي يدل على انها لا تعلق اية أهمية على هذه المجالات الفكرية فلا تشعر بأية خسارة في حالة تغلبها عنها •

والى ان تتحقق المساواة الاقتصادية التامة بين الرجل والمرأة ، والى ان يكف المجتمع عن النظر اليها كستعة او غرض في خدمة الرجال اسباب المجتمع ، الى ان تتحقق هذه الامور فان حلم النجاح السليبي في كنف الرجل سيظل هدفاها الاول في الحياة ، وسيهد على الدوام • ونجاحها الشخصي في الحياة العملية •

حين تبدأ الفتاة حياتها كراشدة لا تكون قد تعلمت كل ما يجب ان تعلمه في الحياة ، وانما يلزمها ان تتلقى بشكل تدريجي او فجائي تدريبا على الحياة الجنسية •• هنالك فتيات يرفضن بشدة التعرّب على الحياة



### الفصل الثالث

## التدريب الجنسي



يبدأ التدريب الجنسي لدى المرأة ، كما هي الحال لدى الرجل ، منذ أيام الطفولة الاولى . لكن التجارب الجنسية للفتاة الثمالة ليست امتدادا لنشاطها الجنسي السابق ، وانما تكون في اغلب الاحيان عيفة وغير متوقعة وتشكل بالنسبة لها حادثة جديدة لا تمت باية صلة للماضي . ومن المعروف ان المشاكل الجنسية تعرض لها جميعها دفعة واحدة خلال فترة التدريب وتتخذ شكلا حادا ومستجلا . فاما ان تنتهي الازمة بسلام فلا تترك اي اثر في حياة المرأة ، او ان تتطور تطورا خطيرا في بعض الحالات فتؤدي بالفتاة الى الاتجار والجنون . ومهما يكن الامر فان مستقبل ومسير الفتاة معلق على الطريقة التي تستقبل بها الحياة الجنسية ، وقد اجتمع علماء النفس على الاهمية الكبرى لفترة التدريب الجنسي في حياة المرأة، هذه الفترة التي تترك جذورا عميقة في جميع مراحل حياتها المقبلة .

هناك اختلاف كبير بين الرجل والمرأة نجاء الحياة والعمل الجنسيين . فالرجل يجد في العملية الجنسية تأكيداً لشخصيته وامتداداً لتفوقه ، لانه يلعب الدور الرئيسي بينما تقتضي المرأة بالقيام بدور العريسة التي تتلقى المبادرات الجنسية للرجل بكل استسلام وخطوع .

والواقع ان الحياة الجنسية للمرأة هي اكثر تنبها لالها تعكس وضعيتها الاجتماعية ، وهي تتميز بتعارض عضوين من اعضائها التناسلية : البظر والمهبل . ففي مرحلة الطفولة يكون الاول مركز الاحساس الجنسي التسوي بينما يستمر النظام البظري على حاله بعد فترة البلوغ ، دون ان يلعب اي دور في عملية الجماع الطبيعية لو في نظام التوالد . ويكتسب المهبل الاهمية الاولى بعد سن البلوغ لانه واسطة اختراق جسمها من قبل عضو الرجل ، ولانه وسيلة الخصاب والتوالد ، لكنه لا يتحول الى مركز جنسي حساس الا بتدخل الذكر .

جرت العادة على انه يعنى للرجل ان ( يأخذ ) المرأة في اي وقت شاء ، لكنها لا تستطيع ان تفعل مثله الا اذا كان عضوه في حالة الانتصاب . وما دامت المرأة متعة وغرضا للرجل فان عطاياها لا تغير شيئا مذكورا من دورها الطبيعي وهو السلبية ، لدرجة ان عددا من الرجال لا يأبهون فيها اذا كانت المرأة التي تشاركهم سريرهم ترغب في الجماع او انها تستسلم اليه تلبية لرغبتهم . كما يمكن للمرأة ان تعصب وتنجب الاولاد ولو انها لم تشعر بآية لذة . ولا يشكل الحمل بالنسبة لها نهاية الدورة الجنسية ، وانما بدايتها ، وهي تحقق تمامها بكل بطنه والم في الولادة والرضاع .

وهكذا فان الجو الذي تستيقظ فيه انفعالات المرأة الجنسية يختلف تمام الاختلاف عن الجو الذي يصادف النش . ووردود فعل المرأة الجنسية شديدة التقيد حين تواجه الرجل لأول مرة . وليس يصحح ما يقال من ان الملتراء لا تعرف الشهوة الجنسية وان الرجل هو الذي يوقظ حساسيتها ، فانغلبية الفتيات يظنن بحرارة المدايبات قبل ان

تسهل يدهي الرجل ، لكن الامور تبدو كذلك لان الفعل المفرد لا يستجيب لرغبة معينة ، لانها لا تعرف تماما ماذا تريد ، وانما تشعر حين توليه الذكر بالرغبة في المداينة لكنه لا يبدو لها مرغوبا بفضلانه القوية وجلده الخشن ، بل يثر في نفسها الاستمزاز ، وكثيرا ما يكون رد الفعل قويا ، فتجبه الفتاة نحو المساحة او تتعلق برجل مخطت تستطيع معاملته معاملة المرأة .

نعم جيدا من هذه الشروط التي اتيانا على ذكرها ، ان اول احتكاك عملي للمرأة مع الحياة الجنسية ليس بالامر السهل ، وقد رأينا انه قد تحدث في كثير من الاحيان خلال ايام الطولوة والصبيا ، بعض الحوادث التي تترك في نفس المرأة ميلا شديدا لمقاومة كل ما هو جنسي ، كما تخلق الترية المعافقة والخوف من ارتكاب الذنوب والشعور بالاثم نحو الام ، حواجز معينة لا سبيل الي تخطيها . اما العادات فهي تضع البكارة في مستوى عال لدى بعض الاوساط لدرجة تشعر فيها الفتاة بان فقدان بكارتها بدون زواج يعتبر خطيئة كبيرة ومصيبة لا تعادلها مصيبة ، ولا يمكن لليلة الزواج الذي تستسلم خلالها الفتاة الي رجل لا تعرفه في الطب الاحيان ، ان تعد بعد ذاتها تجربة سهلة . ان التحول الي امرأة يعني قطع الصلات مع الماضي دون اي امل في العودة اليه ، وهو لا يقتضي بوضع الحواجز بين الامس والغد وانما يتزعج الفتاة من عالم الخيال الذي كانت تعيش فيه ، ويلقي بها فجأة وسط العالم الحقيقي . لقد داومت الفتاة خلال فترة الخطوبة على العيش في عالم الاحلام ولو تخطتها بعض الثمر والمنازلات البدائية ، وكان خطيبها يتكلم معها بلهجة رومانتيكية . وها هي فجأة تحت انظار عيون حقيقية ، ولي قبضة يدين حقيقتين وان

ما يربحها ويبحث الذعر في نفسها هي واقعية تلك النظرات وتلك القبضات.

ومما يزيد في تبعية المرأة للرجل ، أنها لا تستطيع الاستغناء عنه اذا ارادت اكتشاف اسرار جسمها ، فهو الذي يسلك زمام المياصرة في اغلب الأحيان ، فيغازلها ويداعبها بينما تتلقى غزله وعروضه بكل استسلام وسلبية ، وسواء كان زوجها او عشيقها فانه هو الذي يشودها نحو المخدع حيث لا يوجد امامها مقر من الاستسلام والخضوع . ولو فرضنا جدلا ان المرأة القوت ورضخت لسلطة الرجل في تفكيرها فلا بد من ان يتأجها الهلع في اللحظة الحاسية التي يجب عليها ان تتلقى تلك السلطة عمليا وتحملها ، انها لتخاف في اول الامر من هذه النظرة التي تكاد يتلغها واذا كان الحياء مكتسبا في اغلب الأحيان فان جذوره مع ذلك عميقة لدى المرأة ، وحين تعطل من مرض جسمها ويتأجها الشك في جنسها ولو كانت من ربوات الجمال ، الى ان تعرف رأي الرجل الذي يقوم بدور الحكم في هذا الموضوع . ولذلك فان وضعية الذكر تكتسب أهمية بالغة وتنتج عنها تأثيرات عميقة في حياة المرأة ، فاذا ما ابدى الرجل حساسه ورقته تجاهها ، فانه يبحث في قلب المرأة ثقة تامة لا تتساها ولو لمهت التنازين من العمر ، وعلى العكس من ذلك اذا اساء العتيق او الزوج التصرف فقد يؤدي ذلك الى تولد شعور بالنقص لديها ، وقد ينتهي بها الامر الى الوقوع في برائس امراض عسية لا حصر لها .

واذا كانت النظرة خطيرة فان الايدي تشكل تهديدا اشد خطورة ، لان المرأة لم تكن قبل زواجها بصورة عامة قد تعرفت الى عالم المنفذ ، ولم تتعود على حوارات المشاجرات التي تعطل بها حياة الرجل في سببها ، انها لم تتعود على كل ذلك فجأة تشعر بنفسها ملقاة في قبضة الرجل ،



ويجسد فوق جسدها في وضع يمثل تعوقه والتميز - عليها - لم يعد لها  
 من مجال العظم والتراجع والتأخرة ... لقد استسلمت له ، وسيلحكم  
 بما وفق مشيئة ، وبمضت كثيرا ان تعتبر الفتاة اول تجربة جنسية عملية  
 تعرض لها كالاتصاف القسري ، اذا ظهر الرجل مثلا يقرب من حدود  
 الوحشية ، فهي بلاد الرضا حيث تكون الطباع خستة جافة ، كثيرا ما  
 تغد الفتاة بكارها نصف راقية ونصف غائبة ، في فتر إحدى العشرات  
 بين عراطف العرف والجماء ، وكثيرا ما تصاب الفتاة بغية اقل شديدة  
 بعد ايلة الزواج الاولى ، ولو كان زوجها لطيفا رقيقا معها ، لانها كانت  
 تنسى التمتع بالشوة في شفتها ومفرها وتود لو تسمر بلطف وسرور  
 من نوع جديد بين ساقها ، وانما يظفر الذكر يخترق جسدنا في مناطق  
 لم يكن مضموا اليها ، وقد وصف العلماء بعضة الفتاة المفردة التي كانت  
 تعلم في ان تجد تعيقا لرغباتها الجنسية بين فراخي الزوج او الضيق ،  
 فانا بما تسمر باله شديد متلفي ، غير متوقع في ظهورها التاملي ،  
 وحينئذ تلتصق الاحلام وتيلد الاعمالات وأخذ يجب شكل العلية  
 العراجية ا

غير ان الام لا يجب العور الرئيسي في التجربة الجنسية الاولى ،  
 وانما يشكل الاختراق بعد ذاك عملا عاما في قص الرثة ، ويستد بالمره  
 عينا ، فالرجل لا يستعمل في صلية الجماء - رى عضو من اعضاء  
 الخارجية ، اما الرثة فانها تصاب في اصاب اعضاءها الداخلية ، ان الفتاة  
 لا تستفك في القرب الايمان سوى جسدنا ، وهو اقل كثر لديها ، ولذلك  
 فان الرجل حين يدخل فيها (أخضع) منها وانها تسمر من جواره ذلك  
 بالاهانة والاحلال والاحرام ، فالرثة تكون اتاه الجماع (تحت) الرجل -

ان حسها يدافع ويخترق ويحصل الجماع بينما يقوم الرجل بالتصوير الابحاثي . ولا شك ان عضو الرجل ليس عضواً لطيفاً للزوجة ، لكنه مع ذلك يشع نوحهات الرجل ، فيتوهج ويذهب ويعود ، ثم يعود الكرة ، وخلال ذلك ، يشع الرجل بصلابة تعيد نوعية الجماع ومدته وتكراره . انها تشعر بتكونها آتة ، اما العزبة فهي مشر كربة بأصعها لدى الشاب الآخر ، وهذا ما يعبر عنه شعرا بان المرأة تشبه الكمان والرجل بمثابة القوس الذي يمتز عليه لوتهاها . وقال برك : «لا تشبه المرأة في مجال لعب القيثارة ، التي تشبه سرها الى الشخص الذي يعرف كيف يعرف عليها» . ان الرجل كما تقول الامثال الدارجة يتلفذ مع المرأة (ويستجها الفتنة) وهذه الكلمات تبين العدم دور المرأة في الجماع .

يعبر بنا شعرا ان تشير الى احد العوامل التي تعطي الرجل وجها عداليا وتحويل العملية الجنسية الى عمل لطيف ، انه خطر الحمل والجناب الاولاد . والواقع هو ان الطفل غير الشرعي يعتبر في قلب المجتمعات العالية عالقا اجتماعيا واقتصاديا المرأة غير الزوجية ، وقد حدث ان بعض الفتيات اقصن على الانتحار حين طعن بائنه حملات ، كما لجأ بعضهن الى قتل الحماقين ، ولا شك ان خطر الحمل يكبح بشدة المواقف الجنسية ويضع عددا كبيرا من الفتيات الى العاطفة على تكرارهن حتى الزواج . اما اذا عبرت المرأة على تعطي هذه الحدود قائما تبقى دائما قلقة مترددة وتلجأ الى اتخاذ الاحتياطات لمنع الحمل ، الامر الذي يجعل العملية الجنسية استهوائية والاحساس بالفتنة ضعيفا .

وقد تردى هذه الشاكر والصواب بالمرأة الى الجنون والامراض ، وفيما يلي قصة وردت على لسان فتاة من مدينة فينا تشرح فيها بمرحلة

المشاكل التي سادتها في مستهل حياتها الجنسية :

وفي السادسة عشرة والتصف من عمري عملت في احد المكاتب ، وبعد عام حصلت على اول اجازة . كانت فترة سعيدة من حياتي لان الجميع كانوا يغازلونني . وكنت اميل الى احد زملائي في المكتب وقد ذهبنا معا الى الحديقة العامة حيث اجلسي فربه واخذ يقبلي قائلا بانتهال :

— اقتحي شغيتك .

ولكنني كنت لظفهما بتشجع ، وفي هذه الاثناء اخذ يبك ازرار سترتي فوددت لو تزكته بفعل لولا انني تذكرت بان قلبي لم يشكورا بعده . وذات يوم من نيسان — ابريل — دعاني صديق متزوج الى مصاحبة المعروض وبعد ان تناولنا الخمره على مائدة العشاء قلعت تعظي فاستأجر مرة رغم احتجاجي ودلعتي اليها ، وما كانت الخيل تتحرك حتى اخذ يقرب مني شيئا فشيئا ويداعيني بيده فاخذت ادفع عن نفسي بكل قواي ولم ادر اذا كان قد توصل الى تحقيق غرضه . وفي اليوم التالي طلب مني ان اراء كثيرا فقبلت بفضول شديد . وكان يداعيني مداعبات جريئة باسبعه في موطن عفتي واخذ اولج ذات يوم اسبعه لصرخت من الالم .

وذعبت بعد ذلك في اجازة مع سديقة لي فدعانا سائحان الى نزهة معها واثاء النزهة حاول احدهما ان يقبل سديقتي ولكنها دفعت يدها فالتفت لعوي وقبلي ولعن جالسان ثم اخذ يفر موطن عفتي بالقبيلات وقد استكرت فعلته واقدمه على فطارة كهذه .

وبعد يومين ذهبت معه الى لايبزغ ، وفي احدى الغابات المنعزلة

خلق معقله وطرحني أرضاً وسد قسي بتدليله واخذ يقطن وطرف فحسبت  
ان ساعتي قد دانت وشعرت بالغشيان في معدتي .

وحين انتهى من العطية ، اخذ يغر وجهي بالقبلات لكي كنت لا  
ارى او اسمع شيئاً ، وحين حاول اعادة الكرة ونحن وحدنا في مقصورة  
القطار ففتحت الباب وانفتحت لجرى والصبح علما وخوفاً منه ، فما كان  
منه الا ان ضحك مني وتركني لشأني وهو يصفني بالقية التي لا تعرف  
كيف تستفيد من الاشياء السلية . حين وصلت الى فينا ذهبت الى مقسلة  
لاني شعرت بان شيئاً طاراً يجري بين ساقني ، فاكشفت وانا ارتعد فرقا  
آثار الدم . كيف استطع ان اغني ذلك عن اهلي ؟ لكن حالي الجنسية  
دانت علي واضطرت الى ان اقص الحادثة على امي التي لم تجد فيها  
شيئاً رهيباً مزعجاً .

وقد ترددت في النهاية علاقتها مع الرجال لكنها أصبحت باردة ولم  
تعد تشعر شيئاً ، الى ان احبت رجلاً تزوجها وزالت برودتها .

هناك امثلة كثيرة تكشف عن النتائج القطرية التي تنجم عن عنف  
ووحشية الرجل حين يضاجع المرأة لأول مرة في حياتها، والطريقة الوحيدة  
لتفادي هذه الحالات هي تعريب الفتاة بدون اي عنف او مفاجأة او  
بدون تحديد موعد معين لمباشرة العطية الجنسية . وفي هذا المنحى لا  
يسكن الا ان نوافق على حرية التصرف الممنوحة للفتيات الامريكيات .

لا تحصل المرأة في بداية حياتها الجنسية ، مقابل تازاها واستسلامها،  
على لذة عنيفة واكيدة . ولا شك انها تضحي بسهولة بحياتها وكبرياتها  
اذا اقتضت امامها ابواب الجنان . ولكننا رأينا ان ازالة البكارة ليست

اعتمادها العاطفة الجنسية في فترة الحدأة وانما هي جاذبة مفرقة ، وان  
الفترة الهبلية لا تحصل بعد ازالة البكارة يشكك آلي فقدت الاحصاءات  
التي قام بها عدد من العلماء ان  $\frac{2}{3}$  على الاكثر من النساء يستمرن  
بالفترة الهبلية منذ الجماع الاول و  $\frac{1}{3}$  لا يستمرن بها الا بعد عدة  
اسبوع او شهر او بعد عدة سنين . وتلعب العوامل النفسية في هذا  
المجال دورا رئيسيا فتسبب مقاومة المرأة اللاشعورية ظهور الفترة ثم تتقدم  
هذه الحالة بسبب عدم حصولها على تعويض مقابل تنازلها واستسلامها ،  
فيدخل الزوجان في حلقة مفرقة قد تؤدي بالمرأة الى البرود الجنسي . غير  
ان الرجل يستطيع منحها ترضية باثارة الفترة البظرية التي تؤدي على  
الرجم من التاكيدات العاكسة الى تهدئة اعصابها وانباع لذتها . لكن  
عددا كبيرا من النساء يرفضن ذلك لانه اذا كانت المرأة تتعذب من اناية  
الرجال الذين لا يفكرون الا في انباع شهواتهم فان رغبة الرجل الصريحة  
في منحها الفترة تصدم شعورها . يقول ستيكل : وان المرأة اللفقة لدى  
الآخر تعني السيطرة عليه ، وان الاستسلام الى شخص ما يعني التنازل  
عن الارادة ، والمرأة قبل الفترة بسهولة انما كان مصدرها طبيعيا كما هي  
الحالة في الجماع العادي الناجح . . . . .

يكتسب موقفه الرجل والحالة هذه أهمية بالغة ، فاذا كانت هوايته  
غنية قاسية ، فان المرأة تتحول بين ذراعيه الى شيء او  
فرض ، غير انه اذا بالغ في التحكم بعواطفه فانه يحدت مفعولا معاكسا  
لديها . وفي كلتا الحالتين يشور كثيرا المرأة والتاويل لكي يوفق بين  
استسلامها القسري ورغبتها في الشعور بكيانها ، ان تجعل من الرجل  
فرسة لها وقد تقع في برائن البرودة الجنسية من فرط استمرارها على

القيام بدورها في الجماع . ويعود الامر في معالجة هذه الوضعية الى حذافة الرجل الذي يستطيع ان يوحى للمرأة بان العملية الجنسية هي مشاركة بينه وبينها ولا يهدف منها الى السيطرة عليها .

وحتى لو توصلت المرأة الى تعطي هذه الضغوط وعرفت خلال مدة من الزمن اللغة الهيولية فانها لا تكون قد وصلت الى نهاية نتائجها لان التوقيت الجنسي بينها وبين الرجل غير منسجم ، فهي أكثر بطئا منه في الشعور باللغة .

يقول تحرير (كينسي) ان ثلاثة ارباع الذكور يبلغون ذروة اللغة ، خلال دقيقتين من بدء العلاقة الجنسية وانما اخذت بعين الاعتبار ان النساء ذوات المستوى العالي يلزمهن ١٠ - ١٥ دقيقة من التعريض للتشيط لكي يبلغن الذروة ، وانما اعتبرنا كذلك ان عددا كبيرا من النساء لا يبلغن طولان حياتهن ذروة الشعور باللغة الجنسية ، لعركنا يانه يجب ان يكون الرجل ذا كفاءة استثنائية ، لاطاعة النشاط الجنسي وتأخير مرحلة التفرغ ، فيتمكن حينئذ من خلق الانسجام مع زميلته .

يظهر ان الزوج في الهند يدخن الطيبون خلاص الجماع ليسيئ نفسه عن الشعور باللغة ويظل امد لغة زوجته ، اما في الغرب فانه يقتصر بعدد (المرات) على تحريك كزازالوقا ، ويبلغ ذروة فخره واعتزازه بنفسه حين يحصل من زميلته على كلمة (شكرا) او ويستشكي الرجال في بعض الحالات من كثرة طلبات وطلبات النساء العنيفة فيقولون عن زواجهم او خيلاتهم انهن دائمات الجوع متكالبات لا سبيل الى سد حاجتهن .  
والواقع هو ان اللغة لدى المرأة تختلف تمام الاختلاف عنها لدى

الرجل وقد قلت سابقا ان العلم لم يتوصل لمعرفة ما اذا كانت اللذة المهبلية تنتهي الى الارتواء التام كما هي الحال لدى الرجل ، فمما لا شك فيه ان الجناح بالنسبة للرجل له نهاية بيولوجية معينة : التعرّيج والقذف ، اما في حالة المرأة فالامر على العكس ، اذ يكون الهدف في البدء غير معين ومن طبيعة نفسية لا فيزيولوجية ، انها تريد الحصول على الانفعال واللذة بصورة عامة لكن جسمها لا يعطيها اية نتيجة واضحة للتصلب العاطفي ، ولهذا فان لذة الجناح لا تنتهي مطلقا لدى المرأة . ان لذة الذكر تصاعد كالسهم وحين تصل الى مستوى معين تتحقق وتوتّر فجأة في الذروة ، اما اللذة الانثوية فانها تنتشر في جميع أنحاء الجسم ولا تتركز في الاعضاء التناسلية ، ولا تشكل التقلصات المهبلية لديها سوى موجات تسير على ايقاع معين فتتولد وتنعدم ثم تتشكل وتصل في بعض اللحظات الى الذروة ثم تختلط وتذوب دون ان تصل الى درجة الالعدم التام . ولا يعد من الامكانيات الجنسية للمرأة الا التعب العصبي او القلبي او الانبعاث النفسي .

يرتكب الرجل خطأ كبيرا حين يحاول ان يفرض على رفيقته طريقته في الجناح ويتهالك على منحها اللذة القصوى . ولا تؤدي هذه الطريقة في الطب الاحيان الا الى تعظيم شكل اللذة التي تعيشها المرأة على طريقته . وقد تشكل بعض الاختلاجات المتركرة في المهبل او في الجملة التناسلية والمضارة عن الجسم باكله ، نهاية لدى بعض النساء ، وقد تحصل هذه الاختلاجات بشكل دوري فتشبه اللذة القصوى لدى الرجل ، لكن المرأة العاشقة يمكن ان تجد في ذروة اللذة الجنسية بشكل مستمر دون اي انقطاع وبشكل يرضي المرأة .

ان الظروف التي تجري خلالها الحياة الجنسية للمرأة لا تتوقف على ما يتناه اعلاه فحسب وانما على حالتها الاقتصادية والاجتماعية بصورة عامة ، ولا شك انه من السخف دراستها دون اخذ هذه العوامل بعين الاعتبار . لكننا نستخلص من دراستنا بعض النتائج الهامة : ان التجربة الجنسية هي إحدى التجارب التي تكشف للانسان بشكل عام اهمام وتعقيد وشروط حياته . كما نكتسب بالنسبة للمرأة طابعا دراماتيكيًا ، لانها تكشف نفسها اولًا كغرض ومثمة امام الرجل ، ولانها لا تجد في المدة استقلالًا وتأكيدًا لشخصيتها وانما يجب عليها ان تناضل باستمرار للحصول على حريتها ككشخص له كيانه في الوقت الذي تقوم به بوظيفتها الجنسية .

وسواء السجنت في دورها السليم ام لم تسجم ، فانها تشعر على الدوام بالحرمان كغرد له فعاليتها ، ولعله من عجائب الامور ان الرجل يعيش في عالم مليء بالنموية والرفقة في عالم المرأة بينما تته المرأة على غير هدي في عالم الذكور الخشن القاسي . ان يديها لتحن الى ضم الجسد الناعم واللحم الغض وانها لتتنسى في جميع فترات حياتها ان تمتلك كثرًا مما تلالا لتكتنز الذي تشغفه للذكر . وهذا يفسر لنا بقاء بعض اليوايل السطحية لدى عدد كبير من النساء . وثناك هذا الميل لدى بعضهن لاسباب معتقدة فتراهن لا يقبلن باعطاء مشاكلهن الجنسية الحبل الكلاسيكي المتروك به رسيا لدى المجتمع فيعرضن الى المساحة ، ولذلك يجب علينا ان ندرس لأن حالة النساء اللواتي يتبعن الطريق المنيونة .



## الفصل الرابع

### المساحة



يتصور الناس خطأ المرأة المساحة مرتدية على رأسها شالا غشنا والعقدة مربوطة في عنقها . ويمتقدون ان رجولتها ليست سوى عبارة عن شذوذة يعكس عدم التوازن الهرموني لديها . والواقع هو ان عددا كبيرا من السحاقيات يستمن بالوثاة نادرة ، كما ان عددا كبيرا من النساء المسترجلات يرفضن فكرة السحاق . وقد أكد علماء النفس والجنس ما بينته المراقبة المادية ، بان الاغلبية العظمى من (السحاقيات) اللبوذيات من المجتمع يختلفن مطلقا عن بقية النساء .

يفرق العلماء عادة بين نوعين من المساحات ويطلقون على النوع الاول (المساحات الذكور) وهن اللواتي يقلدن الرجل في حياته الجنسية، (والمساحات الاناث) على النوع الثاني اللواتي يقمن بدور الانثى في عملية السحاق . لكنني ارى لاسباب عديدة ان هذا التقسيم اعطالي ولا ينطبق مع الواقع .

ان تعريف المساحة «الذكر» برغبتها وارادتها في «تقليد الرجل» يسبغ عليها صورة غير واقعية . وقد بينت قبل كيف يخلق العلماء النفسايون المتناقضات بتبنيهم الفئات (الذكرية - الانثوية) كما يعرفها

مجتمعنا الحالي ، والواقع هو ان الرجل يمثل في يومنا هذا فكرة الايجاب والحياد في نفس الوقت ، اي فكرة الذكر ، والانسان البشري ، بينما تكثفي المرأة بتشيل الفكرة السلبية اي الالشي . فاما تصرفات المرأة في الحياة كاللسان بشري قالوا انها تقلد الرجل ولعبوا فسادها في ميادين الرياضة والسياسة والثقافة ، وولجتها في النساء كميول ذكرية كامة لديها . ان سوء التفاهم الرئيسي الذي يركز عليه هذا التفسير هو ان الناس يعتبرونه طبيعيا بالنسبة للاشي ، ان تجعل من نفسها امرأة بكل معنى الكلمة كما يعرفها المجتمع ، فلا يكتفيها ان لا تولع سوى بالجنس الآخر او حتى ان تكون اما لكي تنطق سورة المرأة الثانية ، بل ان المرأة الحقيقية ليست في الواقع سوى متزوج اسطعامي ، صنعت الحضارة السائدة . واذا تارت المرأة على هذه المفاهيم او شعرت بنقصها فاختارت ان تكون فردا كاملا ، فانها تعد متحررة عن مجتمعها وجنسها ، وانها الناس بالاسترجال ، لان الطبيعة الانثوية في عرف المجتمع تعني النقصان والخضوع .

ان المرأة التي تقتحم ميادين الاعمال بنفسها والتي تطالب بعرضها بشكل عام ، ترفض التنازل عن شخصيتها لحساب انسان آخر ولو كانت جميلة جذابة ، لانها تكون قد اكتشفت كيانها وشخصيتها المستقلة من خلال اعمالها-لا من خلال شعورها بالنقص تجاه الرجال - ولا شك ان رغبة الذكر التي تدني قيمتها الى حدود جسمها ، تصدم عقليتها وتضر من نفسها بالاشمزاز الذي يشعر به الرجل الذكر تجاه التواطي السليبي . ولكي تنهي عنها مظهر المرأة المستكينه تراها تتخذ اوضاعا رجالية فتستكر بشايعهم وتعاكبيهم في طريقة مشيتهم وكلامهم ولختار صديقة اشئ تعيش

معها وتلعب دور الرجل تجاهها . نعم ان هذه التثيلية حقا تقلد الرجال ، لكنها لا تخرج عن كونها ظاهرة ثانوية ، اما الامر الرئيسي فهو نمرود الفرد المتبع بالسيادة والمتحكم في مقومات حياته ضد تعوله الى تجربة جديدة . وقد دلت الاحصاءات ان عددا كبيرا من النساء الراضيات بحاقيات لان قوانين الجسدية واستقلالهن عن الرجال يؤدي الى رفض الصنوع الرجل . ونحن نجد نفس المقاومة لدى النساء (ذوات الراس) التواني يصبح الاستسلام بالنسبة اليهن امرا مستحيلا ولو كان يشكله الجسدي . ولعله اذا تعطلت في مجتمعنا المساواة بين الجنسين لكان من الممكن لهذه المواقف جميعها ان تزول ، لكن الرجل لا يزال مشيئا بتركيب التفوق الامر الذي يضايق المرأة اذا لم تكن مؤمنة بضرورة تفوقه عليه .

يجب ان نلاحظ مع ذلك بان المرأة ذات الازادة المحبة للسيطرة لا تتردد الا قليلا في مجابهة الرجل ، فهي لا تريد ان ينتقص من قدرها كامرأة وان كانت تحرس على المحافظة على شخصيتها المستقلة . وهي لا تغاف من اظهار رغبتها الجنسية للرجل بل تجد مقاومة اقل من المقاومة التي تجدها العذراء الخجول قبل بدء العلاقة الجنسية مع الذكر . ان المرأة العادية ذات الميول الحيوانية لا تشعر بالاهانة من جراء الجماع ، على عكس المرأة المثقفة المتفكرة التي تعجز عليه لانها واثقة من نفسها وذات طبع فضائي ، ولذلك فهي تدفع في سجل مع الرجل لا تعلم كيف يتسنى . ومن الامثلة التي تضرب عن قوة شخصية المرأة المستقلة ان مدام دوستانيل اسم تشدد سوى في اواخر ايامها عشاقا يشتمون بالسياب والجمال . لقد كانت تسيطر على جميع الرجال بقوة تفكيرها وتقبل

اعجابهم بها بكمبرياء واثقة ولذلك لم تكن تشعر ابدا بشعور الفرية  
بين ذراعيهم .

ومن العيث محاولة تقسيم المساحات الى ذكور واثاث ، لانه اذا  
طرحنا جانبا بعض الحالات الشاذة ، فان كلا منهما تستطيع ان تقوم  
بدور الاخرى بدون اي حرج او صعوبة ، لكن بعض الظروف كفوة  
الشخصية او الثروة او الجاه او الطبيعة النفسية تقسم الادوار بينهما  
بعنا لهذه العوامل .

والواقع هو ان السحاق لا يعتبر ضربا من ضروب التفتن والتسلية  
لدى المرأة ، كما لا يشكل لعة من القدر تحمل عليها وانما هو موقف  
تتخذه المرأة كرد فعل على اوضاعها في المجتمع ، اى انه له ما يبرره في  
حياة المرأة التي اختارته ببعض ارادتها ، تلبية لداعي بعض العوامل  
البيولوجية والتاريخية والنفسانية والظروف الاجتماعية . انه يشكل  
بالنسبة للمرأة طريق من بين الطرق الاخرى لحل مشاكلها الاجتماعية  
بوجه عام ومشاكل حياتها الجنسية بوجه خاص . وكما هي الحال في  
جميع تصرفات البشر فان السحاق يؤدي في بعض الحالات الى عدم  
التوازن والنشل والكذب والرياء ، او يكون على العكس مصفرا  
للتجارب الخفية في حياة المرأة .

مترجم  
المرأة الفرونية

القسم الثاني

# الوضع للمرأة

## الفصل الأول المرأة المتزوجة

الزواج هو الصبر التقليدي الذي يخصصه المجتمع للمرأة . واطلب النساء من حتى يومنا هذا لما متزوجات او يهدفن الفسهن للزواج او يتألن لعدم تزوجهن لذلك ينبغي لنا متابعة هذه التمراسة بالبحوء الى تحليل الزواج .

للتطور الاقتصادي لوضع المرأة الر في طبيعة الزواج الذي اخذ يصبح اتحادا يجري بالاتفاق الحر بين فرقتين مستقلتين . وان ارتباطات الطرفين صارت شخصية ومتبادلة ، ويمكن للطرفين الحصول على الطلاق في نفس الشروط . ولم تعد مهنة المرأة محصورة في التناسل — بل ان الولادة نفسها صارت تعتبر كعمل منتج لان الدولة او رب العمل ، في كثير من الاحوال ، يقومان بدفع الاجور عن مدة الراحة التي يقتضيها الحمل . وفي الاتحاد السوفياتي اعتبر الزواج خلال بضع سنوات كعقد بين فردين يستند الى حرية الزوجين فقط ، على انه اخذ يكتسب في هذا اليوم صفة خدمة تفرضها الدولة على الطرفين . وتبعاً لما ستكون عليه البنية العامة للمجتمع في المستقبل ، سينتصر الاتجاه الاول او الثاني ، لكن وساية الذكور ، على كل حال ، في طريق الزوال . الا ان المرحلة

الحالية ، من وجهة النظر النسائية ، مرحلة انتقال . فقسم من النساء فقط يساهم في الانتاج ، وهذا القسم نفسه يعود الى مجتمع ما زالت سائدة فيه نظم وقيم قديمة . والزواج الحديث لا يمكن فهمه الا على ضوء الماضي المتصل بالحاضر .

كان الزواج دائما يبدو مختلفا اختلافا جفريا بالنسبة الى الرجل والمرأة ان كلا الجنسين ضروريان لبعضهما بعضا الا ان هذه الضرورة لم تؤد قط الى علاقة تبادل . ولم تشكل النساء قط طبقة خاصة تقيم مع طبقة الرجال علاقات تبادل وتبرم العقود على قدم المساواة . فالرجل من الناحية الاجتماعية مستقل وكامل وينظر اليه قبل كل شيء كنسخ من منتج ، ووجوده مبرر بالعمل الذي يقدمه للجماعة . اما المرأة فكان دورها المحدود بالتجلب الاطفال والعمل المنزلي حاللا دون مساواتها مع الرجل .

صحيح ان الرجل بحاجة الى المرأة ، ولكن لا يتوجه بذلك اليها ، بل الى مجتمع الرجال الذي يسمح لكل فرد من افراده بأن يستكمل شخصه كزوج وكوالد .

اسما المرأة فكانت مندمجة بالاسرة الواقعة تحت سيطرة الآباء والاخوة ، لذلك كانت تقدم للزواج من بعض الذكور الى بعض الذكور . فقديميا كانت المشيرة الابوية تصرف بها كما تصرف بالاشياء . على ان وضع المرأة لم يتعدل تعديلا جفريا لما اكتسب الزواج ، خلال تطوره ، شكلا تماثليا . وبقي الزواج مورد رزقها والمبرر الاجتماعي الوحيد لوجودها . وهو مفروض عليها لسيين : اولاً ان تنجب الاطفال للجماعة ،

كما ان مهمتها ايضا ارضاء حاجات الذكر الجنسية والعناية بنزله . وان  
العيب المفروض عليها من المجتمع يعتبر كخدمة مقدمة للزوج ، لذلك  
يتعمد باعالة الزوجة . هكذا كان الزواج بالنسبة الى الطرفين عبئا  
ومنتعة الا ان الوضعين لم يكونا متوازنين متكافئين . فالزواج بالنسبة  
الى العشيائ ، كان الوسيلة الوحيدة للاندماج بالجماعة فليس بغريب اذا  
كانت الامهات دائما حريصات على تزويج بناتهن .

جاء في احدي قصص اميل زولا وصف للمقابلات الممتدة سلقا :  
وقالت مدام (جوسران) لزوجها : هذه رابع محاولة فاشلة لتزويجها .  
ثم استمرت قائلة وهي تشير نحو ابنتها : كيف لموت هذا الزواج ؟  
فتسكت : لا اعرف يا امي .

وتابعت امها قائلة :

— مساعد رئيس مكتب ، لم يبلغ الثلاثين ، مستقبل عظيم . في  
حماية كل شهر يجلب اليك راتبه . لذلك ارتكبت حماقة كما فعلت مع  
الآخرين .

— اؤكد لك يا اماء انني لم افعل شيئا .

— فخلال الرقص مررتما بالبهو الصغير

— وارتيكت البنت وهي تقول :

— نعم يا امي .. ولما كنا وحيدتين فقد اراد اشيء مموجة . وقبلني  
وهو يضمني اليه . حينئذ احسست بالخوف فدفعت على قطعة اثاث ا  
فقاطعتها امها غاضبة : دفعته على قطع اثاث . يا لك من شقية .



— لكنه كان مسكنا بي يا اماء .

— وما الطامح . هل من ضروري ، في الحقيقة ، ان تغبرضا بذلك .

ورابعت الام كلامها وكانها تلقن ابنتها درساً :

— كل شيء انتهى . بدأت ابأس منك يا ابنتي فالتت بلهفة . لما كنت بلا لثوة ، فاقمسي جيداً اذن ان طيك اسطيد الرجال بشيء آخر . يمكن للفتاة ان تكون لطيفة وان تكون عيناها مغمضتين بالخضاب وان تنسى يدها فتسبح بالمدايبات دون ان يبدو عليها ذلك ... وفي النهاية ... تصطاد زوجاً .

هكذا تبدو الفتاة سليمة بصورة مطلقة . اما الرجال فيبحثون في الزواج عن تأكيد وجودهم وليس عن حق الوجود . انه بالنسبة اليهم عبء ياخذونه على عاتقهم بحضن اختيارهم ، فيمكنهم اذن ان يتساءلوا عن مزاياه ومساوئه لانه ليس سوى شكل من اشكال الحياة . ولا يعتبر المصير المقرر المحتم بل بإمكانهم ان يفضلوا وحدة العزوبية .

حينما تتزوج المرأة تأخذ بعض الضمانات القانونية ، الا انها تصبح تابعة لزوجها فهو رب العائلة من الناحية الاقتصادية وهو الذي يجسدها بالتالي في عين المجتمع . فتأخذ اسمه وتضم الي طبقته ووسطه وتصبح «صنفه» المتكلم ، وتتبعه الي حيث يدعو عنه .

ولما كان الزوج هو المنتج فهو الذي يجاوز مصلحة الاسرة الي مصلحة المجتمع . اما المرأة فيندورة للمحافظة على النوع والعناية بالمنزل اي انها مندورة للوجود .

والحقيقة ان كل كائن بشري هو ارتقاء وجود معا ، لا ينبغي له ان يضم اليه الماضي ليش نحو المستقبل ، وان يؤكد ذاته دون ان يقطع عن الآخرين . ولكن كان الرجل يستطيع التوفيق بين هذين الأمرين فان الزوجة لا تسو بنفسها الى الجسامة الا من خلال زوجها .

يفرض الزواج على الفتاة في يومنا هذا بصورة اكثر العاجا . ولا يزال هناك فئات اجتماعية لا تصح امام الفتاة سبيل الزواج . فعند العلاجين تبقى الفتاة العازبة خادمة لايها واخوتها . ولم تبد الهجرة نحو المدينة مسيرة لها . اما الزواج فيخضعها للرجل ، ويجعل منها سيدة بيت في الوقت نفسه .

ولا تزال بعض الاوساط البورجوازية تترك الفتاة عاجزة عن كسب حياتها ، فلا يسكن لها حينئذ الا العيش كفضولية في دار والدعا او ان تقبل وضع التبعية في بيت اجني . واذ فرضنا انها اكثر تحمرا ، فان الامتياز الاقتصادي للرجل يدفعها الى تفضيل الزواج على العمل . حينئذ تبحث عن زوج احسن منها وضعا آمنة الحصول على مكانة اعلى في اسرع وقت . ان جسما يعتبر كمتاع يباع ويضري وهو بالنسبة اليها رأسمال يجوز استثماره . واحيانا تقدم بائنة للزوج وتأخذ على عاتقها عبء العمل المنزلي وتربية الاطفال . وعلى كل ، فان من حقها دائما ان ينطق الرجل عليها - بل ان الاخلاق تدعوها الى ذلك - فمن الطبيعي ان تستهويها هذه السهولة لا سيما ان الاثقال النسوية كثيرا ما تكون سببا للاجور .

كل فتاة تقريبا ، سواء في العالم الجديد او القديم ، تجيب اذا ما سئلت عن مشاريع المستقبل بقولها : «اريد الزواج» ، في حين ان ما من

شاب يعتبر الزواج هدفا أساسيا له . بل النجاح الاقتصادي هو الذي  
يكسبه الكفاءة .

إن شروط الحياة الحديثة تجعل انبثاق الزواج ثقيلة على الشاب ،  
فتناقست الفائدة منه وخاصة أن الشاب صار باستطاعته أن يؤمن اتناحية  
الزوجية خارج نطاق الزواج . صحيح أن الزواج يسهل بعض لواحي  
حياة الرجل إلا أن اقبال الشباب على الزواج وبالتالي عرضهم لبقى  
بوجه عام أقل من عروض النساء .

والمرشحة البانسة تعلم جيدا أن حظها في الزواج يتناقض كلما تقدم  
بها السن . فالخطاب ليسوا كثيرين . وحرمتها لا تفوق كثيرا حرية  
البدوية التي تبادل ببعض رؤوس المالنية .

تقول الكاتبة كوايت :

والفتاة التي لا تملك ثروة أو ليس لها مهنة والتي تعيش في كنف  
أخوتها ما عليها إلا أن تسكت ، وأن تحبل بحفظها وتشكر ربها .

لقد أصبحت الفتيات أكثر تحورا ، وانخذل يكثرن من خروجهن  
ويقبلن على الجامعات ، ويحرفن مهنة تتيج لهن فرصة التعرف على  
الرجال . وقد درست إحدى المؤلفات مسألة الاتقاء في الزواج في اوساط  
البيروقراطية البلجيكية بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٧ ، فكانت أكثرية الآراء  
تدل على أن الزواج المبدأ سلفا من قبل الأهل أخذ في الزوال . أما  
الطريقة المتبعة فهي الزواج بالمراسلة . وقد بينت الدراسة نفسها على أن  
الزواج بين اسدقاء الطغولة نادر وأن الفتيات هن اللواتي يأخذن عادة  
المبادرة في الزواج بل جاء في التحقيق : «الفتاة تفعل كل ما في وسعها

كما تزوج ... والمرأة هي التي تفتش عن الرجل» وفي فرنسا كما في أميركا ، تعلم الامهات والمجلات النسائية الفتيات في «استياده الزوج ، انه «سيد» يتطلب كثيرا من المهارة : لا تطهي لا اكثر بكثير ولا اقل بكثير ... لا تكوني خيالية بل كوني واقعية» ..

والشباب يعاولون دائما التخلص من الضيقة : واتقاء الفتاة محدود حينها في الحب الاحيان . واذا كان الزوج مناسباً تقريبا فانها تقبله دون حب ولو كان هناك تعفظات .

والتي كانت الفتاة تريد الزواج لزياده ، فانها في نفس الوقت تخشاه لانه يتطلب منها تعضبات جسيمة ، وخاصة الانقطاع العجالي عن الماضي . حتى ان كثيرا من الفتيات يشعرن بالقلق من فكرة مفارقة بيت والدهن . وفي هذه المرحلة تنشأ كثيرا من الازمات العصبية .

ولناخذ من ستيكل المثال التالي :

«عندما تعرف عليها ستيكل كانت تشكو من التقيؤ ، وأخذت المورفين كل مساء وتحتاجها ثوبات من العصب ، ورفض ان تفتسل ، وتأكل في سريرها وتبقى محبوسة في غرفتها . انها مخطوبة وتؤكد انها تحب خطيبها . وعترف لستيكل بانها استسلمت له ... ثم قالت فيما بعد انها لم تشعر باية لذة ، بل انها حفظت من اثرها بذكرى بشعة وهذا سبب تقيؤها . وقد اكتشف انها استسلمت لتعاقب امها التي لا تكن لها ، فيما تعتقد ، حيا كافيا . ولما كانت طفلة كانت تتلصص على والدها في الليل لانها كانت تخاف ان ينجبا اخا او اختا ، لقد كانت تعيد امها ، والان اصيحت مضطرة الى الزواج ومفارقة بيت امها ان هذا مستحيل .

لذلك الخفت تعك يديها وبات قاسية ، مريضة ، تحاول اعانة خطيبتها بكل الوسائل . وقد شفاها الطبيب الا انها رجحت انها ان تكف عن فكرة تزويجها . كانت تريد البقاء دائما في البيت لتظل طفلة . اما انها فكانت تلح في تزويجها . . . . وقبل يوم الزواج بأسبوع وجدت ميتة في سريرها . فقد اتجرت بإطلاق النار على نفسها !

وفي حالات اخرى يحل بالفتاة مرض طويل . انها يائسة ، فيما تدعي ، لان مرضها لا يسمح لها بالزواج من الرجل الذي تحب، والحقيقة انها تختلف المرض كي لا تزوج . ولا تعود الى حالتها الطبيعية الا بقسم الخطوبة .

ان الارتباط ببيت الوالد يدفع الفتاة غالبا الى عدم تحلل فكرة الخطوبة مع ذكر غريب عنها . وفتيات كثيرات لا يقبلن الزواج الا لانه ضروري ، ولانه المخرج الوحيد ، لذلك يخفن في اعناقهن مقاومة عنيفة تجعل الايام الاول من الحياة الزوجية سعبة وقد تمنعن من الحصول على حياة متوازنة .

لا يكون الحب غالبا سببا في الزواج . فالزوج كما يقول فرويد ليس سوى بديل عن المحبوب وليس المحبوب ذاته . ان هذا التباين ليس امرا طارئا بل تقتضيه طبيعة الزواج نفسه . فالغاية منه التسامي الى المصلحة الجماعية عن طريق الاتحاد الاتحادي والجنسي بين الرجل والمرأة ، وليس الهدف منه تأمين السعادة الفردية . وكثيرا ما يحدث في المجتمعات الخاضعة لتنظيم الابوية ، ان لا يرى احدنا وجه الآخر الا في يوم الزفاف ، اذ لا يسكن تأسيس الحياة ، من التلحية الاجتماعية ، على

اساس من العوى العاطفي او الميل الجنسي .

لما كانت العروض النسوية كثيرة فسان الرجل امكانية اوسع في الانتقاء . اما الفتاة فطها ان ترعد في حب شخص معين ، وقد سمعت امرأة ورعة تلقن بناتها ان الحب اساس خشن خاص بالرجل ولا تعرفه النساء الفاضلات . مثل هذه الفكرة تراها عند هيغل في شكل فلسفي . فلا يجب على المرأة ان تأسس علاقات ذات صلة فردية خاصة مع زوج تصطفيه بل عليها ان تبرز ممارسة وطاقنها النسوية في تشكيلها التام . وينجم من ذلك امران : اولا ليس لها الحق في اي نشاط جنسي قبل الزواج . وبما ان الاتصال الجنسي يخضع لنظام ، بالنسبة الى الزوجة، فهناك تجاوز بالرقبة واللذة نحو الملحة الاجتماعية . وبما ان الرجل يجاوز ذاته نحو العام بصفته عاملا ومولانا ، فيمكنه ان يتذوق قبل الزواج وعلى هامش الحياة الزوجية ملذات عارضة . ومن جهة اخرى ان الذكر حين يؤدي واجبه التوعمي كزوج ومولد فانه يحقق لذته حتما . في حين نجد عند المرأة غالبا افتراقا وتباينا بين الوظيفة التوعوية واللذة لدرجة ان الزواج ان يدهى اكساب حياة المرأة الجنسية وقارا اخلاقيا ، فانه في الحقيقة يحذفها .

وقد رضخ الرجال عن طيب خاطر بتكيت المرأة الجنسي مستغنين الى نظرة متناقضة ، قد تصل الى التهمك فيقولان : غيبس فقائلن لذة ... وتسمة الشعر الم . ان البعض يقول : ان آلام الولادة ضرورية لظهور فردية الامومة . فطبعي اذن ان لا يشعر الذكور بأي تحريخ في انكار السعادة الجنسية على رفيلتهم .

يقول برودون بصراحة بأن إزالة الحب من الزواج مطابق للعدالة .

ألا إن مفاهيم البورجوازية خلال القرن التاسع عشر تعدلت بعض الشيء . كانت هذه الطبقة تحاول جاهدة أن تتماهى عن الزواج وتصوره ، ومن جهة فإن نمو الفردية كان يعول دون خلق المطالب النسوية ، لذلك نشأت مسألة إدخال المشاعر الفردية إلى الزواج ، التي كانت مهتلة قبلاً . حينئذ استتبطن مفهوم «الحب الزوجي» المبهم الذي كان ثمرة عجيبة انجبتها الزواج التقليدي . وأن بالزناك يعبر عن عدم تماسك أفكار البورجوازية المعاصرة ، غير أنه يربأ بنفسه أن يشبه نظام الزواج المحترم بسوق عادية تعتبر فيها المرأة متاعاً . لذلك يصل إلى أفكار متناقضة كما جاء في فيزيولوجيا الزواج :

ويمكن اعتبار الزواج ، من النواحي السياسية والمدنية والخلقية كقانون ، كعقد ، كمنطق . . . لذلك ينبغي له أن يكون محط الاحترام العام .

إن قلب الرجال لا ينظرون إلى الزواج إلا كوسيلة للحصول على الاعمال . إلا أن السعادة لا تنجم عن التماسك أو الملكية . وإن طلب الحب من فتاة لم زها إلا يضيع مرات في بضعة أيام هو نوع من السخف . ويستطرد بالزناك قائلاً :

«الحب هو توافق الحاجة والعاطفة . والسعادة في الزواج تنجم عن تقاعص روحي تام بين الأزواج ، وعلى الرجل أن يخفض ، إذا أراد السعادة لنفسه ، لبعض قواعد الشرف والكياسة . وينبغي له ، بعد الاستفادة من القانون الاجتماعي الذي يقر بالعاجلة ، أن يستجيب لقوانين الطبيعة

الطفية التي تنفق المشاعر . وإذا كانت سعاده في ان يكون محبوبا فما عليه الا ان يحب باخلاص اذ ما من شيء يلاوم الحب الطفيلي . الا ان اتوله يعني الرغبة العاشقة . فهل يوسع الرجل ان يرغب دائما في زوجته ؟ نعم انه يستطيع ذلك .

ثم يسرد بالزائد علم الزواج . ان الزوج لا يتردد في فرض نظام غذائي يفسد المرأة . وينزع عنها كل ثقافة ، ويقسو عليها في سبيل المحافظة على شرفه . هل للساعة مسألة حب ؟ يبدو ان المفرد الوحيد الذي يمكن استخلاسه من هذه الافكار التباهية والمهمة ان من حق الرجل انتقاء امرأة تفي بحاجاته ، وعليه بعد ذلك ان يبه حب امرائه بالاعتماد على بعض الوصفات . لكن هل هو حق محب اذا تزوج من اجل الملكية والتنازل . واذا لم يكن محبا فكيف يكون هواه من الضميمة بحيث يبه قلب زوجته ؟ هل يجعل بالزك ان الحب غير التبادل يفضي للضعف اكثر من ان يغوي بصورة حتمية ؟ انما نرى سوء نية بوضوح في كتابه : مذكرات زوجتين شابتين . وهي قصة تأخذ شكل رسائل وذات فكرة عادية .

تدعي البطلة (لويز دي توليو) تأسس زواجها على الحب . فيدفعها حبها المبرح الي قتل زوجها الاول ، ثم سموت من فرط غيرتها تهاج زوجها الثاني . اما البطلة الثانية (روليه دي بستورد) فتضحي بعواشها امام غلها فتعوضها مباحث الامومة عن ذلك وتبني لها سعادة راسخة ثابتة . انما تسائل اي لعنة حلت بالزوجة الاولى ، باستثناء القرار الطوي الصادر عن المؤلف نفسه ، لتضع عن لويز العاشقة ما تصبو اليه من امومة . فالحب لم يكن قط حائلا دون الامومة .



ويصف بلزك ليلة العرس بقوله :

«قالت روية لعديقتها :

لقد اشتكى الوحش الذي نطق عليه بحسب تعبيرك اسم زوج ، وحل  
محلّه ، لا ادري في اية ليلة حلوة ، عاشق تفلطت كلماته في نفسي وكنت  
استند الى ذراعه بلغة لا توصف ... وتبعت نغمة الفصول في قلبي ..»  
اطمى انني لم انتقد اي شيء يقتضيه الحب الناعم» .

على ان هذه الاعجوبة لم تكن تكرر في اغلب الاحيان ، افرى  
(رواية) بعد عدة رسائل وهي تعرف المروج : «كنت قريبا منى شخصا،  
اما الآن فاصبحت متاما» . انا تسائل كيف تحول الزوج الى ساحر ؟  
فالرسائل التي يسوقها بلزك في «فيزيولوجيا الزواج» مقتضية جدا :

«لا تبدأ الزواج ابدا بالاحتصاب»

او مبهة :

«ان عبقرية الزوج تكمن في اكتناء انواع اللذة ببراعة ، وتطويرها  
واعطائها طابعا جديدا وتعبيرا اصيلا» .

غاب عن بلزك انه ليس هناك عواطف حيادية . وفقدان الحب ،  
والضغف والشجر ، تؤدي كلها الى فراغ الصبر والخصام اكثر من ان  
تؤدي الى الصداقة الودودة .

اما (كير كنارد) فيعتقد ان التوفيق بين الزواج والحب يتطلب كما  
ينجح تدخل العناية الالهية :

«الزواج بأنه من اكتشاف غربا ومما يزيد في غرابته الاعتقاد بأنه عملية عفوية . ما من عملية حاسمة مثل الزواج . . . لذلك ينبغي عمله بصورة عفوية» .

«العفوية هي ما يلي : الحب والميل العاطفي عفويان تماما ؟ اما الزواج فتصميم . الا ان الميل العاطفي يجب ان يسهل بالزواج او بالقرار : ارادة الزواج . الامر الذي يعني ان اكثر الاشياء عفوية يجب ان يكون في نفس الوقت اكثر القرارات حرية . ان هذا الامر يسبب عفويته يصعب تفسيره مما يدعو الى ارجاعه الى قوة الهية ، ويجب ان يحدث في نفس الوقت نتيجة تفكير قوي جدا بحيث ينجم عنه التصميم والقرار . بل يجب ان يحدث كل شيء في نفس الوقت ، وان يجتمع الشئان في لحظة الختام» .

من الصعب ان نفهم كيف يمكن للحب ان يصبح واجبا ، الا ان (كير كيثارد) لا يخشى التناقض وكل كتابه عن الزواج يهدف الى توضيح هذا المفرد .

صحيح كما يقول وان التفكير يقضي على العفوية . . . ولو كان التفكير ينتقص من الميل العاطفي لما كان هناك زواج ابداً . الا ان التصميم عفوية جديدة تبلغ من خلال التفكير ويحس بها صورة فكرية شرقية ، عفوية تناسب تماما مع عفوية الميل العاطفي . ان التصميم مفهوم ديني للحياة المبنية على اسس اخلاقية وينبغي له ، ان صح القول ، ان يسهل السبيل للميل العاطفي ويحميه من كل خطر خارجي او داخلي . اما المرأة فليس العقل من نصيبها ، ولا تسمح بالتفكير لذلك وتنقل

من الحب المباشرة الى التدين المباشر . ان هذا الاعتقاد يعني بتعبير  
اوضح ان الرجل المحب يزم على الزواج بواقع آلهي ضمن له توافق  
العاطفة وعهد الارتباط . والمرأة لا تكاد تحب حتى تتبنى الزواج .

ينح لي التعرف الى امرأة كاثوليكية تؤمن ايداء سابقا «بالحب  
المباشرة الطقوس» فهي اللحظة التي يندف فيها الزوجان كلمة «نعم»  
عام المذبح في الكنيسة يحصان بلوايح الحب في قلبهما .

على ان كتاب التمس في القرن التاسع عشر نقل وتوقا بزايا الطقوس  
ويحاولون ضمان السعادة الزوجية بطرق اكثر انسانية . وهم يواجهون  
بشجاعة اكثر من بلزك امكانية الجمع بين الشهوة والحب الشرعي ،  
لكن بتأثير من (بول هيرفيو) سطر في القانون ان «الحب» واجب يقع  
على عاتق الزوجين .

ولاسباب اخرى وبطرق اخرى ، يضاف الاميريكون ، الذين  
يحترمون الزواج والتفدية معا ، جهودهم للتوفيق بين الحياة الجنسية  
والزواج . وتظهر في كل عام كتب كثيرة للتعريف بالحياة الزوجية ،  
هدفها ان تعلم الرجل كيف يحقق الانسجام التام مع زوجته . كما يقوم  
كثير من الاخصائيين في الشؤون النفسية والاطباء بدور «الستشاريين  
في الامور الزوجية» وهم يقولون بان للمرأة ايضا الحق في اللذة وان على  
الرجل معرفة الاسول الكفيلة بتأمينها . الا انهم اذوا ان النجاح ليس  
مسألة «اسول» فقط . واذا حفظ الشاب عن ظهر قلب عشرين مؤلفا  
مثل : «ما يجب على كل زوج معرفته» ، «سر السعادة الزوجية» ،  
«العب بلا خوف» - فليس من الاكيد انه سيرفد كيف يجتذب قلب

زوجته . فالمرأة تستجيب لجموع الوضع النفسي ، والزواج التقليدي  
يبتعد عن تعقيد احسن الشروط لتثبيته وتثبيت الرغبة عند المرأة .

\*\*\*

اكتسبت البكارة قيمة اخلاقية دينية لينة . وهي معترف بها اليوم  
بصورة عامة . ففي بعض المناطق الفرنسية ينتظر استمحاء الزوج وراء  
باب غرفة الزفاف وهم يضحكون ويخونون ، الى ان يظهر عليهم الزوج  
ليعرض عليهم التدليل مطلقا بالدم ، او ان اعطاه يعرضونه صباحا على  
جيرانهم . وعلى كل فان عادة «ليلة العرس» ما زالت منتشرة بشكل اقل  
وحشية . وما دامت العلاقة الجنسية يبررها المجتمع فلا يسكن العلاقة  
الشريكين الا ان تكون حيوانية . حيثة يبرز الزواج مغزاه العام  
التجريدي : رجل والمرأة يجتمعان بحسب حقوق ومزية اسام اثنين  
الجميع . الا ان النطسين اللذين يجتمعان في الجو المنحفي للسري  
هنا شخصان حقيقيان ومعينان .

قصت الكتابة (كوليت) انها اسميت لما كانت في الثالثة عشرة من  
عمرها بارتباك مخيف حين اخذتها صديقتها لرؤية غرفة العرس . فقد  
احسبت بتناقض كبير بين مظاهر الاتراح العائلية والفزع الحيواني للسري  
الكبير المحجوب .

ان الناحية الساحرة للزواج لا تظهر في الحضارات التي تبرز فردية  
المرأة . ففي الغرب في يومنا هذا يؤخذ الرجل والمرأة على انها فردان .  
واللدخولون الى حفلة الزفاف يتفاحكون لان هذا الرجل بالذات وهذا  
المرأة بالذات سيؤمنان شخصيا في تجربة فردية صرفة ، بعملية مفضاة

بالقوس والخطب والزهور . ان العروس الشابة تعص ببطء كبير  
حين تكتشف فردية التجربة الواقعية . والكتب النفيسة زاخرة بقصص  
النساء الشابات اللواتي يمدن عند والدتهن ليلة الزفاف والدموع تنهمر  
من العينين . وقد استمعت الى عدة قصص بصورة مباشرة . امثال هؤلاء  
الفتيات يكن عادة قد تلقين تربية عالية دون ان يطلعن على التربية الجنسية  
ليفاجأن امام اكتشاف الجنس .

في القرن الماضي كانت السيدة (آدام) تصور انها مضطرة الى الزواج  
من رجل قبلها من فيها ، ان كانت تعتقد ان ذلك هو الشكل الكامل  
للانجاب الجنسي . وقص ستيكل منذ عهد قريب حكاية الزوجة الشابة  
التي خلا بها زوجها ليلة العرس فحسبته مجنوناً من تصرفاته فلم تبس  
بكلمة خوفاً منه .

ان فتيات اليوم اكثر اطلاعا ، على ان موافقتهن تبقى لها الصفة  
التجريدية . ويتقى للاختلاء بين اول مرة طابع الانقصاب ، حتى ان  
(هافلوك ايليس) يقول : «ان حوادث الانقصاب المرتكبة اثناء الزواج  
اكثر من الحوادث المرتكبة خارجة» . وجميع «لوجياور» في كتابه اكثر  
من ١٥٠ حالة اميبت فيها النساء بجروح اثناء الجماع . واسباب ذلك  
القسوة ، السكر ، الوضع الخاطيء ، عدم تناسب الاعضاء . وفي انكلترا ،  
يروى (هافلوك) ان امرأة سألت ست نساء متزوجات من الطبقة المتوسطة  
وعلى جانب من الذكاء ، عن ردود فعلهن ليلة الزفاف فبين ان الجماع  
كان صدمة بالنسبة اليهن . كانت التان منهنما تجهلان كل شيء جهلا  
تاماً والاربع الباقيات كن يحسبن انهن يعرفن شيئا لكنهن مع ذلك  
سدمن نسيا . وقد أكد (آدلر) على اهمية ازالة البكارة من الناحية

النفسية . ان اللحظة الاولى التي يتسكك فيها الرجل كل حقوقه تقرر في اكثر الأحيان مسير الحياة كلها . فالزوج النقيع وغير المحرب قد يزرع بذور فقدان الحساسية النسوية . وقد يؤدي استمرار قسوته وعدم مهارته الى تحويل فقد الحساسية الى تخدير دائم .

يسرد استيكل الحالة التالية كشكل للبداية التعمية :

نشأت السيدة هـ . ذ . نشأة غنيمة جدا فكانت ترتجف بمجرد التفكير في ليلة الزفاف . وقد خلق عنها زوجها ملائمتها بشيء من العنف دون ان يسمح لها بالاضجاع . ثم خلق ملائمة وطلب اليها ان تنظر اليه وهو عار . . فاختفت وجهها يديها حينئذ سرخ فيها : لماذا لم تسكنني عند اعلك يا باردة ! ثم القاعا على السرير وازال بكتارها بعتفه . ومن الطبيعي انها اصيبت بالبرود الجنسي الدائم .

قد رأينا ، مثلا ، كل المواقف التي ينبغي للعقراء التغلب عليها لتستكمل استعدادها الجنسي . وان اطلاقها يتطلب جهدا فيزيولوجيا ونفسيا . فمن الحقن والوحشية تلخيص الاطلاق في ليلة واحدة . ومن السخيف ان تحول عملية الجماع الاولى الصعبة الى واجب . . وما يريد في شعور الرهبة عند المرأة ان العملية الفرية التي ينبغي ان تخضع لها هي عملية مقدسة اطلها المجتمع والدين والاسرة والمعارف بالزوج كما لو كان سيذاق . ولان هذه العملية تربط كل مستقبلها حيث ان الزواج له صفة نهائية . على ان الرجل نفسه يشعر بالقلق ايضا لان له مضاعبه الخاصة وعقده التي تجعل منه شخصا خجولا مرتبكا او بالعكس متوحشا .

ان الاقبال الشديد يرهب العنساء والاحترام الزائد يذلها . ومن النساء من يبغضن الرجل الذي يحصل على لذته بانانية على حساب الآمنين الا انهن يشعرن بالمحازاة الدائمة تجاه الرجل اذا تعرضن لهن في الليلة الاولى . وتذكر (هيلين لانتش) ان بعض الازواج الخجولين يطلبون الى الطبيب ان يزيل بكمارة زوجتهم بسطية جراحية بحجة انها سببت التكوين عضويا ، وقد يؤدي عجز الزوج الى امراض نفسية عند المرأة كما يتبين من المثال التالي لقرويد :

وكان من عادة احدى المريضات ان تركض من غرفة الى غرفة اخرى تتوسطها طاولة . وكانت تهيء غطاء الطاولة بصورة ما ثم تترك مستديعة الخادمة وبعد ان تترب هذه من الطاولة تصرفها ... حين حاولت ان تفسر هذا الهوس تذكرت ان على هذا الغطاء بقعة وانها كانت تمدد في كل مرة بصورة تظهر هذه البقعة امام الخادمة ... كل ذلك اعادته وتكررا لليلة الزفاف حيث ظهر قصور الزوج الذي ترك غرفته مرات عديدة ليعاود التجربة .

ولما خجلت من الخادمة التي كان عليها ان تهيء السرير صب شيئا من الحبر الاحمر على غطاء السرير ليدخل في روعها انه دم . ان (ليلة الزفاف) تحيل العملية الجنسية الى تجربة قاسية يخاف كل من الزوجين ان لا يتغلب عليها . ان المشكلة الكبرى المطروحة على الزوج هي انه اذا داعب زوجته يتقن ز . فقد يجرحها . ويبدو ان الخوف من ذلك يشل ايضا الازواج لاميركيين خصوصا عند الذين تلقوا تعليما جامعا ، كما جاء في تقرير (كينسي) . الا انه قد ينشل في تيبه حساسيتها اذا «احترمها» .

ان هذا الوضع يخلقه ازواج الموقف النسائي : فالمرأة الشابه ترغب في اللذة وترفضها في الوقت نفسه . فاذا لم يكن الزوج ذا حظ استثنائي فانه يبدو بالضرورة اما فاجرا خليعا او ساذجا غيبط . فيجب ان لا نعترينا الدعوية اذا بدت «الواجبات الزوجية» ، في اقلب الاحيان ، عينا ملتززا بالنسبة الي المرأة .

يقول (ديدورو) :

«خضوع المرأة لرجل لا يعجها عذاب بالنسبة اليها . رأيت امرأة غاضلة ترتجف حين يقرب زوجها منها . ورأيتها تغطس في حرن الماء ظنا منها انها لم تنظر تنظرا كافيا من دنس الواجب . نحن معاشر الرجال نجعل تحريا هذا النوع من التفرز . ان السعادة القصوى تتخلى عنهن وعن بين احضان حبيهن الميود في حين نشعر باللذة مع امرأة مساوية لا تعجنا . النساء اقل تحكما بعواهن من الرجال ، الا ان الشهوة عندهن ليست سريعة ومضوطة كما عند الرجل» .

نساء كثيرات ، في الحقيقة ، يصبحن امهات وجددات دون ان يتعرفن على اللذة . بل ان منهن من يحاولن التخلص من «دنس الواجب» بالحصول على شهادات طبية او اية وثيقة اخرى . وبين تحرير (كيسبي) ان كثيرا من الزوجات في امريكا يتخبرن من كثرة مرات الجباع ويتبين ان يقلل لزوجهن من مددعا ، وقليلات جدا النساء اللواتي يرغبن في مرات أكثر .

ولكننا رأينا ان امكانية المرأة للجباع تكاد تكون غير محدودة . هذا التناقض بين ان الزواج يقتل الشهوة الجنسية في حين يدعي



انخفاضها لقواعد .

وسف (موريلك) في قصته «تيريز ديكيرو» ودود فعل امرأة زوجت  
«زولجا غلباء» ، امام الزواج بشكل عام والواجبات الزوجية بشكل  
خاص :

ولعلها كانت تبحث في الزواج عن ملجأ أكثر من بحثها عن التسلط  
والامتلاك ! ألم يكن الضر هو الذي دفع بها اليه ؟ لما كانت امرأة عملية  
فانها كانت تستعمل الحصول على وضع نهائي . كانت تريد ان تضمن  
نفسها ضد خطر وهمي . ولم تبت قط عاقلة مثلما كانت عليه اثناء  
الخطوبة ، وكانت منسجمة تمام الانسجام ضمن اطار النظام العائلي .  
واحتت انها ضمنت لنفسها النجاة ، الا انها احست بنفسها مضيعة يوم  
الزفاف الخاطي في كيبية سان كلير الضيقة . لقد دخلت القفص شبه  
ثالثة ولما سمعت ضجة الباب بطنق من خلفها عادت فجأة الى رشدها .

بعد ليلة الزفاف فكرت في نفسها قائلة : «كانت ليلة فظيعة» ثم  
اضافت «لا لم تكن فظيعة تماما» . وخلال رحلتها الى البحيرات الإيطالية  
عرفت كيف تكيف جسما مع هذه التضارعات فكانت تشعر بالذمة .  
هذا العالم الجهول ، عالم الاحاسيس الذي يدفعها رجل الى دخوله .  
كانت مخيلتها تساعد على التصور بانها هي ايضا تستطيع الحصول  
على السعادة . لكن ابي سعادة ! انها تنبه نغينا للشمس ونحن نخط  
الى المطر الشمر ، هكذا كانت تكتشف تيريز اللذمة .

وهذه شهادة اخرى اوضح من الاولى . انه اعتراف جيمه (ستيكيل)  
من امرأة في الثامنة والعشرين ، قضت في وسط متقف .

«كنت سعيدة بخطوتي إذ شعرت أخيرا أنني في ملجأ وسرت  
شخصا يستدعي الاهتمام . كنت نشأة مدللة وكان خطيبي يحيطني بحبه .  
كل هذه الاكثياء كانت جديدة بالنسبة الي . وقد اشعلت القبلات في  
التار . وفي صبيحة يوم الزفاف كنت في درجة من العيجان جعلت قيصي  
يتبلل بالعرق . كنت افكر في أنني أخيرا ساعرف على المجهول . كانت  
لدي فكرة سييالية هي ان على الرجل ان يقول في فرج المرأة . . . .  
وشعرت في غرقتا بالصدمة لما سألني زوجي فيما اذا كان عليه ان يتعد .  
وقد طلبت اليه ذلك لاني كنت اتعمر حقا بالخجل لان مشهد التعري  
لعب دورا في مخيلتي . ثم عاد زوجي باندي الارتياك بعدما صرت في  
السرو . وقد اعترف لي فيما بعد انه لواقع لمنظري : كنت اجسد الشياح  
المرح المستل . بالترقب .

ولم يكذب يظلم ثيابه حتى اطلقا النور ، وان هي الاقبة حتى حاول  
ان يفتلكني رأسا . كنت اشعر برغبة شديدة فطلبت اليه ان يتركني  
ساكنة . كنت اتمنى ان اكون بعيدة عنه ، لاني التزمت من هذه المحاولة  
التي لم تسبقها مداعبات تهيئية . لم يكن في تصرفه قسوة بل قلة في  
اللباقة والحساسية . كل محاولاته خلال الليل كانت بلا نتيجة فأخضت  
اشعر بالنعاسة . كنت خجلة من حماقتي طاعة اني مخطئة او غير صحيحة  
التكوين . . . . وأخيرا اكتفيت بقبلاته .

بعد عشرة ايام تمكن من ازالة بكتارتي ، الا ان الجناح لم يدم سوى  
بضع ثوان ولم اشعر بشيء . ما عدا ألم بسيط . كانت المسألة بالنسبة الي  
خية طن كبرى .

بمدائف الخفت احس بقليل من البهجة التاء الجناح ، الا ان النجاح

كان شاقا وكان زوجي يجد صعوبة في تحقيق هدفه . وفي مدينة «براغ» شعرت باللذة الكاملة مرة وانا اتخيل شخصا آخر وتكرر ذلك عدة مرات . الا انني في النهاية لم اعد احس بالاكتمال لان اللذة كانت قصيرة جدا . وبعد ولادتين لم اعد ابلغ النشوة الا نادرا اما زوجي فكان يبلغها دائما . فاخضت اتباع العملية بالقلق وكنت احس نجاعه بالبعض اذا ما تركني بعد اكتماله .»

ان الخطوبة من شأنها ان تتيح للفتاة التعرف التدريجي ، لكن العادات غالبا ما تفرض على الخطيب عنة بالغة .

ان مصاعب التجارب الاولى يسكن التغلب عليها بسهولة اذا ارتفع الحب او الرغبة من الشريكين موافقة تامة . والحب الجنسي يأخذ قوته وكرامته من الفرح المتبادل بين المحبين وهم يشعرون بحريتهم ، ولا تعود العملية مفروضة بل منتقاة . الا ان مبدأ الزواج يجرح العفة لانه يحيل الى حقوق وواجبات تبادلنا ينبغي ان يؤسس على استعاضة عذرية ، انه يعطي الاجسام صفة آلية ، ان يفرض ان تتعارف بشكل عام . ومن الطبيعي ان الزوجين قد يتجاوزان جنسيا منذ اول ليلة . والزواج يسهل استسلام المرأة بازاحة فكرة الخطيئة المرتبطة بالجنس . وان التعايش المنتظم يؤدي الى التعة جنسية تساعد على التمتع الجنسي . الا ان ذلك لا يمنع ان المرأة تضامر مقامرة كبرى بتعمدها ان تمام كل حياتها مع رجل لا تعرفه جنسيا في حين ان مصيرها الجنسي معلق تعلقا جوهريا بشخصية شريكها .

من المرأة الادعاء بان الاتعاد القائم بحسب الامسول له حظ كبير في ان يحدث الحب . ومن السخف ان نطلب من زوجين مرتبطين بمصالح

اجتماعية واخلاقية ان يتدقق اللذة على بعضها طول الحياة . الا ان  
انصار الزواج العقلي عينا يحاولون ان يثبتوا ان زواج الحب ليس له  
خط كبير في تأمين سعادة الزوجين . ان الحب المثالي الذي هو الحب  
الذي تعرفه الفتاة غالباً ، لا يجعلها دائماً مستعدة للعب الجنسي . ولذا  
كان بينها وبين خطيئها تجاذب جنسي صحيح وشديد فلا يشكل ذلك  
اساساً متيناً لبناء مشروع حياة .

كثبت كولايت : لاتحل اللذة في صحراء الحب اللامتناهية زاوية  
صغيرة ملتفة . وهي من التأجج بحيث لا يرى المرء سواها في البداية .  
لما حول هذه التفتة فيسكن المجهول والخطر .

وحيثما يصحو الزوجان من العناق او حتى من لياة طويلة يقضي لهما  
التفكير في العيش الواحد بجانب الآخر . الواحد من اجل الآخر .

وحتى في حالة اقتران ممارسة الحب الجسدي قبل الزواج او تسببه  
في بداية ليلة الزفاف ، فمن النادر جدا ان يدوم انهما طويلاً .

ثم ان الواحد ينظر الى الآخر كوسيلة لارواء الحاجات وان كانت  
العنسة الزوجية تخفي هذا الامر . وقد لاحظ الدكتور (لانغش) ان  
المرأة قد تنظر الى عضو الذكر كمثوية لذة خاصة بها وتحرص على  
مراقبتها .

ان الارواء الوحشي للحاجة لا يتكفي لارواء الفريزة الجنسية  
الانسانية . لذلك يخفي وراء الصفات والقبولات الشرعية شيء من  
القبور . بل كثيراً ما تستعين المرأة بتصورات مبهجة .  
يروي ستيكل قصة امرأة تسهر باللذة مع زوجها اذا تغيلت وجلا

اقوى منه بنية واكبر سنا ياخذها ، دون ان تطلب اليه فذلك ، بصورة لا  
تستطيع الدفاع عن نفسها ، وتتصور انها ضحية لاعتداء ، وانها تتعرض  
للضرب وان زوجها شخص آخر .

وزاود الزوج احلام ماثلة فيصور في صدر امراته صدر احدي  
الراقصات وكل جزء من جسدها يعيده الى صورة او ذكرى ...

يقول شيكل :

«لا يخلق الزواج بين الترمكين العرافات وتشيبيات تهدد بقطع كل  
فاصل بين الحقيقة والخيال» وفي نهاية الامر ينشأ عند الرجل والمرأة  
فجور واضح يأخذ احيانا في الزواج شكلا منظما جديا . والحقيقة ان  
الحب الجسدي لا يمكن اعتباره لا كغاية ولا كمجرد وسيلة .

\* \* \*

لا تعد البورجوازية الفتاة بالحب بل تلوح لها بالسعادة على انها  
الهدف الاكمل . وفي بعض فترات البهوجة والامن كان هذا المتل الاعلى  
عاما عند البورجوازية وخاصة الملاكين الثقارين . ولم يكن يستهدف  
التطلع الى المستقبل بل المحافظة على الماضي . والحياة المتصلة هي الحياة  
المادية التي ليس فيها طموح او هوى ، وايام تنوالى دون هدف وتتكور  
دائما على نفس الوتيرة ، حياة تسير الى الموت سيرا عاديا دون ان تبحث  
لنفسها عن اسباب ومبررات .

لقد فقدت هذه الحكمة الزويرة المستوحاة من زينون اهميتها في هذا  
اليوم . فابقاء العالم على ما هو عليه امر غير ممكن وغير مرغوب فيه .

والرجل خلق للعمل وبني له ان يناضل ويبتغ ويوسع ويسو نفسه نحو كلية الوجود ولا نهائية المستقبل . بيد ان الزواج التقليدي لا يتيح للمرأة فرصة الأطلاع مع الرجل بل يتركها في حالة الجمود ، فلا يبقى امامها حينئذ الا تبني حياة متوازنة حاضرها بسند الماضي ويحضر من تهديد المستقبل .

وانما لم تكن محبة لزوجها قائما بحسن بالحنان والاحترام المسمى بالحب الزوجي . فتقطع عن العالم لتخطئ النوع البشري بين جدران المنزل الذي تسمر على ادارته . على انه ما من كائن بشري يتغلب نهائيا عن الارتقاء والسو مهما كان مصرا على افكاره . فاليرجوازي كان يعتقد انه اذا حافظ على النظام القائم وبرز فضائله بنجاحه وبحيوجته فانه الاله والوطن والحضارة . وحياء المرأة النزلية تسو نحو غايات ، والرجل هو الذي يلعب دور الوسيط بين فرديتها والعالم . وليس عليها اذن الا ان تضع كيانها بين يديه لينطيه هو المقوى .

المرأة ملكة في الفار ، ناعمة بالهدوء والاستقرار ، اما الزوج فهو الذي يتكفل بحفظها خلال العالم والزمان اللامتاعي . المرأة زوجة وام وسيدة بيت تجد في الزواج القوة على العيش ومغزى للحياة .

اما ينبغي لنا ان نرى كيف يتحقق هذا المثل الاعلى في الواقع :

كان المثل الاعلى للسعادة مثلا دائما في المنزل فصارا كان ام كوخا . بين جدرانها تتشكل الاسرة كخلفية منعزلة تؤكد هويتها عبر الاجيال المتقلبة . اما الماضي فيتخذ شكل اثاث ورسوم للجدود ليجسد سلفا مستقبلا غير محطوف بالأخطار . وتطلع الى الحديقة لترى قلب القصور

الريب فلا الزمان ولا المكان يطلان على الانهاية بل يدوران في حلقة مفرقة .

وفي كل حضارة تستند الى الملكية العقارية ترى آدابا تتغنى بفضائل المنزل . قصة (هانري بورديو) «البيت» تلخص كل القيم البورجوازية : الاخلاص للماضي ، الصبر ، التوفير ، حب الاسرة وسقوط الرأس .

اما اليوم فقد فقد المنزل بهجة السالفة ولم يعد بالنسبة الى كثير من الرجال سوى مسكن لا يكتظ بالذكريات السالفة ولا يقيد العصور المقبلة . على ان المرأة لا تزال تبذل جهدها لتضفي على منزلها التنزيه والمعنى اللذين كانا للبيوت الحقيقية .

هذه العناية خاصة بالنساء . فالرجل الطبيعي لا ينظر الى الاشياء المحيطة به الا على انها ادوات ووسائل فيضعها بحسب ما خصصت له . ان تنظيمه — الذي لا ترى فيه المرأة الا نوعا من الفوضى — هو ان تكون سجايره واوراقه وادواته تحت متناول يده .

ويرى نفس الشيء عند الفنانين خاصة . فالتعاون والرسامون الذين يقع على عاتقهم عبء اعادة تنظيم العالم لا يباليون بالاطار الذي يعيشون فيه .

كتب (ريلكه) عن (رودان) :

«لما زرت رودان اول مرة فهمت ان المنزل لم يكن بالنسبة اليه سوى ضرورة بسيطة : انه ملجأ ضد البرد وسقف ينام تحته . كان يشعر بالملل والاشفاق على حبيبتك عندما تم بلن كعد لوارمين وتمحورين في اشكاله . اما بيته الحقيقي فكان ضمن ذاته» .

ان من ينبغي ان يجد مأواه ضمن ذاته ينبغي ان يكون صاحب مؤلفات واعمال . والرجل لا يهتم الا قليلا بداخل المنزل لان الطريق الى العالم كله مفتوح امامه وبإمكانه ان يؤكد ذاته من خلال اهدافه ومشاريعه .

اما موقف المرأة تجاه المنزل فيعينه نفس النطق الذي يعين موقعها بصورة عامة : انها تحيل نفسها الى قرينة وتحرر عن طريق التنازل .

لا توجد المرأة باب المنزل دونها وهي غير آسفة . كانت الارض موطنها والغابات ملكا لها لما كانت فتاة . اما الآن فهي محجوزة ضمن اطار ضيق الجدران . استحات الى مكان صغير مطلق بالنسبة اليها والجدران تسد الافق امامها .

فتستعج الى احدى بطلات (وواله) :

ولم اعد امير الشتاء من الصيف الا من البغار المتجمع على الزجاج .  
مع اني كنت فيما مضى اسرح في الغابات وامسند في طرفي الافاقين  
والرياحه .

لذلك تعطل المرأة على انكار هذه الحدود القيدة . فتستعيض بالرسوم عن الطبيعة ، وبزوجها عن الجناعة البشرية . اما طفلها فيصور المستقبل تصورا عبقليا . هكذا يستحيل البيت الى مركز العالم بل يصبح حقيقته الوحيدة . فالبيت ، مهما كان شكله يحسبها من تهديد العالم الخارجي للبهيم الذي يكاد ينفذ واقعيته . وحين يحل المساء وتغلق نوافذ بيتها تحس بنفسها انها ملكة . انها تزجج من ومنش النور في النهار وتسكر كل ما لا تملك في الليل .



تجد المرأة في ربة البيت تعبيراً عن شخصيتها • فاليات قسيتها  
المخصصة لها في هذا العالم ، وهو أيضاً تعبير عن قيمتها الاجتماعية  
وحظيتها الصعبة • وانها تتأكد من استعواذها على يديها عن طريق  
العمل المنزلي • فتراها تصدر تعليماتها الى الخدم أمرة ناهية كيما تسب  
الى نفسها ما ينجزه الخدم • ومن مهادها أيضاً السهر على الغذاء واللباس  
والعناية بجمع الأسرة بصورة عامة • هكذا تحقق المرأة ذاتها كشفاً •  
لكنه نشاط لا ينتشلها من جهودها ولا يسح لها بتأكيد فرديتها •

هناك اشمار كثيرة تغني بالاصال المنزلية • من الصحيح ان المرأة  
تقف ، نتيجة لهذا الاعمال ، وجها لوجه مع المادة وانها تحقق مع الاشياء  
نوعاً من الالفة التي تغني ذاتها • تصف (مادلين بوردوكسبر) ما تشعر به  
البطلة من لذة وهي تظف فرنها في قصة : «البحث عن ماري» بقولها :  
انها تحس بالحرة والقدره في نهاية اسابيعها •• وتحدث كاتبات عديدات  
بشغف عن الغسيل الكوي وريق ماء الصابون والشرابفة البيض  
والنحاس البراق • وبعد ما تنتهي ربة المنزل من عملها تشعر بفرحة  
التأمل • ومن الضروري ان تكرس المرأة عنايتها بنزل تزهو به كيما  
تحس انها تغني نفسها قضاء ايجابها والا فانها لا تعرف مطلقاً على لذة  
التأمل الذي يكافئه جهودها •

وصف احد الأميركيين ، بعد ما قضى عدة شهور مع البيض الفقراء  
في جنوبي الولايات المتحدة ، مصير احدى النساء المرهقات بالعمل والتي  
تعمل عبثاً على جعل مسكنها الصغير صالحاً للسكن • كانت تعيش مع  
زوجها واولادها السبعة في كوخ خشبي مغطى بالشعوار وزاخر ببق  
القران • حاولت دون جدوى ان تجعل بيتها جيلاً ولكن بقي لها نفس

الكوخ الحقر . فقالت والدموع تنهمر من عينيها . «أشده ما أبلغنى هذا البيت ، يبدو ان لا شيء في العالم يجعله جميلا» .

لقد كتب على كثير من النساء في العالم التعب الدائم المتكرر في معركة لا تؤدي الى النصر . ان نفس المرأة ثوب وهي تمشي في مكائنها انها لا تعمل سوى الابقاء على الحاضر ولا تتسمر انها تعمل لغيرا ايجابيا بل تحس انها تكافح الشر دائما . وهذه المعركة تتكرر كل يوم .

ان قصة الخادم الذي رفض تطبيع هذا سيده معروفة . ان قال نفسه : لماذا اعذب نفسي ... ما دعت سأعود العمل نفسه في الغد . وثمة فتيات كثيرات من اللواتي لم يرضخن لمصيرهن يشعن بنفسن اليأس . وهذا يذكر بموضوع كتبه تليفة في السادسة عشرة استهته بما يلي :

«اليوم مخصص للتطيف والتعزيل . ان صوت المكنتسة الكهربائية يصل مسامعي ، ان نفسي تدفعني الى الهرب ، ان يكون في بيتي حينما اصبح امرأة كبيرة ، يوم للتطيف والتعزيل» .

يوامح القتل المستقبل كارتقاء دائم نحو قمة مجهولة . وحينما ترى الطفلة انها وهي تغسل الصحون في المطبخ فهم يفتة ان يدي انها تغطس في ماء الغسيل كل يوم وفي نفس الساعة . وستبقى خاضعة لنفس الطقوس حتى الموت .

لا شيء سوى الاكل والنوم والتطيف . السنوات لا تسير صعودا الى السماء بل تنسد رتيبة على صنعة القية منبسطة . كل يوم يقتدي بسابقه . انه حاضر ابدي عقيم لا امل منه ولا رجاء .

وصفت (كوليت اوسوي) وصفا ماعرا عظم النشاط الذي لا يستطيع

سيئا امام الزمن :

«في اليوم التالي ، عثرت على شيء ، وهي تكس تحت المقعد الكبير  
نصيته اول الامر قطعة قطن او وبرة ضخمة . ولكن لم يكن سوى  
كرة من الغبار ، من النوع الذي يتجمع فوق الخزون المهتلة او خلف قطع  
الاثاث بين الخشب والحائط . وبقيت ساهمة امام هذه المادة الغريبة .  
هكذا انقضت ثمانية او عشرة اسابيع وهي تعيش في هذا الدار . ورغم  
نهاية جوليت ، اتيج لكرة من الغبار ان تشكل وتتضخم وهي قابلة  
في الطلام . هذه الكرة الصغيرة من الغبار تنبئ عن الاهدال ، عن بداية  
التخلي . على ان هذه الكرة كانت تمثل وضعا ثانيا ، للغبار المنتصر .

حياتها المشتركة هي السبب في كل شيء . انها مثل غيرها من  
الازواج ، يفرزان الاقدار التي يجب التخلص منها ليفسح المجال امام  
غيرها . يا لها من حياة ... كل ذلك في سبيل ان يظهر زوجها المهندس  
حسن الهندام .

كانت ثمة عبارات تتولد في رأس مرفريت : «السهرى على العناية  
بارضى الغرفة او «السياسة النحاس لتتملوا ...» اما هي فكانت  
مكثفة بالعناية بالثمن من الكائنات حتى لنهاية العمر .

الانجاب ، الكي ، التكنيس ... هذا يعني ايقاف الموت وايضا  
الحرمان من الحياة . فالزمن في حركة واحدة يخلق ويهدم اما ربة البيت  
فلا تتلقى الا الناحية السلبية . ان موقفها شبيه بموقف الماتوي الذي  
يؤمن بوجود مبدئين : مبدأ الخير ومبدأ الشر . مع العلم ان الخير يبلغ

بالقضاء على الشر وليس بعمل ايجابي . اما المسيحية فليست كذلك  
ولم وجود الشيطان ، لان الانسان اذا بقى نفسه لمرب يعارب الشيطان  
ياحسن طريقة .

ان كل مذهب يقول بالتجاوز والحرية يربط قبر الشر بالتقدم نحو  
الخير . الا ان المرأة غير مدعوة الى بناء عالم افضل . فاليث والفرقة  
والتياب الوسخة كلها اشياء جامدة . وليس باستطاعة المرأة الا ان تطرد  
طردا دائما مبادئ الشر التي تنزلق الي هذه الاشياء . فتهاجم البقع  
والغبار والطين وتهارب الخطيئة وتناضل ضد الشيطان . ومن المحزن  
ان تلتفت المرأة الثمنا دائما الى محاربة عدو بدل ان توجه نحو اهداف  
ايجابية . وقد تصل حد الهوس فتفيد حريتها برغبة ما لا تريد فتحصل  
على القبار بغضب . ولا يتكاد احدكم يدخل ميدانها حتى تبتق عينها :  
«اسبح رجليك ، لا تمس هذا» . حتى انها قد تفقد كل بهجة في الحياة  
وتصبح قاسية العينين ويبدو وجهها منهكاً كل الانهاك ، دائم التأهب .  
وتلذذ من نفسها بالعبيطة والبخل فتفلق التوافق لان الحشرات والقبار  
تدخل مع الشمس ، ثم ان الشمس تآكل وير السجاد ... ان بعضهم  
الايواسخ لا ينفصل عن بعضهم الخدام وكل البشر واتخاصهن بالغات .

وعلى كل حال ، ليس هناك سوى نساء قليلات يخترن منذ شباهن  
مثل هذه الاخلاق المكفهرة ، لان النساء اللواتي يعينن الحياة لا يعرفن  
ذلك . تقول كوايث :

«كانت نظيفة متفرزة لكنها كانت بعيدة عن الهوس الذي يدفع الى  
عد المناشف وقطع السكر والزجاجات المثلثة» .

ان البرادات والصدمات من النساء يصبحن حقودات عصبيات المزاج . وقد تعرفت الى سيدة عجوز من عاداتها ان تستيقظ كل صباح في الساعة الخامسة لتنفض خزانها وتعيد ترتيبها . يبدو انها كانت امرأة مرحة في شبابها . الا انها ماتت نحو الترتيب كما يقبل البعض على الشرب نظرا الى اقرباها في مكان معزول مع زوج مهمل وولد وحيد .

اما (ليزا) التي يتحدث عنها (جوهاندو) فينجم ميلها الى العمل المنزلي من رغبتها الجامعة في بسط سيطرتها على عالم ما ، ومن الرادة للتسلط تدور في الفراغ لعدم وجود مجال لها ، انه نوع من التحدي للزمان والعالم والحياة والرجال والكائنات كلها .

وماذا تفعل ليزا منذ نهوضها حتى لومها ؟ انها تزحزح كل لفرس وكل اثاث وتلمس كل زاوية من ارض الغرف وجدرانها وسقفها . تقول عنها انها انها منهكة جدا حتى انها لا تشعر بوجود شخصها .

يتيح العمل المنزلي في الواقع للمرأة فرصة العروب الدائم والابتعاد عن ذاتها . او كما يقول (شاردون) : «انها تبلغ حالة من الفراغ الذهني تفضي عليها» .

لهذه النسوة تلاحق المرأة بها الاثياء ونفسها طابع جنسي غالباً . ومن الواضح ان حتى النظافة يأخذ اهمية بالغة في هولادة لان نسائها يتصفن بالبرود . وللحضارات النسكة عادة بالطير والتي تطرب لذائد الجسد مثل اعلى يقوم على النظام والظهارة . ولا تعيش بلاد جنوبي اوروبا في جو من القفارة المرحة بسبب قلة المياه ، ان حب الجسد وحيوانيته يقود الى تحمل رائحة البشر والقفارة .

ان اعداد الطعام عمل اكثر ايجابية ومرحا من التنظيف ، فهو يتطلب  
اولا الخروج الى السوق ، وهذه هي الفترة المفضلة في الحياة اليومية  
بالنسبة الى كثير من ربات البيوت ، لان الوحدة جميلة على المرأة وخاصة  
ان الاعمال المألوفة لا تشغل بالها ، فهي تشعر بالسعادة ، في المدن  
الجنوبية ، لانها تستطيع ان تخطيط وتفضل وتحضر الخضار على عتبة  
الباب وهي تترنر .

رايت قرية صغيرة واقعة في منطقة القبائل في الجزائر ، حطمت فيها  
النساء عين الماء التي بنيت في الساعة ، لان النزول كل صباح الى النبع  
لشباب في سطح التل كان التسلية الوحيدة بالنسبة اليهن .

والنساء عين يتسوقن البضائع يتبادلن عبارات يؤكدن بواسطتها  
«قيا منزلية» حيث تجد كل واحدة منهن معنى لاهميتها ، ويشعرون  
الهن اعضاء مجتمع يجابه مجتمع الرجال ، والشراء خاصة بشكل لفة  
صيقة ، انه يكاد يعادل الاختراع ، فينب البائع والمشرية تتكون علاقات  
صراع وتعايل ، والمشرية تحاول ان تحصل على احسن بضاعة بأرخص  
سعر ، ان الاهمية القصوى التي تضفي على توفير بسيط جدا لا يمكن  
تصيرها بالحرص على توازن الميزانية ، بل ان هدف المرأة هو ان تخرج  
رابحة ، فحينما تتفحص البضاعة المعروضة تصبح ملكة ، العالم تحت  
قدمها يترواه ومصايده كيدا يأخذ فرسيتها ، وهي تحسن بظفر عاير  
حينما تفرغ على طاولتها كيس الثؤن ، وعلى الرف نصف العلب المحفوظة  
كفستان ضد المستقبل وتأمل بانسراح الخضار واللحم التي ستضعها  
لسلطانها .

لقد قضى الغاز والكهرباء على سحر النار ، الا ان النساء في الارياف

ما زلن يعرفن بجهة الحصول على الذهب العمي من الخشب الجاف . ولا تكاد النار تشتعل حتى تصبح المرأة ساحرة . وبحركة بسيطة من يدها او بسحر النار تجري تحولا على المواد وتصبح المادة غذاء .

تصف (كوايت) هذه العمليات السيمائية بقولها :

«ان جوامن السحر والالغاز يجري بين لحظة وضع القدر وما فيها على النار ولحظة رؤية الآلاء على الطاولة والدخان يتصاعد منه» .

وقد نضت الكتابات بشكل خاص بصنع المزيات : انه لمشروع ضخم ان يمزج الانسان السكر الجاف الصافي بالفواكه . ان المادة الزيدة المحرقة التي تولد تدريجيا مخطرة . وان ربة المنزل تسيطر على هذه المادة الشيعة بحسب الراكين ثم تصبها في النهاية في لآية وهي مزهوة . ويمكن للمرأة ان تشعر بارتياح خاص حين تنجح في اعداد الطائر لان الجميع لا يحسنون ذلك بل يجب ان يكون هناك موهبة . كتب (ميشليه) قائلا «لا شيء اسب من فن المعجزة» .

وقرى في هذا الميدان ايضا ، ان الفتاة الصغيرة تتسلى في اقتداء من هن اكبر منها . انها تحس بسعادة بالغة حين تحصل على قرن صغير حقيقي كلعبة وحينما تقبلها لها في الطبخ وتسمح لها بوق المعجن .

الا ان الوضع هنا مثل الوضع في الغاية بالزول ، فالتكرار سرعان ما يستنزف اللذة . فعند الهنود الذين يتخلون خاصة بنوع من المعجنات تظن النساء نصف يوهن وهن يعجن ويقلن ويعجن من جديد ، كل يوم تحت سقف ، بنفس الطريقة خلال العصور : الهن لا يشعرون ابدا بسحر القرن . ولا يمكن ان تحول كل يوم عملية الشراء الى عملية بحث عن

كجزء أو الشعور بالنضوة امام لمعان العنيفة . ان الرجال والكتابات خاصة هم الذين يفتنون بصورة شعرية بهذه الانتصارات لانهم لا يقومون بالاعمال المنزلية او الهم يقومون بها نادرا . ان هذا العمل اليومي يصبح رتيبا وآليا ، لان فترات الانتظار تتخلله : يجب انتظار الماء حتى تغطي وانتظار القليل حتى يصبح نظيفا . ولو علت المرأة على تنظيم عدة مهام ما بقي لها لحظات طويلة من السلية والفرغ . هذه اللحظات تفسح المجال امام الضجر ، ولا تشكل سوى وسيط غير جوهري بين الحياة الآتية وحياة القد . فاذا كان النخص الذي يقوم بها منتجا مبدعا المنجحت في تاريخ وجوده النماجا طبيعا مثل الوظائف العضوية . لذلك تبدو السخرات اليومية اقل كآبة حين يقوم بها الرجال لانها لا تعمل بالنسبة اليهم سوى لحظات سلية غائرة يتجولون خلالها منها .

ان ما يجعل مصير المرأة — الخادمة جافا هو تقسيم العمل الذي يكرسها تكريسا تاما لما هو عام وثاقه . فالسكن والنفذاه اشياء مفيدة في الحياة الا انها لا تجعل الحياة ذات مغزى . والاهداف المباشرة لربة المنزل هي وسائل مادية وليست غايات حقيقية . فليس عجيبا ان تحضر المرأة فرديتها كما تستيع عطاها ، لذلك تنبئ لنفسها طقوسا ونظيرات خاصة ، وتمسك بطريقتها في اعداد المائدة وترتيب البهو وطبخ الكفا ما ، كما تفتح نفسها ان ما من امرأة سواها تستطيع اعداد الشواء مثلا . اما اذا حاول زوجها او ابنتها مد يد المساعدة اليها ، فانها تسحب منها المكتسة او الاميرة قائلة لا يستطيع احدكم خياطة زر .

ان المرأة تهدد كثيرا من الزمن ونهدر كثيرا من الجهد في محاولتها



البحث عن الامالة والكمال الفردي ، لذلك يصعب تقدير عبء الاعمال المنزلية تقديرا دقيقا . وبحسب تحقيق نشرته جريدة (كومبا) عام ١٩٤٧ ، يبدو ان النساء المتزوجات يخصصن ثلاث ساعات و ٥٥ دقيقة تقريبا للعمل المنزلي وملحقاته في ايام العمل ، اما في ايام العطل فيخصصن ثماني ساعات . فيبلغ الجسوع ثلاثين ساعة في الاسبوع اي ما يعادل ثلاثة ارباع مدة العمل الاسبوعي للوظيفة او العاملة . هذا كثير لا سيما اذا كان للمرأة عمل آخر ، وقليل اذا كان عطلها الوحيد .

والعناية بالاحتمال ، اذا كانوا عديدين ، تزيد كثيرا من متاعب المراقبة والام القوية تستلزم قواعدا في اعمال غير منظمة . اما اليورجوازية التي تعتمد على المساعدة فتكاد تكون عاملة تماما ، مما يدفعها الى الضجر . ونتيجة لذلك : تفقد نساء كثيرات واجباتهن ويضعفنها الى ما لا نهاية بصورة تصبح معها هذه الواجبات اكثر من العمل الاختصاصي .

واكثر ما يحزن في الامر ان هذا العمل لا يؤدي الى شيء دائم . فالمرأة تبذل الى اعتبار عطلها كافيها في حد ذاته . لذلك تأمل النطائر الخارجة من الفرن وتصدر الآهات : من المؤسف اكل هذه النطائر . ومن للمؤسف ايضا ان الزوج والاحتمال سيوسخون الغرفة بالقدمهم . ان الاشياء ، اذا ما استعملت ، توسخ او تحطم . لذلك تراودها نفسها كيفما تحول دون اي استعمال .

هذه تحفظ المريات حتى يحل بها العنف ، وتلك تقفل باب البهو بالمتاح . لكن من المستحيل ايقاف عجلة الزمن فالمؤن تجتذب القرائن ، كما ان الديدان تتوضع فيها . ليس العالم حطما متحجرا جامدا بل هو مادة معرضة للتحلل . ان ربة المنزل التي تظلم ذاتها على الاشياء معلقة

مثل الاثياء بالعالم كله . الشواء يحترق والزجاج ينكسر ، وهذه مصائب مقلقة لان الشيء الذي ينكسر يضيع الى الابد . لذلك لا يمكن الوصول من خلالها الى الديمومة والاستقرار .

على نتاج العمل المنزلي ان يتدفق بالاستعمال . ويطلب من المرأة ان تتنازل دائما عن اعمالها التي لا تنتهي الا بالضياح والخراب . وكما تضحي بها غير آسفة ، ينبغي لها ان تحسن يومضة الفرح امام هذه التضحيات الصغيرة . ولما كانت نتيجة العمل المنزلي تبيث الوضع القائم فان الزوج يلاحظ حين عودته الفوضى والاهمال ، بينما يبدو له النظام والنظافة اثياء طبيعية . وهو يهتم بصورة اكثر ايجابية بالطعام المعد اعدادا حسنا . ولحظة انتصار الطباخة هي حين تضع على الطاولة طبقا ناجحا فيقبله الزوج والاولاد بحرارة ، لا بالكلمات فقط بل بالاقبال عليه والتهامه بفرح ايضا . ان عمل الطباخة لا يجد حقيقته الا في فم المدعوين . هذه الحقيقة تطلب منهم ان يفوقوا الاطباق ويعربوا عن رأيهم . ولئن كانت الزوجة تريد اسعاد زوجها فانها اميل الى الموافقة على النشاطات التي تفضل في نطاق ما تبنيه هي نفسها من سعادة .

انقضت العصور التي كانت تتميز بشمول هذه الرغبات . فقد كانت السعادة للثل الاعلى للرجل ويجدها قبل كل شيء في ارتباطه ببيته واسرته . اما الاولاد فكانوا يرضون بالتكيف تبعاً لاهلهم وتقاليدهم وماضيهم . وكانت المرأة سيدة البيت ورئيسة الطاولة مثل الملكة . وهي لا تزال تلعب هذا الدور في اوساط بعض الملاكين المقارنين ، وبعض الفلاحين الموسرين الذين يفتدون الحضارة الابوية بصورة منقطعة . على ان الزواج اليوم هو في الغالب من بقايا العادات ، ووضع

الزوجة اسحب ما كان عليه من قبل . ان لا تزال تحصل نفس الواجبات دون ان يكون لها نفس الحقوق . كما لا تزال تقوم بنفس الاعياء دون ان تحصل على مكافأة وشرف نتيجة للتعرض بها . والرجل يتزوج اليوم لانه يريد ان يكون له بيت لكنه يحافظ على حرته في الهروب منه . انه يستقر ولكنه يبقى غافقا في قرارة نفسه . كما انه لا يحترق السعادة ولكنه لا يجعلها غاية بذاتها . ويولد التكرار الملل في نفسه ، فينشأ التجديد والمخاطر ويبحث عن الصداقات التي تنتسله من العيش مع شخص واحد . اما الاولاد فيتنون اكثر من الزوج تجاوز حدود المنزل . وحياتهم تكن في مكان آخر ... امامهم . والمرأة تحاول ان تشكل عالا من الديسومة والاستمرار على حين يريد الزوج والاطفال مجاوزة الوضع الذي تعلقه ، هذا الوضع الذي لا يشكل بالنسبة اليهم سوى احد المعطيات ، لذلك قد تنجح المرأة الى فرض خدماتها بالقوة .

ان العمل الذي تقوم به المرأة في الداخل ينحها الاستقلال الذاتي لكنه لا يفيد المجتمع مباشرة ولا يطل على المستقبل ولا يتج شيئا . وهو لا يأخذ مكافاة الا اذا الحق بكيانات تسمو نحو المجتمع بالانتاج والعمل . انه لا يعررها بل يجعلها معلقة بالزوج والاطفال . وهي لا تشكل في حياتهم سوى وسيط غير جوهري لان وضعها يستند الى تكوين الرابطة الزوجية نفسها .

لا يسمح للمرأة ان تقوم بعمل ايجابي وان تفرغ بالتالي نفسها كشخص كامل . ومهما كانت محترمة فانها تبقى تابعة ، ناتوية ، مثيلية . وان العنة الكبرى الحقيقة بها تكن في انها لا تسك بغزى وجودها بيدها . لذلك يعتبر النجاح او الفشل في الحياة الزوجية بالنسبة اليها

الخطر . فالرجل مواطن متوجع قبل ان يكون زوجا ، لما هي قائما زوجة قبل كل شيء ، او زوجة فقط . وان عملها لا ينشلها من وضعها لان هذا العمل يستند هو نفسه قيمته من وضعها .

ينبغي لنا اذن ان نرى كيف تعيش في الواقع هذا الوضع الذي يتعدد بصورة جوهرية بخدمة السرور وخدمة الاعمال المنزلية ، وحيث لا نجد مكائنها الا اذا رضيت بالتبعية .

تنتقل الفتاة من حال الى آخر يجعلها في ازمة . وينضم القلق المرتبط بالانتقال الى الاضطراب الذي يعدته الاطلاع الجنسي المفاجيء . ان ارتباطات الفتاة بمنزل والدها اوثق من ارتباطات الشاب . وتتفاوت الاقطاعات في حدة الالم بحسب العائلات . فاذا تمكنت من تحطيم الاواصر التي تربطها بوالدها واخوتها وبأبها خاصة ، فانها تقادهم دون مأساة . لما اذا بقيت خاضعة لهم فيمكن لها ان تبقى تحت سيطرتهم بصورة عملية ، ولا يكون تغير وضعها ملحوظا جدا .

ولئن كانت تنسى الخلاص من بيت ابيها فانها تحس عادة بصدمة حينما تنفصل عن المجتمع الصغير الذي كانت مرتبطة به ، وحينما تنقطع عن ماضيها وعالم طفولتها ذي المبادئ الاكيدة والقيم المضمونة ، ذلك ان لم تهلك في الحياة الجنسية . على ان الاطلاع الجنسي ، سواء نجح او لم ينجح ، يبيل في البداية الى زيادة اضطرابها .

حين كانت فتاة تعيش في كنف اهلها محمية بسلطانهم ، كانت تستعمل حريتها في الثورة والامل ، وفي رفض ومجاوزة حال ترى فيه في نفس الوقت انتها . كانت تسو بنفسها نحو الزواج ، لكن حينما تزوج لا

يعود امامها مستقبل آخر . ان ابواب المنزل تعود من خلفها لتتركها مع  
حسرتها في الدنيا . انها تعرف جيدا ما هي الاعمال المخصصة لها ،  
وستكرر امامها دائما نفس الطقوس .

حين كانت فتاة كانت فارغة اليدين ولكنها كانت تملك الاثمن  
والاحلام وكل شيء . اما الان فلها زاوية محدودة في العالم ، فتفكر  
حينئذ في قلق ولسان حالها يقول : ليس لي سوى هذا الى الابد . الى  
الابد هذا الزوج وهذا المسكن . انها لا تعود تنتظر شيئا او تبقي  
شيئا مهما !

انها نخشى مع ذلك مسؤولياتها الجديدة . ولئن كان للزوج حنكة  
السن والتسع بالسلطة فان سحر نفوذه يزول بمجرد كونها على علاقة  
جنسية معه . وهو لا يستطيع ان يعزل محل الاب والام خاصة . كما  
انها تحس بالبرد يجري في اوسالها حين تجد نفسها وحيدة في منزلها  
الجديد مرتبطة برجل غريب عنها الى حد ما مودعة حياتها كقطعة لتسبح  
زوجة كتب عليها ان تصير لانا بدورها ، وتكتشف الضجر وسطحية  
الحياة حين تلفي نفسها منفصلة افضالا نهائيا عن كنف والدتها ضالمة  
في عالم لا يصور لها اي غاية او هدف .

يبدو هذا القلق بصورة ملحوظة في مذكرات الكوتتيسة نولستوي  
الشابة بعد ما قبلت بحساس الزواج من الشاب الكبير الذي كان بشر  
اعجابها :

تزوجت صوفي في ٢٣ ايلول وفي المساء غادرت اهلها :  
« كان يتحكم بخناقني شعور قاس مؤلم . واحسست حينئذ ان لحظة

مغافرة اسرتي واحبائي ووالدي الى الابد قد حلت . وكانت اللحظات  
الاخيرة ، لحظات الوداع ، رهيبه جدا . وقد حرصت على ان تكون لي  
آخر من اودع .

وما ان التزعت نفسي من ضنائها وذهبت احتل مكاني في العربة  
دون ان اتتبع نحوها حتى اطلقت سرقة لم اسعها طول حياتي .

كان مطر الخريف لا يكف عن المطول . واملقت العنان لدموعي  
وانا قابله في الزاوية مرهقه بالجهد ، مما اثار دهشة بل استياء ليون .  
ولما خرجنا من المدينة شعرت بالرهبة والما في الظلام الدامس الذي كان  
يهدد نفسي هضرا . ولم تبادل اية كلمة حتى وصولنا الى اول سوق  
(بيروليوف فينا اذكر) الا انه كان كثير الحنان والرعاية .

في بيروليوف اعطونا الغرف المسماة غرف القصر وهي كبيرة لا  
تجذب النفس . ثم جلبوا لنا الساور . وبقيت جالسة محافظة على  
السكون كالحكوم عليها . قال لي ليون : ما بالك هلا شرفتنا بالخضمة .  
فاطلعت وقدمت الشاي . كنت مطيعة ولم اكن لاستطيع التحرر من بعض  
المخاوف ، او مخالطة ليون دون تكلف بل كنت اتجنب ذكر اسمه ،  
وبقيت مدة طويلة خاطبه بضمير الجمع .

بعد اربعة وعشرين ساعة وسلا الى (يا سينا فايرلينا) . وفي ٨  
تشرين الاول عادت سوفي الى كتابة مذكراتها :

«كنت دائما اعلم بكائن كامل ، نفسي ، نفسي اكرس له حبي ... انه  
لصعب علي ان اتخلي عن احلام الطفولة» .

وفي اليوم التالي دونت :

واشعر بالضييق . رأيت الليلة اناسية اعلاما مزهجة ورغم اني  
اطردعا عن ذاكرتي فاني احسن بوطانها في نفسي . رأيت اني في الحلم  
ما سبب لي كثيرا من الضنى . ما اتبعتني بالنائمة التي لا تستطيع  
الاستيقاظ . يبدو لي دائما اني على لعبة الموت . هذا غريب . . . كيف  
يحدث الآن بعد ان سألني روح . اني اسمعه وهو دائم فاحسن بالتعرف  
وحدى . انه لا يترك لي فرصة الدخول الى ذاته وهذا الامر يحزني .  
ويبدو لي كل هذه العلاقات الجسدية مفزقة .

١١ تشرين الاول : ذبا القطاعة التي انطوي دائما على نفسي .  
فروحي مريض ، سيء المزاج ولا يعينني . كنت انتظر ذلك اما لم اكن  
احب ان ذلك سيكون بهذه الدرجة من البشاعة . من الذي يتم  
بسعادي ؟ ما من احد يشك في اني عاجزة عن تأمين هذه السعادة له  
والنفس . وقد اسأل في ساعات حزني وشغالي بقولي : لماذا اعيش ما  
دامت الامور سيئة بالنسبة الي وبالنسبة الى الآخرين ؟ هذا غريب الا  
ان هذه الفكرة تسلط علي . يخيل الي انه يصبح اكثر برودة يوما بعد  
يوم اما انا ، بالعكس ، فازداد حيا له . اني استرجع ذكرى اهلي فاشعر  
بالمعجب ، كم كانت الحياة خفيفة انذاك ! اما الآن فروحي مسزقة يا الهي  
وما من احد يفرني بعبه . . . امي العزيزة . . . امه . . . عزيزتي ثانيا . . .  
لكم كتنا لطيفتين !

ولم غادرتها ؟ هذا محزن ، مخيف . ومع ذلك فليوتسكا طيب جدا .  
فيما نفس كنت اقبل بلهفة على الحياة والعمل . اما الآن فقد حتم القضاء  
واقتمى الامر . بوسمي البقاء صامتة ابدا كاتلة وانا متشابكة الفراغين  
مكررة السنن الخالية . كم اود ان اشتغل ولكن لا اقوى على ذلك .

قديمًا كان العرف على البيانو مصدر لفة لي اما الآن فنصار مصدر  
لزعاج . عرض علي ليوتسكا ببقاء في البيت أثناء ذهابه الي نيولسكوي .  
كان ينبغي لي ان وافق لاحر نفسي انما لم تكن لي القوة على ذلك .  
يا له من مسكين ! انه يبحث في كل مكان عن التسلية والطبقات كيما  
بجيني . آه ماذا انا على الارض .

١٢ تشرين الثاني ١٨٦٣ : «افر باني لا اعرفه كيف ملأ فراغ وقتي .  
ان ليوتسكا سعيد لانه يستمع بالذكاء والموهبة . اما انا فلا شيء لي  
منها . ليس سعيًا على المرء ان يجد شيئًا يصله فالمثل متوفر . لكن  
يجب على المرء ان يتفوق هذه الاعمال الصغيرة ويعتاد على محبتها :  
قراءة الحيوانات ، قراءة الاثنياء السخيفة كثيرا ، والاشياء الهية قليلا  
حدا . لقد نمت يوما عميقا حتى ان سفرتنا الي موسكو وانتظار ولاءة  
طقل لم يسببا لي اي اشغال ، اية بهجة ، اي شيء . من يداني على وسيلة  
تبهني وتجعل الحياة تدب في اوصالي ؟ ان هذه الوحدة تنقل كاهلي  
وانا غير معتادة عليها . كان هناك في بيتنا قضاة وحركة اما هنا فلا شيء .  
غياة وكل شيء غابس مكفهر . الوحدة امر عادي بالنسبة اليه فهو لا  
يشعر متلي باللفة مع اسدقائه بل الاقبال على لشاغله فقد شب بغير  
عائلة .»

٢٣ تشرين الثاني : «صحيح اني عاطلة ، بغير نشاط ، الا ان هذه  
ليست طبعي . لا اعرف باي عمل اشروع . احس احيانا بالرغبة الجامحة  
في التحرر من تأثيره . . . مالي ارضخ لتفوده ! لم اعد كما كنت من  
قبل مما يجعل حياتي في غاية المشقة .»

١٠ نيسان «عيسى الكبير اني لا اجد ذخرا في نفسي . انه



مهلك جدا في أعماله وفي إدارة أطيانه لما أتت فلا هم لي الملاقاة . ولا  
انتفع بأية موهبة . لكنهم أود أن يكون لي شغل . . . . . لما ابتغى عبلا  
حقيقيا . فما مضى ، في مثل أيام الربيع الجميلة هذه كنت أحس بالحاجة  
الى شيء ما ، بالرغبة في امر ما . ولا يعلم الا الله ليم كنت افكر واحلم .  
اما اليوم فلا احتاج الى شيء . لم اعد احس بهذا الميل السخيف اليهم  
الى المجهول ، لاني بعدما وجدت كل شيء ، لم يعد انامي شيء ابعد عنه .

٢٠ نيسان ويزداد ليون بعضا مني يوما بعد يوم . ان الناحية الجسدية  
من العب تلعب لديه دورا كبيرا جدا اما بالنسبة الي فلا دور لها الملاقاة .

نرى ان المرأة الشاب تعاني من فراق أهلها ووحدها ، من الشكل  
النهائي لسيرها وتحسن بالمثل خلال الأشهر العشرة الأولى . وقد أصبت  
(كوليت) بنفس الملل حتى بلغت حد ذرف الدموع بعد زواجها الأول  
الذي فرضه اخوتها عليها .

وقد وصف (مارسيل برشو) في رسائله الى فرنسواز المتزوجة  
حيرة المرأة الشاب وارتباكها بعد عودتها من رحلة العرس :

«انها تفكر في بيت أهلها ، بأثاثها من طراز نابليون الثالث ، وبكل ما  
فيه من قديم مضحك . كل ذلك ينطبع على صفحة ذاكرتها لحظة كملجا  
فعلي ، كعش حقيقي ، حيث احتضنها الحنان الصرف في معزل عمن  
التقلبات والاضطراب . اما هذا النزول برائحة السجاد الجديد المتصاعدة  
فليس عشا حقيقيا . انها تحس بنفسها حزينة حزينة جدا كما لو كانت  
متروكة في الصحراء .»

ينشأ عند المرأة الشاب اعتبارا من هذه الحيرة مزاج سوداوي . وهي

تسمر خاصة بدوامه حريتها الفارغة . يسوق (ببر جايه) حكاية المرأة المتزوجة التي لم تكن تستطيع البقاء وحدها في المنزل لأنها كانت تعس بنفسها تحريها وتدفعها الى التطلع من نافذة والقائه النظرات على المارة . ومن النساء من يصررن على رفض وضعهن كساء بالغات مدى الحياة .

مثلا حالة المدعوة ك. ي. التي يرويها (جايه) :

وكانت ي. ، امرأة في السادسة والثلاثين ، تسلط عليها فكرة ثابتة مفادها انها فتاة صغيرة يتراوح عمرها بين العاشرة والثانية عشرة لا ميبا حينها تكون وحيدة . فتفكر وتضحك وترقص وتعل شعرها وترتكبه بسندل وتتسوج على كفيها وتقصه جزئيا على الاقل . وهي تمنى ان تتساق مع هذا الحلم . (من المؤلف انني لا استطيع ان لعب لعبة التخفي امام جميع الناس . . . اود ان يجذوني لطيفة . اخاف ان اكون دمية وارغب ان يقولوا لي انهم يحبوني كما يحبون الاطفال الصغار . الطفل الصغير محبوب لطيفة قلبه ودعاياته . . . وماذا يطلب منه لقاء ذلك ؟ ان يكون محبوبا . . . لا شيء . اكثر من ذلك . الا انني لا استطيع مفاتيحة زوجي فهو لا يفهمي . اتبهوا مثلا . . . اود كثيرا ان اكون صغيرة وان يكون لي اب وام اجلس على ركبتيهما ويدعمان شعري . . . لكن لا . . . انا سعيدة . . . وام لاطفال . يجب ان اعني بدخل المنزل وان اكون جدية وان افكر لوحدي . آه يا لها من حياة) .

وغالبا ما يشكل الزواج لزمة بالنسبة الى الرجل . ولا اقل على ذلك ان كثيرا من الاضطرابات النفسية تنشأ في فترة الخطوبة وفي الايام

الأولى من الحياة الزوجية . ولن كان أقل ارتباطاً بالأسرة من أخوانه  
فانه يكون عادة تابعاً لعضاة ما ، كالمدرسة او الجامعة او ورشة العمل  
او زمرة وفان يشعر معهم انه غير مهمل . انه يقادر هذه الجماعة ايضاً  
حياته الجديدة كرجل بالغ . فهو يخشى العزلة في المستقبل ويتزوج  
غالباً ليتجنبها .

باستثناء فترة تأجع الحب القصيرة ، لا يمكن لشخصين فقط ان  
يشكلا عالمًا يحياها امام العالم . هذا هو شعور كليهما بعد الزفاف .  
فالمرأة لا تتخلف عن الرجل عبء مسؤولياته بل على العكس تزيدها .  
ويكون من نتيجة اختلاف الجنس اختلاف في السن والتربية والوضع ،  
ما لا يسمح بأي تفاهم حقيقي . وان كان الزوجان متآلفين فانهما  
يقتان غريبين عن بعضهما بعضاً . وفيما مضى كان بين الطرفين هوة  
عظيمة دائماً . فالفتاة الناشئة في جو من الجهل والبراعة لم يكن لها اي  
ماضي ، في حين ان خطيبها يختبر الحياة وعليه ان يقوم هو باطلاعها على  
حقيقة هذه الحياة .

ومن الفكور من يشعر بالزهو ازاء هذا الدور الدقيق . اما اذا كان  
الرجل اكثر تبصراً فانه يقيس المسافة بينه وبين رفيقته المقبلة بشيء من  
القلق .

وصفت ( اديت وارنون ) مخاوف شاب اميركي من جيل ١٨٧٠ امام  
المرأة المخصصة له :

«أأمل في شيء من الرهبة والاحترام الجبهة الصافية والعينين  
الجديبتين والهم البريء المرح لهذه المخلوقة الشابة التي كانت على اعبء

وهب نفسها له . كانت هذه الحيلة الرعية للنظام الاجتماعي تبدو له  
الآن كأنها اجنبية .. ماذا كان يعرف احتجها عن الآخر ما دام من واجبه  
كرجل مهذب ان يخفي ماضيه عن خطيبته ، ومن واجبه ان لا يكون لها  
اي ماض ؟ لما الفتاة ، وليدة نظام التعمية المد بالثان ، فكانت بسبب  
صراحتها وصفاتها تبدو كلفز معقد جدا . كانت صريحة لانه لم يكن  
لديها شيء تخفيه ، وواقفة لانها لم تكن تصور ان عليها ان تلزم جانب  
الحيطة والحذر . وكانت مضطرة ، دون اي تهديد ، الى ان تنفس في  
ليلة واحدة فيا يسمى (حقائق الحياة ..)

بعدما حوم مائة مرة حول هذه الروح البسيطة ، ارتد مشيط الهمة  
لما ادرك ان هذا الصفاء الصناعي ، المد ابتداءا مائرا بفضل تأمر  
الامهات والعمات والجدات المتزمتات ، لم يوجد الا ليبي ذوقه الشخصي  
وكيما يمارس عليها حقه كسيد ويعطها كبا يعظم تمثال من تلجج .  
ان الهوة اليوم اقل عمقا ، فقد سارت الفتاة لقرب الى الطبيعة واكثر  
اطلاعا واحسن استعدادا وتأهبا للحياة .

وكثيرا ما تكون المرأة مثل الطفلة لانها فعلا صغيرة جدا بالنسبة  
الى زوجها .

كتبت صوفي نولستوي :

«اتي ابذل جهدي كيما اكبح جماح وثبات الشباب ، لانها تبدو  
تماما في غير محلها في هذا الوسط الثقيل»  
ويرى الزوج من جهة في امراته «طفلة» . انها ليست بالنسبة اليه  
الرفيقة المنتظرة ، وهو يشعرها بذلك فتحن انها مذلولة . وليس من

شك في انها تريد ان تجد دليلا مرشدا بعد خروجها من بيت أهلها ولكنها  
تريد ايضا ان ينظر اليها على انها شخص كبير . انها تتسنى ان تلبس طلة  
كما تريد ان تصبح امرأة . ولا يستطيع الزوج ابدا ان يعاملها بصورة  
رضيها ارضاء تاما .

وحى اذا كان فاروق السن ضئيلا فيجب ان لا تنسى ان الشاب  
والفتاة قد تلقيا تربية مختلفة . تخرج المرأة من عالم نسوي تلقت فيه  
الحكمة النسوية واحترام القيم النسوية ، اما الرجل فيكون متشبعا  
بأخلاق الذكور فيصبح صعبا عليها ان يتفاهها في الطلب الاحيان ولا  
يلت ان يحل النزاع بينهما .

ما كان الزواج يلحق المرأة بالرجل بصورة طبيعية فبان مسألة  
العلاقات الزوجية تطرح بشكل حاد بالنسبة اليها . ومن مفارقات الزواج  
ان له مهمة جنسية ومهمة اجتماعية في نفس الوقت . وينعكس هذا  
الازواج في صورة الرجل كما يبدو للمرأة . فهو نصف انه يتشبع  
بفوز الرجولة وعليه ان يحل محل الاب كمدافع ووسى ومرجع ، وينبغي  
للرأة ان تفرغ وتلتج في ظلاله لانه حامل القيم وضامن الحقيقة .  
وهو في الوقت نفسه ذكر ، على المرأة ان تتشارك معه في تجربة ، غالبا ما  
تكون مخيفة ، بغينة ، قريبة ومزعجة .

انه يبدو زوجته الى الولوج معه في الحيوانية كما . سيجها في نفس  
الوقت يقدم موطنة نحو المثل العليا .

قد يكون الرجل لحيانا ابا وعائقا فتصبح العملية الجنسية ذات  
طابع متنس ، وتجد الزوجة بين ذراعيه سلما نهائيا تنسره بخضوعها

الثام . ان مثل هذا الحب الذي يبلغ حد الهوى ياتر الوقوع في الحياة الزوجية . وقد تحب المرأة زوجها حيا نظريا فترفض الاستسلام لهذا الزوج الذي تغمره كثيرا .

مثال ذلك الحالة التالية التي يسوتها شيكل :

السيدة د . س . ارملة فنان كبير ، لها من العمر الآن اربعون عاما . ورغم انها كانت تحب زوجها حتى العبادة فقد كانت مصابة بالبرود معه . وعلى العكس من ذلك قد تستطيع المرأة التعرف على لغة تنقلها كاندثار مشترك تفتل فيها الاعتبار والاحترام .

ان ما يحدث غالبا ان الزوج يبقى بعد التجربة الجنسية حائرا على الاحترام فتتخاض المرأة عن ضعفه الحيواني . او انه يبقى رفيقا طريفا ولكنه يفقد سحره . وقد وصفت (ك . مانفيلد) هذا الازواج :

« كانت تحبه حيا حقيقيا وتكمن له الاعجاب والاحترام الشديد . وكانت تعرف اصناف تشبه اكثر من اي شخص في العالم . فقد كان نموذجيا للصراحة والاحترام ، وبطي بسيط سادجا يفتح بالتقبل رغم ماله من نعرس عملي . لكن ايته لم يشب عليها وهو ينجح بشدة موجها اليها عينين نويتين جدا مولهتين جدا .

كان يفيض بالقوة الا انها كانت منذ طفولتها تفيض الاشياء التي تثقل عليها بسرعة . وكان مغيفا في بعض الاحيان حتى كانت تهم بان تصرخ بكل ما لها من قوة : تكاد تقتلني ! وحينئذ تنحس بالرغبة في قول اشياء مقية ... نعم ... نعم ... ان ذلك صحيح . ولهم كل حبا والقدامها واعجابها كانت تفيض (متايلي) .

كانت كل احساسها بالنسبة اليه دقيقة ، واضحة ، صحيحة . وهذا الشعور الآخر ، هذا البعض كان هو ايضا صحيحا ، وكانت تخشى ان تقدم له هذه الاحاسيس بصورة هدايا ... وان تقدم له هذا الشعور الآخر في النهاية ك مفاجأة

على ان المرأة تكون بعيدة جدا عن الاقرار باحاسيسها امام نفسها في مثل هذا الصدق . ان حب الزوج والتمتع بالسعادة امران يتطلبهما المجتمع وهذا ما تنتظره اسرة المرأة منها .

فإذا كان اعلاها معارضين في زواجها فانها تصر على تكذيبهم فتحيا حياتها الزوجية بسوء نية وتقع نفسها طوعا انها تحب زوجها حيا عظيما . وان هذا الحب يأخذ شكلا متوايما في الهوس والتطك والغيرة كلما تناقص الكفاء المرأة الجنسي . وتصبح لها حاجة ملحة الى حضور زوجها كما تعزي نفسها بخيبة الامل ، هذه الغيبة التي ترفض الاقرار بها في البداية .

يذكر (ستيكلر) امثلة عديدة عن هذا التعلق المرضي :

وبقيت احدي النساء في الاعوام الاولى من زواجها في حالة البرود نتيجة لتثبيت حالة الطقولة . فنشأ عندها حب من النوع الذي يرى عند النساء اللواتي يرفضن اظهار عدم اكثر اثنين بزوجهن . كانت لا تعيش الا من اجل زوجها ولا تفكر الا فيه . ولم . . . يا اية ارادة . كان عليه ان يهيئ كل صباح البرانچ اليومي وان يركب لها ما ينفي لها شراء . . . فكانت تفقد كل شيء بلذاته . واذا لم يبين لها اية مهنة ، بقيت في غرفتها دون ان تعمل شيئا . كانت لا تستطيع ان تبقي وحدها بل تحب ان

تمسكه بيديها . كانت تسيء تطرف الدعج مدة ساعات وترتجف من اجل زوجها ولذا لم تكن هناك مناسبة خلقتها .

اما (صوفي تولستوي) فتريد ان يكون زوجها المحبوب بجانبها دائما وحالما يتعد عنها تعذبها سياط الغيرة . فقد كتبت :

١١ - ١ - ١٨٦٣ : (ان غيرتي مرض ولد معي . لعل ذلك ناجم عن اني احبه ولا احب سواه ، لذلك لا يمكنني ان اكون سعيدة الا معه وبه)

١٥ - ١ - ١٨٦٣ : (داود ان لا يفكر ولا يحلم الا بي وان لا يحب احدا سواي . لا اكاد اقول لنفسي احب ايضا هذا الشيء او ذاك ، حتى تراجع عن قولتي واحسن اني لا احب شيئا بعده . . . واني اشعر بدونه بقلق عظيم ، وبتعاقم الحاجة الى عدم الاقتران عنه يوما بعد يوم)

١٧ - ١٠ - ١٨٦٣ : (احسن بنفسي عاجزة عن فهمه جيدا ، لذلك التلصص عليه بكل غيرة) .

٣١ - ٧ - ١٨٦٨ : (من المضحك ان يقرأ الشخص مذكراته افكم هناك من مناقضات اهل يوجد شخصان اسمد منا ؟ ان حيي لا يكف عن الازدياد . احبه دائما بنفس الحب القلق ، المبرح ، المتحور بالغيرة والعائض بالخيال . الا ان هدوءه وقتته نفسه امور تستلزم احيانا)

١٦ - ٩ - ١٨٧٦ : (بحثت بتعطش عن صفحات مذكراته التي تتطرق للحب وحالما وجدتها اكلتني الغيرة . اني حاققة عليه لانه ذهب . لم اعد اقام ولم اعد آكل شيئا تقريبا . كل يوم تحل بي الحس . . . ورحشات في المساء . هل اتال الجراء لاني افرطت في حيي ؟)



أنا نسر من خلال هذه الصفحات بجهود ضائعة للتعبير عن  
فقدان الحب الحقيقي . ان القلق ، والالاحاح والغيرة تعبر عن فراغ  
القلب . وكثير من الغيرة المرضية ترمرح في مثل هذه الشروط ، فالغيرة  
تعبر تعبيرا لا مباشرا عن عدم الاكتفاء الذي تجسده المرأة عادة باختلافها  
مناسبة لها . وإذا لم تحصل على احساس بالاكتهاء ، فإلها تنظم سلمتها  
تنظيما عقليا تخيلها ان زوجها يغونها .

وغالبا ما نسمع المرأة في الكذب عن رياء او كبرياء او حياء . يقول  
شارفون : كثيرا ما يبقى بنس الزوج مختبيا طول الحياة ويحل محله ما  
يسمى بالمزاج السوداوي او غيره . وتعبر المرأة عن شعور الغضام ببدل  
الجهد في رفض تحكم الزوج . فبعد انقضاء شهر العسل وفترة الانسراب  
التي تليه ، تحاول المرأة الحصول على استقلالها . وهذا ليس بالامر  
السهل . لأن الزوج يتمتع بشيء من النفوذ نظرا الى كبر سنه غالبا ،  
كما انه رب الأسرة بحسب احكام القانون ويشع بتفوق معنوي  
واجتماعي ، وغالبا ما يكون له - على الأقل ظاهريا - تفوق فكري ،  
كما يمتاز على زوجته بالثقافة او على الأقل بالتمرس المهني . ويكون  
متسبا الى حزب او جمعية ، ونظرا الى كونه عاملا ومواطن فان افكاره  
متسرة بالواقع . وبمضى آخر ان الرجل المتوسط ينحلي بالحكمة  
وتفوق الواقع والتجربة وبالفكر الناقد . ان ذلك ما تفقده كثير من  
النشيات . واذا سبق لهم قراءة الكتب وسامح المحاضرات فان معارفهم  
المكسدة بحسب السوانح لا تشكل ثقافة . واذا كن لا يحسن الحكمة  
كثيرا فليس مرد ذلك الى نقص في تكوين دماغهم بل لأن الظروف  
المعلية لم تفسرهم الى ذلك . فالتفكير بالنسبة اليهن نوع من اللعب

أكثر من أن يكون أداة ووسيلة . حتى ولو كن منتصبات بالذكاء  
والحساسية فانهن لا يعرفن آرائهن واستخلاص النتائج منها .  
لذلك يستطيع الزوج وإن كانت الزوجة خيرا منه ، أن يشيت انه على حق  
وانها على خطأ . فيؤدى ذلك الى تقادم شقة الخلاف بينهما . وفي نهاية  
الامر لا يبقى للمرأة الشابة الا الصمت والدموع او العنف . فالمرأة  
تحاول أحيانا ان تقاوم وتناضل ، الا انها تقبل في أكثر الأحيان ، طوعا  
او كرها ، أن يفكر الرجل محلها فيصبح هو ضمير الأسرة . وهي تمول  
على الرجل لتكوين لأراء المشتركة في كل المواضيع العامة والتجريدية  
عن حياة او كسل او تقص في المهارة . ويحلو للزوج في قلب الأحيان  
القيام بدور الموجه والقائد ، لانه حين يعود مساء من احتكاكه مع قرانه  
ورؤسائه يروق له ان يرى نفسه رئيسا مطلقا ينشر الحقائق الصائبة .  
فيعرض وقائع اليوم ويصوب نفسه تجاه الخصوم ، وهو سعيد انه يرى  
في زوجته صورته التي تؤكد لقواله .

إن الزواج يشجع الرجل على تسلط خاضع الهوى . والميل الى  
التحكم هو الأكثر شيوعا والعاما . وإن تقويض امر المرأة بالرجل  
يشجع على انتشار البغي في الأرض . فالزوج لا يكتفي غالبا بأن يقال  
الاستحسان والأعجاب وإن تصح ويوجه بل انه يصدر الأوامر ويتصرف  
كالسيد المطلق . وهو يحرر في البيت من كل احتفاده المتكدسة منذ صباه  
وطيلة حياته والمتجمعة يوميا أثناء احتكاكه مع بقية الرجال . انه يأمر  
ويهي ويصنع الشدة والبأس ويرفع صوته عاليا ويضرب يده على  
الطاولة . ان هذه المفزاة هي بالنسبة الى المرأة جزء من الواقع اليومي .  
فالزوج ملتزم الى أبعد الحدود بطوقه حتى ان أقل بلادة استقلال من

زوجته تبدو له كعصيان . اما هي فتشقى عليه مع ذلك . ولئن ابتدأت بالاعتراف بفضو الرجل الا ان ذلك سرعان ما يتبدد فتكتشف الزوجة ان الذي امامها ليس قائدا او سيذا بل رجلا ، ولا ترى اي مبرر لقبول العبودية . وحيانا تخضع ظاهريا الا انها تدخل غالبا في خصام متافر مع هذا السيد وتحاول هي ايضا بسط سلطتها عليه .

وقد يتفاهم الخصام حتى يؤدي الى الانفصال . لكن المرأة بصورة عامة ، رغم رفضها تحكم زوجها ، تريد مع ذلك المحافظة عليه . انها تتاضل ضده لتدافع عن استقلالها وتحارب بقية العالم لتحافظ على الوضع الذي ينفرها للتبعية . ان هذا اللب المزجج صعب ، مما يفسر تفسيراً جزئياً حالة التلق والتوتر العصبي التي نحل بكثير من النساء طيلة حياتهن .

وكما ان اسطياد الزوج فن ، فان المحافظة عليه تتطلب كثيرا من المهارة . خصوصا ان المرأة تقامر باشيء لا تستوجب التفريط : الا من المادي والمعنوي ، البيت الخاص ، سكينة الزوجة . وسرعان ما تعرف المرأة ان سرورها الجنسي ليس سوى اوهى سلطتها ، لان تأثيره يخبث مع العادة، كما ان هناك نساء كثيرات يتوددن له كيدا يمجبه ويستهوته . ويصطرح ضمن نفس المرأة غالبا الكبرياء التي تدعوها الى البرود ، وفكرة استهواء زوجها بالهفنة الجنسية . وهي تعول ايضا على اشياء اخرى كالحنان على الاطفال وانهاها آداب المجتمع .

الا ان هناك تقاليد كاملة تلقن الزوجات فن اجتذاب الرجل ، اذ يجب اكتشاف نقاط الضعف فيه وامتداحها والموازنة بهارة بين الخضوع والقوامة وبين الحذر والتساعل . والسلطان الاغبران من الاهمية

بمكان فلا ينبغي التشديد كثيرا على حرية الرجل او التساهل كثيرا فيها .  
فإذا كانت كثيرة التساهل فقد تتعرض لفقدها . وإذا ارتفعت  
بمراقبتها والحامها آثاره ضدها . وإن عثر المرأة الأكبر في مناوراتها  
ولها ودوراتها انها مجبرة على حشر كل كيانها في الزواج . فكيفما تسود  
بين الزوجين علاقات الاخلاص والواصر الصداقة فإن الشرط الضروري  
الذي لا غنى عنه ان يكون كل واحد حرا تجاه الآخر ومساويا له مساواة  
فعلية ملموسة . وما دام الزوج يملك وحده استقلاله الاقتصادي ويتشعق  
بامتيازات الرجل بحكم القانون والعرف فمن الطبيعي ان يبدو غالبا  
كطافية ، مما يدفع المرأة الى الثورة والمكر .

لا احد ينكر مآسي الحياة الزوجية . الا ان المدافعين عن الزواج  
يدعون ان النزاعات بين الأزواج تنشأ عن زيادة الاقراء السيئة وليس  
عن نظام الزواج نفسه .

ان (انثوني برونون) احد كبار المحسنين للحب الوحيد المطلق  
الخالد يضطر الى القول بان هذا الحب قد يخطئه في اتقاء شخص  
المحبوب في الظروف الحالية على الاقل .

وليس من شك في ان كثيرا من الأزواج ينجحون في الوصول الى  
نوع من التوازن والاتفاق . الا ان هناك لمة تحل بهم ولا يتحررون  
منها الا نادرا وهي الشعور بالسأم . فإذا لم ينجح الزوج في ان يجعل  
من زوجته صدى وصورة لتخصه او ازوي كل منهما في عالمه الخاص  
فلن يكون بينهما بعد بضعة اشهر او بضع سنين اية مشاركة او اي  
تجاوب .

ان المشاقعين عن الحب الزوجي يقرون بأنه ليس حيا ، وان هذا السبب بالذات يفتي عليه طابعا صحيا . لان البورجوازية قد استبطلت في السنوات الاخيرة اسلوبا ملحميا شعريا فاصبحت الرقابة مغامرة ، والاخلاص جنونا غلوريا ساميا ، والملل حكمة وتعقلا ، والاحقاد الزوجية اعشق شكل للحب ، والحقيقة انه اذا تاملت شخصان دون ان يستطيع احدهما الاستغناء عن الآخر فالملازمة بينهما لا تستدعي الا الشفقة . والحل الامثل ان لا يربط شخصان الا بالاتفاق الحر لحيتهما .

على ان الحرية لا تعني الخضوع للهوى . فالاحساس نوع من التمسك يتجاوز المحطة العابرة . ولا يكون الاحساس طليقا حرا الا اذا كان غير خاضع للتوجيهات الخارجية ، وكان الشخص يحيا بمسوق لا يعرف الخوف . اما شعار «الحب الزوجي» فيدعو الى كل انواع الكبت والكذب ، واول ما ينع على الزوجين هو ان يحققا بينهما تعارفا حقيقيا . فعندما شفي احد الرضى وجه شكره لاسفقاته وممرضاته ثم التفت الى زوجته التي لم تبارح جواره مدة ستة اشهر قائلا : ولما انت فلا توجه اليك بالشكر لانك لم تفعلي سوى واجبك » . انه لم ينظر الى اية حسنة من حسناتها على انها مزية ، لان هذه الحسنات يفتنها للمجتمع ويضمنها نظام الزواج .

يجري الكلام كثيرا عن خيبة امل الرجل الساذج المخلص امام الفكر النسوي والحقيقة ان المرأة مندورة للاخلاق ، لان الاخلاق تضطرها الى تجسيد كيان غير انساني . وما ان تفكر وتعلم وتفتي وتفتش دون توجيهات حتى تخون ما يستلته الرجل فيها . لذلك لا تناسق نساء كثيرات مع ذاتهن الحقيقية الا في غياب ازواجهن ، وعلى العكس من ذلك ، لا

تعرف المرأة حقيقة زوجها . فقد لحسب انها ترى وجهه الحقيقي في حين ان حقيقة وجه الرجل هي اوله كل شيء في ما يلمعه ضمن العالم مع الرجال الاخرين .

ولي بعض الحالات الموافقة قد تنجح المرأة في ان تصبح رفيقة حقيقية لزوجها . فتناقض مشاريعه وتدعي له النصائح وتساعد في اماله . الا انها تخضع نفسها اذا طنت انها تعطف بذلك على شخصا . فالرجل يبني الحرية الوحيدة المتسعة بالنشاط والمسؤولية . وينبغي لها ان تكون مولاه بعينه لتجد الفرح في خدمته والا فانها لن تفهم الا بالحق امام حرمانها من نتائج جهودها .

تأخذ الحياة الزوجية ، بحسب الاحوال ، اشكالا مختلفة . الا ان الحياة اليومية تجري بالنسبة الى كثير من النساء على نفس الوتيرة .

يستيقظ الزوج صباحا بمجلة . وتصفي الزوجة بالشراب الى صوت الباب يطلق خلف زوجها لانها تحب ان ترى نفسها حرة ، غير خاضعة للتوجيهات وسيدة في بيتها . وخلال نسي مراحل اليوم تطلب نصيحتها ضمن الاطار التالي الذي يشكره كل يوم قريبا : المثل ، الانتظار ، خيبة الأمل .

وقد تعرض للمرأة بعض انواع الهروب . الا ان ذلك صعب من الناحية العملية في الارياض حيث تثقل قيود الزواج كاهل المرأة تصيح بعضهن ربوات بيوت طائفيات متحكّمات ويلعب بعضهن دور الضحية المستعبدة .

ولا يبقى للمرأة التي تريد ان تحيا وضعها حياة مناسبة الا الكبرياء

الصابرة في الطب الاحيان . ولما كانت مقيدة بكل الاشياء وبكل  
الاشخاص فلا يمكنها ان تعرف سوى الحرية الجنسية اي الحرية  
التجريدية .

وعالياً ما تداعب الازواج نفس المرأة في الازواج الاولى فتحاول  
ان تعجب بزوجها تعجباً مطلقاً وان تنمحه حياً بغير تحفظ وان تعجب  
بنفسها ضرورة لزوجها واملالها . ثم تطالعها مشاعرها الحقيقية فتدرك  
ان زوجها يستطيع الاستغناء عنها وان اولادها سينفصلون عنها ثم يجيء  
وحيث تكف الحياة المنزلية عن حمايتها من حرمتها العارلة ترى نفسها  
محرقة محجورة .

كل الكتابات الصادقات لاحسن هذه السوادية التي تقطن قلب  
المرأة في الثلاثين من عمرها وان هذه صفة مشتركة بين بطلات الكتابات:  
كأثرين مانسفيلد ، دوروثي باركر ، فيرجينا وولف .

واذا ما قارنا حواشي الانتحار بين العازبات والمتزوجات وجدنا ان  
الاخيرات معصومات من البرم بالحياة بين العشرين والثلاثين ثم يسير  
التحني نحو التناقض بعد الثلاثين .

ان بأساة الزواج لا تكمن في انه لا يؤمن للمرأة السعادة الموعودة ،  
لان ضمان السعادة امر مستحيل ، وانما لانه ينفقها للتكرار والرتابة  
المملة .

وحياة الفتاة حتى العشرين غنية بالمفاجآت ، حيث تجتاز الفتاة  
تجارب البلوغ والحياة الجنسية والزواج والامومة . وفي العشرين من  
عمرها ترى نفسها سيدة بيت مربوطة بزوجها الى الابد وبين ذراعيها

تعلما . هذه هي حياتها قد تحدث معالمها الى آخر ايامها ، اما الاتصال  
الحقيقية لمشاركة للرجل .



ان الشكل التقليدي للزواج أخذ في التحول ، الا انه لا يزال يشكل  
نوعا من الاضطهاد يحس به الزوجان بصورة مختلفة . فاذا لم يأخذ بعين  
الاعتبار سوى الحقوق المجردة فانهما اليوم متعادلان تقريبا . فهما  
اكثر حرية من ذي قبل في اصطفاء بعضهما . ويمكنهما الانفصال عن  
بعضهما بصورة اسهل من الماضي . على ان الزواج ليس بالنسبة الى  
المرأة سوى امكانية مجردة اذا لم تكن لها وسائل تأمين حياتها بنفسها .  
ان سيادة الرجال ذاتها تجعلهم متقدين . فلاتهم وحدهم يربحون  
المال ، زرعهم الزوجة بطاليبها ، ولاتهم وحدهم يمارسون مهنة ، تفرض  
عليهم الزوجة النجاح فيها . وعلى العكس من ذلك ، ليس من شأن  
مطمان المرأة الا ايراز تبعيتها .

ولئن كانت العبودية الزوجية اكثر استفزازا للرجل فانهما اكثر عفا  
بالنسبة للمرأة . وان وجه الاخلاف الاساسي بينهما هو ان تبعية المرأة  
مستبنة ، فهي مستعبدة وان تصرفت ظاهرا بحرية . اما الرجل فحر  
مستقل ، وهو غير مكبل بالانلال الا في الظاهر لان الامياء التي يتحلبها  
هي الاكثر وضوحا . والمرأة تتلقف غذاءها منه كفضيلة فلا يمكن لها  
اذن ان تكون سيئة مظرة .

والحقيقة ، كما ان الذكور والاثاث هم شعبا النوع من التابعة  
البيولوجية ، فانهم يتحلبون وطأة مؤسسة الزواج بصورة مشتركة ، واذا



قلنا ان الرجال يضطهدون النساء اثر الزوج غاضبا لانه يحس بنفسه  
مضطهدا ، وهو كذلك في الواقع ..

ان المجتمع الذي شيده الذكور في مصلحتهم قد حدد وضع المرأة  
بسورة صارت في الوقت الحالي مصدر عذاب الطرفين .

يجب تعديل الوضع ، بسورة يحظر معها جعل الزواج «مهنة»  
بالنسبة الى المرأة ، وذلك في مصلحة الزوجين معا .

فالمرأة تنقل كأهل الرجل لانه محظر عليها ان تستند الى نفسها .  
ويستحرم الرجل نفسه اذا تعرت هي وصار لها شيء تفعله في هذا  
العالم .

ان الطفل ، بحسب النظرة التقليدية ، هو الذي يضمن للمرأة  
استقلالاً ملموساً يشيها عن ان تنذر نفسها لاية غاية اخرى . واذالم تكن  
المرأة كزوجة شخصا كاملا فانها تصبح كذلك بفضل الامومة ، فالطفل  
هو بهجة حياتها ومرور وجودها . وبفضله تصبح مؤسسة الزواج ذات  
مغزى وتبلغ هدفها .

فلنفضح اذن هذه المرحلة العليا لتطور المرأة .

## الفصل الثاني

### الام

لا تستكمل المرأة مصيرها الفيزيولوجي الا بالامومة . هذا هو استعدادها الطبيعي ، لان كل عضوها موجه نحو اداء النوع . على ان هناك من يقول ان المجتمع الانساني ليس متروكا للطبيعة ابدا ، خاصة ان العجاب الاطفال لم تعد ، منذ قرن تقريبا ، تعدده الصدفة البيولوجية ، بل صار خاضعا لاشراف الارادة والرغبات . فبعض البلاد تبنت بصورة رسمية طرق (مراقبة النسل) ويجري ذلك في البلاد الخاضعة لتأثير الكاثوليكية بصورة سرية ، وبسبب ذلك غالبا نزاعات بين الاحباء والازواج .

فاذا كانت وسائل مقاومة الحمل بدائية اضطرت المرأة الى اللجوء الى الاجهاض .

لا شيء كالاجهاض يترك المجال لرياء البورجوازية . فهو جريمة متوزعة يحول الشرف دون التلميح اليه . فاذا ما وصف احد الكتاب الفراح وآلام الولادة قوبل بالترحاب اما اذا تحدث عن الاجهاض قوبل له ، لانه يتمم بالشرخ في التقادير ويوصف الانسانية وصفا خفيرا وضيقا . الا ان الواقع يبين ان عدد حوادث الاجهاض في فرنسا كل عام يعادل

حوادث الولادة . ان هذه الظاهرة من الشيعوع بحيث ينبغي اعتبارها من الطوارئ ، الطبيعية المرتبطة بوضع المرأة .

بصر القانون على اعتبار الاجهاض جنحة . ولا شيء اسخفا من المصيح التي توجه ضد تشريعه . فيدعون ان العطفة خطيرة ، الا ان الاطباء الشرفاء يقررون مع الدكتور (هيرشفيلد) ان «الاجهاض الذي يقوم به طبيب اخصائي في العيادة مع اتخاذ الوقاية الضرورية لا يتسبب هذه الاخطار الجسيمة التي يؤكد القانون الجزائري وجودها» . بل بالعكس ، انه يشكل خطرا كبيرا على المرأة في شكله الحالي .

ينبغي لنا ان نلاحظ ان المجتمع الذي يبدي حماسا كبيرا في الدفاع عن حقوق الجنس يتنكر كل التنكر للاطفال بعد ولادتهم . والسلطة تلاحق الجهات بدل ان تبذل جهودها لاصلاح هذه المؤسسة التي يطلق عليها اسم «الاسعاف العام» . ولئن كانت ترفض اعتبار الجنين تابعا للمرأة التي تحمله في احوالها فانها توافق على جعل الطفل لغرضا خاصا باعله . وفي اسبوع واحد رأينا احد الجراحين يتنكر لانه اتهم بمسبات اجهاض ، واحد الآباء يضرب ابنه حتى الموت فيحكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر مع وقف التنفيذ ، كما رأينا مؤخرا إحدى الامهات ترفض استئداء الطبيب للعناية بابنتها المريضة بحجة انها تخلت عنها للعناية العالمية والارادة الربانية تخليا غير مشروط ، ولما حاول بعض الاطفال القاء الاحجار عليها غضب بعض الصحفيين واحتج بعض الناس الشرفاء مدعين ان الاطفال يخصون اعلمهم ويعتبر كل اشراف اجنبي مرفوضا .

وفي الفرقيا الشمالية ، لا يمكن للمرأة ان تلجأ الى الاجهاض ، ولكن اذا انجبت عشرة اطفال ومات منهم سبعة او ثمانية فلا يأبه احد لذلك .

زد الى ذلك ان اكثر الرجال احتراماً للحياة الرثيعة هم ايضا اكثرهم  
تحسناً وانفعالاً للرج بالتيان الى ساحات الحروب .

ان الاسباب العلية الموجبة ضد الاجهاض القانوني ليس لها اي  
وزن . اما الاسباب الخلفية فتتلخص في الحجة الكاثوليكية القديمة  
القائلة بان الجنين روحاً فاذا قضينا عليه قبل التعميد حرمانه من دخول  
الجنة . ومن الملاحظ ان الكنيسة تسح بقتل الانسان الكامل في  
الحروب او في حالة الحكم بالاعدام وتتمتع في اساليبها بالنسبة الى  
الجنين . انه لم ينفذ نفسه بالتعميد ... ولكن «الكفار» في زمن  
الحروب المقدسة لم يكونوا هم ايضا معذبين ومع ذلك كان يقتلهم  
بقس كل تشجيع .

والحقيقة اننا هنا امام فكرة تقليدية راسخة لا تمت بالصلة الى  
الاخلاق . وبلغت القسوة في بعضهم حدا عجيبا . وكتاب الدكتور  
(روا) نموذج صارخ على ذلك . فقد ألح على اخطار الاجهاض مع انه  
اعتبر العلية القيصرة صحية جدا وطالب باختياره كجريمة وليس  
كجنتحة . ونرى ان يمنع حتى في حالة تعرض حياة المرأة او صحتها للخطر  
نتيجة الحمل . اذ اظن ان الالتقاء بين حياة وانثى عمل غير اخلاقي  
وبالاستناد الى هذه الحجة تصح بتفحيط الام .

ان روح العناء للمرأة ما زالت حية ، ويرى ذلك في عناد بعض  
الرجال وامسارهم على رفض كل ما من شأنه تحرير المرأة .

ان عملية الاجهاض تجري غالبا في شروط غير ملائمة حتى ان كثيرا  
من النساء المجهيزات يلاقين حتفن . كتب الدكتور (ديبلا) مقالا في

جريدة (كوبيا) في آذار ١٩١٨ جاء فيه :

• وان المعهد الطبي الشرعي في باريس يتلقى جثثين في كل اسبوع .  
وكثير من عمليات الاجهاض تؤدي الى امراض دائمة .

لقد قيل ان الاجهاض «جريمة راقية» وهذا القول صحيح الى حد  
كبير ، لان طريق منع الحمل كثيرة الانتشار في اوساط البورجوازية .  
وان وجود حفرة خاصة للزينة يجعل التطبيق سهلا يمكن العمال  
والفلاحين المحرومين من الماء الجاري .

ومن اسباب الاجهاض ، الفقر ولزومة السكن واضطراب المرأة الى  
العمل خارج البيت . ويبدو ان المرأة ، في اغلب الاحيان ، تقرر تحديد  
النسل بعد ولادتين .

ان خطورة هذه التجربة تبدل كثيرا تبعاً للظروف . فالمرأة المتزوجة  
زواجا بورجوازيا والتي تستند الى رجل ولديها اموال وصلات ، هي  
في وضع مميز . فهي تستطيع ، بصورة اسهل من غيرها ، الحصول على  
اذن اجهاض «طبي» ، واذا دعت الحاجة فانها تدفع في سفرة الى  
سويسرا حيث يسمح بالاجهاض . وفي اوضاع الطب النسائي الحالية  
تعتبر هذه العملية سهلة بسيطة اذا قام بها اخصائي واتخذت كل  
الضمانات الصحية .

وعلى العكس من ذلك ، لا شيء يستدعي الشفقة مثل الفتاة المنزلة  
التي لا تملك الاموال الضرورية تضطر الى ارتكاب «جريمة» لتسمح  
اكثر «الخطيئة» .

ان الرجل الذي يغوي المرأة هو الذي ينبغي غالباً بالتخلص من

الطفل . فاما ان يكون قد عبرها بعد حملها وانها تريد ان تخفي الامر عنه او انها لا تجد من طرفه اية مساعدة . وهي احيانا لا تتخلى عن الطفل دون اسف ، وعينها تباشر بالتخلص منه لتكون في شعرها الثالث او الرابع او الخامس ، حينئذ يصبح الاجهاض اكثر خطورة واشد لما من الاجهاض في الاسابيع الاولى . ان المرأة تعرف هذا الامر معرفة جيدة ، لذلك تطول التخلص منه وهي في حالة من القلق واليأس .

يجعل الناس في الارياض استعمال المسير . والفلاحة التي ارتكبت الخطيئة تخرج نفسها من السلم او الدرج وغالبا ما تخرج نفسها بغير نتيجة . اما في المدن فالتساء يتبادلن المعونة ، على ان الجراحين الذين يتجند بهم يكونون غالبا قليلي الكفاءة . . هذا اذا لم تهم المرأة نفسها بالمحاولة .

قص علي طبيب ، ان احدى الطبيخات الجاهلات ارادت ان تحطن رحبها بالخل فحقت نتائجها ، مما سبب لها آلاما مبرحة .

يرافق الاجهاض الذي يكون غالبا اكثر مشقة من الولادة الطبيعية اضطرابات عصبية . وقد يحدث احيانا امراضا داخلية خطيرة او يؤدي الى نزيف مبيت .

حدثوني عن ضاربة على لآلة الكاتبة بقيت اربعة ايام في غرفتها وهي غارقة في دماغها دون اكل او شرب لانها لم تجرأ على طلب المساعدة . لا شيء اسعف من وضع يختلط فيه التهديد بالموت بالجريمة والفسيحة . ولما كانت العملية تجري في جو من السرية والاحرام فان الخطر يتزايد ، وتأخذ العملية طابعا حقيرا مقلقا . وتأخذ الام والمرض

والموت شكل عقاب . ان المرأة تحس بنفسها مغطاة من خلال الاخطار التي تأخذها على عاتقها وهذا التداخل بين الالم والخطيئة شاق ومرهق .  
تختلف شدة الشعور بالناحية المعنوية للأساء بحسب الظروف .

فبالنسبة الى النساء «التحررات» جدا ، ونظرا الى ثروتهن ووضعهن الاجتماعي ووسطهن المطلق ، وبالنسبة الى النساء اللواتي عليهن الفقر او اليأس الاستخفاف بالأخلاق البورجوازية ، لا يوجد اية مشكلة .  
كل ما في الامر ان عليهن المرور بفترة مزعجة قليلا او كثيرا .

الا ان هناك نساء كثيرات يحسسن بالرهبة من اخلاقي لا تزال تحافظ على سلطاتها امام اعينهن وان كسبن لا يستطعن ان يكفئن سلوكهن بمقتضاها . فهن يحترمن احترامنا ضمنيا القانون الذي يخالفنه ، وبالتالي لا ارتكابهن جنحة ، وبالتالي لما اكبر لانهن مضطرات الى البحث عن شركاء وشريكات .

يشعرن اولاً بذل السؤال : السؤال عن عنوان وطلب رعاية طبيب او ممرضة . انها تطلب هذه المساعدة ، ولكنها ترفضها غالبا ضمن نفسها ، فهي موزعة منقسمة ضمن ذاتها . لانه اذا كان صحيحا ان الاجاضي ليس جريمة قتل فلا يمكن مع ذلك تشبيهه بوسيلة بسيطة ضد الحبل . فقد وقع الحادث وهو بداية مطلقة ثم اوقف تطوره . وان بعض النساء تصاحبهن ابدا ذكرى هذا الطفل الذي لم يولد .

تروي (هيلين دوثرلي) في كتابها «نفسية النساء» حالة امرأة متزوجة طبيعية جدا من الناحية النفسية ، فقدت جنين في الشهر الثالث بسبب تكويرها الجنسي فقامت لها قبرين وبقيت تحيطها بحبا وخشوعها

حتى بعد ما ولد لها عدة اطفال .

فلا شك في ان المرأة التي تجهش نفسها بإرادتها تحسن غالباً لها  
ارتكبت ذنباً . وقد تعبر السوداوية الرضية عن هذا الشعور بالأثم .  
والى جانب النساء القواني يعتقدن انهن اعتدين على حياة شخص ، هناك  
نساء كثيرات يعتبرن ان جزءاً من ذاتهن قد فصل عنهن ، وعن ذلك ينشأ  
حقد ضد الرجل الذي طلب اليهن الاجهاض . واذا كان من النادر ان تصاب  
شطح المرأة سلتها بشريكها الرجل قطعاً باناً فكثيراً ما يحدث ان تصاب  
بالبرود الجنسي لزاء جميع الرجال او لزاء الرجل الذي حملت منه .

يسهل الرجال الى الاستخفاف بالاجهاض فيمشروه من الطوارئ  
العديدة التي كتبها حبث الطبيعة على النساء ، ولا يقدرن ما يفسدنه  
من قيم .

وتنكر المرأة كل قيم الانوثة ، قيمها الخاصة ، حين تتناقص الخلاق  
الذكور تناقصاً صارخاً . ويترزع كل عالمها الخلقى . في الحقيقة ، انهم  
كروا انماها منذ طفولتها قولهم ان مماتها انجاب الاطفال وانضوا امامها  
بهبجة الامومة . ويرروا مساوية وضعها والاعمال المثالية المطة وكل  
شياء بهذا الامتياز العجيب الذي تتمتع به وهو القدرة على انجاب  
الاطفال . وما هوذا الرجل يسألها ان تتخلي عن طفرها كائن ، كيان  
يحافظ على حرته ولا يقيد مستقبله ولا يهدد مصالح مهنته ، الم يعزوها  
عن فرغها امام دم الحيض وهي فتاة بوعدها ببساجح الولادة .

وحتى اذا وضيت بالاجهاض ورغبت فيه فانها تحس به كانه شخصية  
بانوثتها ، ويضي لها ان تعتقد اعتقاداً لهايا ان جنسها كمرأة لمنة تعيق



بها وعجز يلتزمها وخطر يهددها . وقد يصل الحد في بعضهن مبلغ التحول الى السحاق .

على ان الرجل ، حين يطلب الى المرأة التفضية بإمكانياتها الجنسية له سبيل تحسين مصيره كرجل ، يفضح في نفس الوقت رياء القواعد الاخلاقية للذكور . . انهم ينعون الاجهاض بصورة عامة ولكنهم يرضون به بصورة خاصة كحل ملأه . انهم يناقضون القسوم بطيش ، الا ان المرأة نفس بهذا التناقض ، في جسها الجريح ، وغالبا ما تكون شجوة لدرجة يستحيل عليها ان تثور ضد سوء نية الذكور . وهي ، اذا تفكر في انها ضحية ظلم يجعل منها مجرمة بالرغم منها ، تحسن نفسها مندسة مذلولة ، انها هي التي تجسد خطيئة الرجل تجسيدا ملموسا مباشرا . فهو يرتكب الخطيئة ويتغلل منها بالقائها على عائق المرأة . وقد لا ينطق احيانا بكلمة ، بل يكتفي بالمعاب ، الا ان صمته وهروبه يشكلا ن تكلفيا سارخا لكل الاخلاق التي شرعها الذكور . والنساء يتعلمن الكف عن تصديق الرجال حينما يشيدون بالمرأة او حينما يشيدون بالرجل . ان الشيء الوحيد المؤكد هو حالتهم التعمية . واعتبارا من اول اجهاض تباد المرأة بفهم الحقيقة . ولا يعود للعالم نفس الوجه بالنسبة الى الكثيرات . ومع ذلك فالاجهاض هو الطريق الوحيد المفتوح . وسبق سيكمل بقوله :

وان تحظر الاجهاض قانون غير اخلاقي لان هذا القانون سيخالف حتما في كل يوم وفي كل ساعة .

ان تبني مراقبة النسل والاجهاض القانوني يشجع للمرأة النهوض

بالأمومة في حرية • وتتقرر انجاب الأطفال عند المرأة بالأرادة المصممة  
كما بالصدفة • وطالما لم يصبح التلقيح الصناعي اجراء شائعا فقد تضمنت  
المرأة الأمومة دون ان تحصل عليها اما لانها ليست على علاقة مع رجل  
او ان زوجها عاقرا او انها سببة التكوين • وعلى العكس من ذلك ، تجد  
نفسها غالبا مضطرة الى الانجاب ضد رجليتها • وتعيش النساء الضلع  
والأمومة بصور مختلفة تبعاً لحدوثها في حالات الثورة او الخضوع  
او الاكتفاء او الحساس • ويجب الاحتراس من ان القرارات والمواقف  
التي تمر بها الام الشابة لا تتفق دائما مع رجلياتها العميقة • فبإمكان  
التزوجة الشابة التي تستقبل حملها بفرح وافتخار ان تتشاء في صمت  
وتكرهه من خلال ذكريات الطفولة التي ترفض هي قصصها الاقرار بها •  
وهذا من الأسباب التي تجعل النساء على الصمت حول هذا الموضوع •  
وان سمعن نشأ جزئيا من انهن يرتعن الى اساطير هذه التجربة الخاصة  
بين بالانغاز •

وأذا ان المرأة نمر اعتبارا من طفولتها ببدء مراحل فيما يخص  
الأمومة • فحين تكون صغيرة يبدو لها الأمر كالمجربة ولعبة فهي تجد  
في الدنيا والطفل فرحا تنارس عليه استحوافها وتسلطها • وحين  
تصبح بافعة ترى في الطفل تهديدا لسلامة شخصها او انها ترفضه بشدة  
او انها تتشاء وتتشاء مما يؤدي الى كل انواع القلق • وبعض الفتيات  
يرتعن الى ممارسة السلطة التي تخولها الأمومة ولكنهن غير مستعدات  
لضمان ما ينجم عنها من مسؤولية •

مثال ذلك حالة (إديا) التي كانت تعمل في الخدمة وهي في السادسة  
عشرة من عمرها • كانت تعامل الأطفال الموكلين لعنايتها بكل مضعية •

وكان ذلك امتدادا لاجلام الطويلة . الا انها شرعت فجأة باعمال خدمتها  
والخلت لا تبالي بالاطفال وتخرج من البيت وتنازل . لقد انتهى بالنسبة  
اليها وقت اللعب وبدأت بالاعتماد بحياتها الحقيقية التي لا تحتل فيها  
الرفية في الامومة الا مكانا محدودا . وبعض النساء يرغبن خيلة حياتهن  
في السيطرة على الاطفال ولكن يرفضن العجاب الاطفال بانفسهن  
فيصبحن مطلقات او معرضات او قابلات ، وبعضهن ايضا لا يدفنن عنهن  
الامومة بقرف الا انهن يكن منهنكات بحياتهن الغرامية او يهتبن  
انها كما لا يدع مجالا للامومة في حياتهن .

وتحقق المرأة نفسها غالبا بصورة ارادية لما بتجنب الاتصال الجنسي  
او بوسائل تحديد النسل . على ان هناك حالات لا تقر فيها المرأة بخوفها  
من الولد فيمنعها السياق النفسي من الحمل . اذ تطرا عليها اضطرابات  
وعائية من اصل عصبي ، تظهر بالفحص الطبي .

يسمي الدكتور (الرتور) مثلا بارزا على ذلك :

ذهبت السيدة هـ . من قبل امها توتة سينة على حياتها كمرأة فقد  
كانت امها تسبأ لها دائما باقطع الكوارث اذا حملت طفلا . ولما تزوجت  
السيدة هـ . غيل اليها انها حامل في الشهر التالي ثم لاحظت خطأها .  
وتخيلت نفس الشيء بعد ثلاثة اشهر ثم شعرت بطفنها . بعد عام ذهبت  
تستشير احد الاخصائين في الامراض النسائية فلم ير عندها او عند  
زوجها اي سبب للعقم . وبعد ثلاثة اشهر راجعت طبيا آخر قال لها :  
سوف تحبلين طفلا حينما ستقلين من الحديث عن الحمل . وبعد خمسة  
اشهر انتقلت السيدة هـ . مع زوجها ان لن يكون لها طفل . . . فولدت  
طفلا في العام السادس .

يتأخر قبول أو رفض الحمل بنفس العوامل التي يتأثر بها الحمل بصورة عامة . فخلال أشهر الحمل تنتشط اعلام الطغولة . ويميش المرأة حملها بصورة مختلفة بحسب علاقتها مع زوجها ومع ذاتها .

وحينا تصبح المرأة اما تأخذ محل امها التي ولدتها . واذا كانت تحس الحمل حقا فانها تتهج به وتعمل على السير فيه دون مساعدة . اما اذا كانت لا تزال واقعة تحت السلطة وراضية بذلك فانها تلجأ الى ابائى امها فيبدو لها حملها كآخ او كآخت لها اكثر من غلظة كيدنها . واذا كانت ترغب في التحرر ولا تجرؤ عليه في نفس الوقت فانها تحس ان يقيدنها الطفل عوضا عن ان يتفلسا . مثل هذا القلق يكون من نتيجة احيانا الاجهاض .

تروي (هدى دوتلى) قصة امرأة كانت مضطرة الى مرافقة زوجها وترك طفلها عند امها فانجبت طفلا ميتا . وقد شعشت لانها لم تبكه كثيرا . انها كانت تستقطع ترك ولدنها عند امها التي كان يوسعها التحكم بابنتها من خلال الطفل .

انا نرى من امثال التالي الذي ترويهِ (هدى دوتلى) ما للعلاقة مع الام من الرسي :

«السيدة سيث هي الابنة الصغرى لعائلة ذات اولاد عديدين ليس فيهم سوى سوي واحد . كانت امها تنظر اليها نظرة حقد لانها كانت تريد مولودا ذكرا . الا انها لم تكن تقاضي كثيرا من ذلك لان اباعها واشتت الكبرى كالا يعطقان عليها . ولما تزوجت واخلقت تنتظر ولادة طفل ، لعال الحقد الذي كانت تشعر به سابقا تجاه امها ، ففكرة

الأمومة يفضية الي نفسها رغم انها كانت تمنى هذا الطفل بلهفة .  
فولدت قبل انتهاء المدة بشهر عظاما ميتا . ولما حملت ثانية خشيت وفروع  
حادث جديد ، ولحسن حظها ان احدى صديقاتها القريات حملت في  
نفس الوقت وكان لها ام شديدة العطف والمحبة احاطت بها برعايتها  
اتناء حملها . الا ان صديقتها كانت تسبقها بعدة شهر مما دفعها الي  
الخوف من انتام فترة الحمل وحدها . لكن الجميع دعشوا ان رأوا  
فترة حمل الصديقة تمت شهرا زيادة عن المدة المقدرة . وفي نهاية الامر  
ولدت الصديقتان في نفس اليوم .

وقررت الصديقتان ان تحملا بالولد الثقيل في نفس اليوم وابتدأت  
السيدة سيث حملها الجديد بغير قلق . الا ان صديقتها اضطرت خلال  
شهرها الثالث الي مغادرة المدينة ، ويوم علمت السيدة سيث بذلك  
اجهضت . ولم تحبل بعد ذلك بأي ولد آخر لان ذكرى انها كانت  
شديدة الوطء على نفسها .

ولا تقل علاقة المرأة مع والد الطفل في الاهمية عن علاقتها مع امها .  
والمرأة التي يفت حدا من النضج والاستقلال قد تريد طفلا ينسها  
لفظ . وانذا كان والد الطفل يشاركها في حياتها فانها ترفض ان يكون  
له اي حق في نسلها وتحاول ان تتسكل مع صغيرها وحدة منلقة على  
نفسها . على ان المرأة في اكثر الحالات تحتاج الي مساعدة الرجل لتقبل  
مسؤولياتها الجديدة . وكلما كانت خجولة اذابت لديها هذه الحاجة .  
والمرأة التي تكن حيا لزوجها تكتسب غالبا عواملتها مع عواطفه  
وتقبل الحمل والأمومة بسهولة اذا كان فخورا بذلك ، وتقبلهما باستياء  
اذا احس بالازعاج . وتنسى المرأة احياء الطفل لتوثيق الصلة مع

رجلها فيتعلق بملها الى الطفل بجراح او قسبل معططاتها .

وإذا كانت تحس اتجاه زوجها بالخصام فيمكنها التمسك بالطفل  
تسكاً شديداً يدفعها الى الكثار من الالب فيه او انها ، على العكس ،  
تنظر الى الطفل نظرة حقد كما تنظر الى امه البيغض .

على ان الحمل مأساة تصطرح ضمن ذات المرأة ، فتحس به في  
نفس الوقت كإفناء وكإقتطاع . والجين هو جزء من جسمها وفي الوقت  
نفسه طفلي يسترها وكل منها يستك للآخر . انه كائن جديد  
يستعد لرؤية الحياة ويرر وجود له ، وهذه تحس بالمرءة والفخر  
الا انها تشعر بنفسها المعربة في ايدي قوى مظلمة .

تصبح مباحج الحمل والأوضاع عند بعض النساء من القوة بحيث  
يردن تكررهما دائما . هؤلاء النساء اللواتي يعتبرن «منجيات» أكثر  
منهن امهات ، يحثن بنهم عن امكانية التنازل عن حريتهن في صالح  
جسمن . الا يبدو لهن وجودهن مبررا بحدوث الانجاب السليبي  
لجسمن . هكذا تصبح المرأة غريبة في تيار الحياة متدمجة بالكل  
كحلقة في سلسلة تعاقب الاجيال الاستيعابية ، كتلة من اللحم موجودة  
من اجل كتلة لاحقة بفضل كتلة سابقة . ان المرأة الحامل تكف عن  
كونها متاعا خاصا لشخص آخر وتكف ايضا عن كونها شخصا تعلقه  
حريته لتصبح هذا الواقع المتبس : الحياة . ولكنها متوهمة اذ تحس  
بنفسها ، كوجود بالذات وكتيبة كاملة .

الها لا تصنع الطفل بل يصنع ضمنها . ولحمها لا يحدث الا اللحم  
فقط . وهي عاجزة عن تكوين وجود عليه ان يكون نفسه . ان الخلق

المبحث عن الحرية يضع الشيء كقيمة ووضفي عليه طابع الضرورة .  
قد يكون للمرأة أسباب في ان تريد طفلا الا انها لا تستطيع ان تعطي  
لهذا «الأخر» الذي سيوجد لهذا أسباب وجودها الخاصة .

فالمرأة تحدث الطفل في عمومية جسده لا في فردية وجوده . وكل  
طفل هو آلة يصنع من نفسه انسانا . ولا يمكنه ان يعطى ذاته كشعور  
وحرية لذا لم يولد . ان الحقيقة العليا لهذا الوجود الذي يتكون في  
احداثها تستعص عليها .

كل امرأة تظن ان ولدها سيكون طفلا ولكنها تخشى في نفس  
الوقت ان تلد طفلا ناقصا . وبحسب الاحوال تنتصر اما الفكرة الاولى  
او الفكرة الثانية الا ان المرأة تتقلب غالبا بين الفكرتين .

كما انها تتأثر ايضا بزدوجة اخرى : فهي تؤكد الحياة ضد الزمن  
والموت إذ ترى نفسها محسولة بدوام النوع وتكون لذلك مرشحة  
للخلود ، يدانها تحس في جسدها حقيقة كلمة هيجل : «ولادة الاطفال  
موت الأباء» . ان مجاوزة الذات هذه ، هي ايضا بالنسبة الى المرأة  
لتحخيص مسبق لموتها . وتعتبر المرأة عن هذه الحقيقة بما تشعره من  
خوف حينما تصور الولادة ، لانها تخشى ان تفلد حياتها اتمامها .

ان موقف المرأة يتبدل خلال مراحل تطور الجنين . ويجب ان  
تلفت النظر اولا الى ان الولد لا يكون حاضرا في بداية سياق التطور ،  
وليس له بعد سوى وجود تصوري . تستطيع الام ان تعلم بهذا  
المرء الصغير الذي سيولد بعد بضعة اشهر وان تشغل نفسها في اعداد  
السرير والملابس ، ولا تحس احساما ملموسا الا بالاضطرابات العضوية

التي تجري ضمنها . ويدعى بعض كلمة الحياة والخشب اذماء نيبيا :  
ان المرأة تعرف من كيفية المذمة التي تحس بها ان الرجل جعل منها اما .  
هذه اسطورة ينبغي طرحها ، لان المرأة لا يسكنها ان تعرف هذا الحادث  
معرفة حدسية جائزة . بل تستقره اعتبارا من علامات الكيدة : اذ  
تقطع منها العادة الشهوية وتحس بالثقل والالام في ثديها وتفسر  
بالدوار وبالرغبة في التقيؤ . واحيانا تقن فقط انها مريضة فينبهها  
الطبيب . حينئذ تصبح فرسة لنوع الذي يفرض عليها قوانينه  
المجهولة . ويرجع تقيؤها جزئيا الى التغير في افراز المصارات . واذ  
كانت هذه الارتكاسات ، غير المعروفة عند الحيوانات الثديية ، تأخذ  
قسما من الاهمية فذلك لدواع نفسية . انها تظهر الطابع العام الذي  
يكتسبه الصراع بين النوع والفرء عند انشئ الانسان . وحتى اذا كانت  
المرأة ترغب في الولد رغبة عيقة فان جسها يتور حينما ينبغي له  
ان ينجب .

ويؤكد (ستيكل) ان تقيؤ المرأة الحامل في حالات القلق  
العصية ، يمر دائما عن نوع من الرفض للطفل . واذ كانت المرأة  
تستقبله بخصام . لاسباب لا تقر بها غالبا . فان الاضطرابات المعنوية  
تأخذ في الازدياد .

ويمكن ان تظهر في بعض الحالات الفكرة القائلة بالانجاب عن  
طريق الفم والتي يمكن ملاحظتها عند الاطفال . وتشبه بعض النساء  
الحمل بمرض في الجهاز الهضمي . تروي «هد» دولتن قصة مريضة  
كانت تمنحس تقيؤها بقلق تترى فيما اذا كان هناك اجزاء من الجنين ،  
على انها كانت تعلم فيما تقول ، ان هذه الفكرة التابتة سخيفة . ويعبر



النعم وانجاس الشهوة عن نفس التردد بين الرغبة في المحافظة على الجنين والرغبة في تحطيمه ... تعرفت الى امرأة شابة كانت تشكو من قيودات قديمة وقبض شديد ، قالت لي هي نفسها ذات يوم انه يخيل اليها ، انها تحاول في نفس الوقت طرح الجنين والمحافظة عليه .

ان الامساك والاسهال يبران دائما عن نفس الخليط من الرغبة والقلق ، ويكون نتيجة ذلك اعيانا الاجهاس . وتكاد تكون الاجهاسات المعوية كلها ناشئة عن سبب نفسي . وما يزيد في الزعاج المرأة انها تمزج اليه اعية زائلة وتزداد في الاصغاء الي نفسها . وخاصة وهم النساء الجبالى المشهور فانه فكرة ثابتة ذات اصل طفولي . وهن يشتهن الاطعمة بصورة خاصة نتيجة لفكرة الغضب المذائي القديمة . وهناك على كل حال ترسيخ للوهم من قبل العقائد فتترب المرأة ان يحل بها وترفض بل وتخرجه . لقد قصوا على حكاية المرأة التي احست بشهوة جنوية الى السباغ فخرجت الى السوق لتشتريه وكانت تلتق على الارض بشدة وبصير فارغ وهي تنظر اليه حين طبخه . كانت تعبر عن شعور القلق بوحدها ولما كانت تعرف انها لم تكن تستطيع التحويل الا على نفسها فانها كانت تعمل على اكفاء رغباتها بسرعة كبيرة .

وسنت الدوقة (دارباتيس) وسلا مسليا حالة وهم اوجيت الى المرأة ، من الناس المحيطين بها :

وان الاعتناء الشديد يزيد الزعاج ومرضى القلب والم الاصاب وشتى انواع الالم الذي يصاحب دائما حالات الحمل الاولى . وقد غيرت ذلك .. كانت امني هي التي ابتدأت ذات يوم وانا اتناول العشاء خديعا ...

قالت لي بنتي :

— آه يا الهي ، لم أفكر في ان أسألك عن وحيك .

فأجبتها بقولي :

— لا أشعر به ايها .

قالت لي :

— لا تشعرين بالوحم ، لا تشعرين بالوحم ، ان ذلك لم يحدث  
قط ! انت مخطئة . لا شك في انك لم تتبهي اليه . سأحدثك مع حباتك  
في هذا الموضوع .

هكذا تناورت الامتان فيما بينهما . وصرت اسبح (جوتو)  
يسألني كسل صباح : (اي شيء تشتهين يا لور) . واضافت شقيقة  
زوجي العائدة من فرنسا الي قائلة الاسئلة ما شاهدته من اشخاص  
مشوهين نتيجة لعدم تلبية الوحم .

وفي النهاية حل بي الخوف فأخذت ابحت في رأسي عن الاشياء  
التي تعجيبني اكثر من غيرها فلم اجد شيئا . اخيرا فكرت عرضا ان  
الاناس شيء طيب . وما ان اقتعت نفسي بانني انتهي الاناس حتى  
شعرت برغبة شديدة فيه وازدادت هذه الرغبة لما علمت انه ليس وقت  
الاناس . حينئذ فقط شعرت بهذا الالم الفطيع الذي يجعلك في حالة  
الموت او تلبية الرغبة .

ولما حصلت اخيرا على الاناس دفعت عن الصحن وانا أقول :

— لا اعرف ما حل بي ولكنني لا استطيع ان آكل الاناس .

ان النساء اللواتي يتلقين رعاية زائلة او يعتنين بانفسهن كثيرا تظهر  
طبعهن العوارض الرضية اكثر من غيرهن . اما النساء المترجلات  
واللواتي يتفردن الصنم لوظيفة التاسل فيجتزقن تجربة الحمل بسهولة .

وتتبدل العلاقة بين الام والجنين بامتداد الحمل . ويستقر الجنين  
استقرارا واسعا في جوفه امه وتتكيفه البنتان الواحدة مع الاخرى  
ويجري بينهما تبادل بيولوجي يسمح للمرأة باستعادة توازنها . ولا  
تعود تشعر بانها غريبة النوع بل هي التي تعطفك لمره احشائها .  
في الاشهر الاولى كانت لمرأة عادية وفيما بعد مستصبح لما يشكل واضح  
فيموض مجد الامومة عن صنعها . ونساء كثيرات يجدن حينئذ سلا  
عجيبا في صطنهن . ولا يعود احد يظن اليهن القيام بعمل او بذل  
مجهود ولا يعود من شأنهن الاهتمام ببقية الناس . ان احلام المستقبل  
التي كانت تداعب مخيلتهن صارت حقيقة واقعة .

ويرى المرأة نفسها ايضا قد صارت محط الاهتمام . كانت كزوجة  
تتألم من تبعيتها للرجل ، اما الآن فلم تعد متاعا جنسيا او خادمة بل انها  
تجسيد للنوع ووجد بالحياة والطفول . اما الانشغاض المحيطون بها  
فيحترمونها وحتى ان نزواتها بالذات تصبح مقدسة .

ان ذلك يشجعها ، كما رأينا ، على اختلاق الرغبات وتصوير الوهم .  
تقول (هدم دونش) ذات الحمل يتبع المرأة ان تظهر بعض الامثال بظهور  
العقلانية ولولاه لبدت سخرية» .

وهناك نساء اخريات يتفطن مع اعينتهن الجديدة وتبين اساطير  
الرجال : فيقابلن صفاء الفكر بليل الحياة الضصيب ، والشعور الواضح

بالغاز الباطن ، والعزبة الغصية بتقل البطن . ان المرأة المرشحة للامومة تحس بنفسها كنبوع ، كجذر . وانما نفت قنومها نوم العروسي حيث تحس العوازم . ومنهن ايضا من يشين الفسهن ويسحرن بالحياة التي تنمو ضمنهن .

وعلى العكس من ذلك ، تألم النساء القوالي يعتبرن الفسهن متاعا جنسيا ويحببن الفسهن في جمال جسمن من رؤية الفسهن ذميات مشوهات عاجزات عن استارة الشهوة . ولا يبدو الحمل بالنسبة اليهن كعيد والفاء بل كاتفاض الشخصن .

نرى في كتاب «حياتي» (لايزوندورا دالكبان) :

«كان الطفل يشعر بوجوده . وكان جسدي الجميل المرمرى يتحطم وتنشوء ، كنت احس احيانا وانا اسير على شاطئ البحر فيض من القوة والعزيمة والقول في نفسي : هذا المخلوق الصغير سيكون لي ، لي وحدي ، ولكن كان يخيل الي في ايام اخرى انني حيوان بالسي وقع في الفخ . وكنت افكر غالبا وانا القلب بين الياس والامل ، في تطواقي ايام صباي وفي ترهاتي الهائلة... كل ذلك كان نيتا قدنيا ضائعا في الضباب الذي يؤدي الي انتظار الطفل ، هذه النخبة الغنية الموجودة تحت متناول اية فلاحه . حينئذ بدأت تتأبني كل انواع الرعب . وعبنا كنت اطاول اتجاج نفسي بان لكل النساء اطفالا وان ذلك امر طبيعي ، ومع ذلك كنت احس بالخوف . الخوف من اي شيء ؟ طبعا لا من الموت ولا من الام . كان تنوء جسدي يزداد يوما بعد يوم امام عيني المشدختين . وغالبا ما كنت احس بنفس ، بالسة مقهورة ، بالرغم مني . الصراع مع الحياة ، مع هذه العلاقة ، لم يكن صراعا متكافئا ، الا انني كنت انقل بفكري

الى الطفل الذي سيولد فتبخر كل احزائي . يا لها من ساعات قاسية ،  
ساعات الانتظار في الليل اكم نطع غالبا نحصل على مجد الامومة .

وفي مرحلة الحمل الاخيرة يرسم الانفصال بين الام والطفل . وتشر  
النساء بصور مختلفة باول حركة من حركاته ، بضربة رجله على ابواب  
العالم ، على جوانب الجوف الذي يحبه في منزل عن الدنيا . وبعض  
النساء يتلقين بدعشة هذه الاشارة التي تعان من وجود حياة مستقلة ،  
وبعضهن يفكرن في التسهن بترف كونهن يتفهن شخصا غريبا . ومن  
جديد بتكسر الاتحاد بين الجنين وجسم الام ونحس المرأة بالضغط  
والتور وسموية النفس . هذه المرة ، لا يمتلكها النوع غير المميز بل  
يملكها هذا الطفل الذي سيولد . قيل لأن لم يكن سوى صورة وانزل  
اما اليوم فهو حاضر حضورا قليلا . وان حقيقته تخلق مشاكل جديدة .

كل انتقال مقلق ، لذلك تبدو ولادة الطفل مخيفة جدا . وحينما  
تقترب المرأة من الاجل المحدد نمود كل مخاوف الطفولة الى النشاط .  
فاذا احست بنفسها ملغوة من قبل انها نتيجة للشعور بالاثم التفت  
لنفسها انها ستموت او ان طفلها سيحوت . وقد وصف تولستوي في  
قصته «الحرب والسلام» امرأة كانت ترى في الولادة حكما بالانهدام وقد  
ماتت بالفعل .

تكتسب الولادة طابعا مختلفا بحسب الاحوال . فلام تتمكن ان  
تعاظ في جوفها على كثر اللحم الذي هو قطعة ثمينة من ذاتها وتتنس  
في نفس الوقت الغلام من شيء مزعج ، تريد ان تسك اخيرا يحصلها  
بين يديها ولكنها تخاف من المسؤوليات الجديدة التي سيخلقها تحقيق

هذا العلم . قد تنتظر هذه الرغبة أو تلك ولكن المرأة تكون غالبا موزعة بين الرغبتين . وغالبا ما نزع ان تثبت نفسها وللحيطين بها انها تستطيع التغلب على التجربة بغير مساعدة ولكنها في الوقت نفسه لأخط على العالم والحياة وعلى اقربا هذه الآلام التي تحمل بها وتنبئ عن احتياج مسكنا سليما . والنساء المستقلات يحاولن جهدهن ان يملين دورا ايجابيا في التحققات التي تسبق الولادة واتناء الولادة بالذات ، ولذا كن من النوع الطويلي غالبا ينزكن امرهن بكل سلبية للقايلة ولامهاتهن . وبعضهن يتعلمن كبريآهن الى عدم الصراخ كما يرفض بعضهن تلقي التوجيهات .

وبصورة عامة ، يمكن القول ان النساء يعبرن في هذه الازمة عن موقفين العميق لعناء العالم بشكل عام ولعناء الامومة بشكل خاص :

فهن صارت او مستسلمات او ملحقات او لاأثرات ...

هذه الاستعدادات النفسية تؤثر تأثيرا بالغيا في مدة وسهولة الحمل الذي يتعلق طبعيا بعوامل عضوية سرفة ايضا . وانه الامر ذو دلالة ان المرأة تحتاج بصورة طبيعية الى المساعدة فتتفرض بالوظيفة التي اوكلتها اليها الطبيعة . وهناك فلاحات معتادات على الشدة يلدن بالصعوبة الا ان وحدتهن تؤدي غالبا الى موت الطفل او اصابة الام بامراض غير قابلة الشفاء . ومن الطبيعي ان يكون الصراع بين مصلحة الفرد المؤقت ومصلحة النوع ، من الشدة بحيث يؤدي غالبا الى موت الام او الطفل وان توسط البشر عن طريق الطب والجراحة هو الذي اخلص انقاصا كبيرا ، بل ازاح تقريبا ، الطويلي . التي كانت كثيرة الوقوع سابقا . وان

طرق التطهير المنتشرة في أميركا تأتي قول التوراة : «استلذين في الألم» .

تبدو الولادة بالنسبة الى بعض النساء كاستشهاد ، وبالنسبة الى  
بعضهن تبدو كتحية سهلة التحمل . وقليلات هن اللواتي يشعرن بقلّة  
جنسية بسبب الولادة .

كتب احداهن قول :

«التي مخلوقة شهوانية لدرجة ان الولادة نفسها هي ، بالنسبة الي ،  
عملية جنسية كانت عندي سيئة جيئة جدا نفسي ولحقتني ، وكان  
ذلك كليا ليضعني في حالة من التهيج الكبير المصحوب بالرعشات  
العصبيّة»

وبعضهن يدعين انهن شعرن خلال ولادتهن بالقدرة المبدعة . فقد  
قمن حقا بعمل ارادي والتأجي . وعلى العكس من ذلك تشعر الكثيرات  
انهن سليات وانوات يحل بها الألم والتطبيب .

\*\*\*

والعلاقات الاولى بين الام ووليدتها هي ايضا مختلفة . فبعض النساء  
يتألمن من الفراغ الذي يشعرن به في جسهن ويخيل اليهن ان كثرهن  
قد سبق منهن ولكن كل ام شابة تحس في نفس الوقت بفضول متعجب .  
انها لا عجيبة قريبة ان يرى المرء وان . ان يديه كأنها حيا تتكون  
فمن ذاته وخرج من ذاته . لكن ماذا كان بالضبط دور الام في هذه  
العائلة العظيمة التي قذفت الى الارض بوجود جديد ؟ انها تجهل ذلك .  
لولاها لما كان الطفل موجودا ولكنه مع ذلك بلغت منها . انها تتحس

بالعزق المتعمد وهي تراء في الطارج متقطعا عن ذاتها او غالبا ما تنص  
بغية الأمل ، وهي تريد ان تنص به تأبعا لها بصورة اكيدة مثل بقعا  
الغامة .

لها لا تملك اي ماض مشترك مع هذا الطوق الصغير الاجنبي  
وكانت تنتظر ان يكون مالوفا لديها مباشرة . الا انه قادم جديد وهي  
متفحشة من الامبالاة التي تقابلها بها . لقد كان صورة وثيقا لا متاعيا  
ثناء الحمل . وكانت الام تلعب في مخيلتها دور امومتها المثالية . وانه  
الآن شخص صغير محدود موجود وجودا واقعا وانه ضعيف وملج .  
ويتنازع الفرح بوجوده الفعلي مع الاسف من انه ليس سوى هذا .  
ولكن عن طريق الارضاع نجد ثابته كثير من الامهات الثابتات علاقة  
حيوانية البنية مع طفلهن . والارضاع اكثر ارحاما من الحمل ولكنه يتيح  
للرضع ان تبتد حالة الفرحة والامن التي كانت تسمح بها وهي حامل .  
الا ان هناك نساء لا يستطعن تغذية طفلهن ولوم لديهن الامبالاة  
الشديدة الغامة بالساعات الاولى الى ان يجدن مع الطفل علاقات  
مطوية .

وهناك ايضا امهات كثيرات يحل بين الخوف من مسؤولياتهن  
الجديدة . فخلال الحمل ، لم يكن عليهن الا ان يتوكلن على جسدهن  
والم يكن يتطلب منهن اية مبادرة . اما الآن فامامهن شخص له طبيع  
طوق . وان بعضهن يفتقدن طفلهن ما تمن في المستشفى فرحات ولا  
مبايات الا انهن يبدآن بالنظر اليه كعبه حاملا بعدن الى بيوتهن . وحتى  
الارضاع لا يسبب لهن اي فرح ، بل على العكس ، فمن يغلبن على



صنوبرهن • ان قم الطفل يجرهن ويبدو لهن انه يتص منهن القوة والحياة والسعادة • وبخض طين عبودية سبعة مع انه لم يعد جزءا منهن • انه يبدو لهن كطانية فينظرن نظرة الخصاص الى هذا الشخص الاجنبي الصغير الذي يهدد جسمهن وحرمتن وكل ذلتهن •

\*\*\*

وتتدخل عوامل اخرى كثيرة • فعلاقات المرأة بانها تحافظ على كل اعبيتها • تروي (هذه دولتن) حالة مريض شابة كان عليها غضب كلما زارتها امها لتراعا • وهي تطب المساعدة غالباً ولكنها تغار من العناية التي تقدمها امراة اخرى للطفل •

كما ان لعلاقات الاب مع الطفل وما يحس به من عواطف تأثيرا كبيرا ايضا • وان مجموعة من الاسباب الاقتصادية والعاطفية تبين وضع الطفل كعبه وفيد او كتحرير ولهن •

وهناك حالات يتحول فيها الغصام الى حقد ظاهر يتجلى في الازهال البالغ او العاطفة السيئة •

ويعتبر الخبراء في التحليل النفسي ان الامهات اللواتي عندن فكرة ثابتة بظلمن شرا باطفالهن واللواتي يتخيلن حوادث لطيفة ، يشعرن كلهن تجاه امثالهن ببدء يعاولن كتبه •

ان ما يبرز هذه العلاقة عن سائر العلاقات البشرية ان الطفل نفسه لا يتدخل في الايام الاولى • وليس لانتساماته ونفسياته مدلول الا ما تفرضه الام • وكما يبدو الطفل ساحرا او مزججا يتعلق الامر كله بالام

لا بالطفل . لذلك تحسن النساء البارونات السوداويات اللواتي كسبن  
يتوخين فيه الصحة والدفء بخيبة الأمل .

ان حادثة الانتقال الى الامومة كغيره من حوادث الانتقال يسبب  
خيبة امل مكثرة عند الاضطاس الذين يأملون ان يتكون بوسع حادثة  
خارجي ان يجلد حياتهم ويررها .

هذا هو الشعور الذي تجده عند صوفي تولستوي . فقد كتبت :  
« كانت هذه الاشهر التسعة الطع ما رأيت في حياتي . اما الشهر العاشر  
فالأجدر ان لا نتحدث عنه » .

وهناك امثلة اخرى تثبت عدم وجود «فرقة» الامومة . هذه الكلمة  
لا تطبق ابدا على النوع البشري . ان موقفه الام يتحدد بمجموع  
وضعها وطريقة اخذ هذا الوضع على عاتقها .

ولذا كانت بعض النساء اللواتي يكن «منجبات» اكثر منهن امهات ،  
يتوقفن عن الاهتمام بالطفل حالما يبلغ الطعام او حالما يولد ، ويتسبن ان  
يحلمن من جديد ، فان كثرات من النساء يشعرون ، على العكس ، بان  
الانفصال نفسه هو الذي يعطين الطفل ، فهو لم يعد قطعة غير متميزة  
من ذاته بل هو قطعة من العالم يمكن رؤيته ولمسه .

تعبر (سبيل سوافاج) عن بهجة الامومة المطلقة المستوحدة بقولها:

عائفا حبيبي الصغير  
على سرير امك الكبير  
بيكثني شك في حيور  
ووزن شأن عندك الضمير

يا مرحبا نسالي الصغير  
من السما واللحم والسرور  
يا صوري وثورة الشعور

وتأخذ الامومة شكلا آخر حينما يكبر الطفل ، ففي الايام الاولى لا يكون سوى طفل مثل غيره من الاحفال وليس له الا وجود عام ، ثم تأخذ فرديته بالظهور شيئا فشيئا . والنساء للتحكمات يشعرن حينئذ بجاعه بالبرود ، وعلى العكس من ذلك ، يبدأ بعضهن الآخر بالاهتمام به . وتصبح علاقة الام بالطفل متزايدة التعقيد . فهو صورتها ولكنه في نفس الوقت شخص مستقل قد يمضاها . انه موجود وجودا حقيقيا ولكنه موجود في اعماق المستقبل وجودا خياليا تصوريا كياضع وبالغ . هو ثروة وكثر من جهة ، وعيب وطالبية من جهة اخرى .

ان الام كالعاشقة تشعر بالخيلاء اذ ترى نفسها ضرورية ، فهي ترى تبريرا لذاتها في استجابتها لما يطلب منها . على ان سموية حب الام وعظمتها لا يستند الى المبادلة . فالمرأة لا ترى امامها رجلا او بطلا بل كائنا صغيرا يشبع بالشعور في جسم ضعيف . وليقن امامه وحيدة ولا تنظر منه اي ثواب مقابل عطاياها التي لا تجد تبريرا لها الا في حرية المرأة ذاتها . هذا الكرم يستحق المدبح الذي لا يتكف الرجال عن افدائه على المرأة . ولكن التسمية تبدأ حينما يعلن «دين الامومة» ان كل ام نموذجية . يمكن التضحية الام ان تكون نموذجا كامل الامالة ، ولكن الامومة هي عادة توفيق عجيب بين الانانية والغيرة والعلم والصدق وسوء النية والتضحية والقسوة .

ان الخطر الاكبر ، التي تعرض عاداتنا الطفل اليه ، هو ان الام التي

يسلم إليها الطفل تسليما تاما هي تقريرا امرأة غير مكتفية ، فهي باردة او عطشى من الناحية الجنسية ، وتتمتع انها اقل من الرجل من الناحية الاجتماعية وهي غير متمكنة من العالم والمستقبل ، لذلك تحاول التعويض عن هذا الكبت من خلال الطفل . فاذا ادركنا الى اي حد يجعل وضع المرأة صعبا عليها ان تحقق ازدهارها التام ، وما يمكن في اسواق تصفا من رقيات وثورات ومطالب فانا نخرج لان امر الطفل الاعزل يترك اليها وكنا كانت تهدد وتغضب وتغيبها بصورة دورية لما كانت طفلة ، فان مسلكها الحالي مسلك رمزي ، الا ان هذه الرموز حقيقة واقعة شديدة بالنسبة الى الطفل . فالام التي تضرب الطفل لا تضربه وحده فقط ، او انها لا تضربه مطلقا اذا جاز القول ، بل تنقسم من الرجل ومن العالم ومن ذاتها ... ولكن الطفل هو الذي يتلقى الضربات .

والى جانب هؤلاء الامهات الساديات ، يوجد كثيرات من ذوات التزوات وان ما يسهرن هو التحكم . فالطفل ذمية اذا كان صغيرا جدا ، وفيما بعد يردد ان يكون عبدا يطيعهن اطاعة عبياء . والنساء لا يرهبن غالبا في الحصول على مكافأة من العناية التي يوفرها للطفل ، انهن يصفن من خلاله كائناتا خياليا يرى ان له تستحق الاعجاب ويفرضن عليه ان يشبه زوجهن او ، بالعكس ، ان لا يشبه ، او ان يجسد ابا او اما او جدا مجالا .

ان هذا العناد في التربية وهذه السادية الخاضعة للنزوة يتمازجان غالبا ، وتحثج الام عن غضبها بانها تريد اعداد طفلها . وان بعض النساء كما يوضحن عن فراغ قلبهن ويجازين خصومه

لا يردن الإقرار بها ، لا يحتمل إتيان الطفل عنون ويتخلن عن كل لغة  
وعن كل حياة شخصية ، مما يسبح لهن بالظهور في مظهر الضحية ، ثم  
يستخلصن من هذه التضحيات حق ابتكار كل استقلال للطفل . إن  
مشاهد الخضوع هذه تسبب لدى الطفل شعورا بالانتم يؤثر في كل  
حياته . وإن العذر الكبير للام أن الطفل بعيد جدا عن أن يجلب لها  
استكمال الذات ويعدت به منذ طفولتها ، فتنقص منه عن التعمية التي  
كانت الام ضحية لها . كانت تستطيع التصرف بدمياتها دون أن تكون  
خاضعة للمسؤولية ، أما الآن فالمجتمع وزوجها وأنها وكبرياؤها الخاصة  
يسألونها الحساب عن هذه الحياة الصغيرة الأجنبية كما لو كانت من  
صنعها .

\*\*\*

إن مصالح الأبرين ومصالح الطفل لا تلتقي دائما ، وعن ذلك تنجم  
المأساة . فهو لا يفهم التفسيرات التي تحاول أمه أن تيديها ، وهي لا  
تستطيع النفوذ إلى داخل شعوره ، وإن أحلامه ورغباته تشكل عالما  
مغلقا غير شفاف . والام لا تستطيع أن تنظم إلا من الخارج وبصورة  
متخيلة هذا الكائن الذي يشعر بهذه القوانين التجريدية كعنف سخي  
لا معنى له .

وحيثما يكبر الطفل يبقى عدم التفاهم هذا . فالطفل يدخل عالما من  
المصالح والقيم تجهله الام . وإن هذه قد يبلغ نيتها حد ذرف الدموع  
لأنها تحاول قيادة كائن لا يسكن التجاوب معه .

إن الوضع يختلف بحسب كون الطفل صيبا أو بنتا . ورغم أن

الصبي اصعب قيادا من البنت فان النساء يفضلن الذكور لما لهم من قوة  
وامتيازات فعلية . فمن يقن : وانه لعظيم ان تجب الام ذكرا . قلنا  
انهم يحلمن بانجاب «بطل» والبطل يكون عادة من الجنس للذكر .  
فالابن سيكون قائد رجال ومبدع اعمال ، وسيفرض ارادته فوق سطح  
الارض وستساهم امه في طوره وسيعطيا هو ما لم تستطع هي عمله .  
ومن خلاله ستستحوذ على العالم .

ان للمرأة مورقا ملتصبا ازاء سبو الذكر . واذا كانت حياتها الزوجية  
او الفرادية قد جعلتها معادية للرجال فانها تحس بالاكتماء حينما تتحكم  
بالمخلوق الذكر في شكله الطفولي . وان احلامها اكثر تناقضا فهي  
تريدها لا متناهية وواقعة في قبضة يدها في نفس الوقت . ومن حسن  
حظ العالم انه يستطيع بسهولة التحرر من هذا التسلط لان العادات  
والمجتمعات تشجعه على ذلك . والام نفسها ترشح للامر لانها تعرف ان  
الصراع مع الرجل صراع غير متكافئ . وتعزى نفسها بان تصيح الام  
الحزينة او ان تغذي الكبرياء بانها انجبت قاهرها .

الا ان الام لا ترى في بنتها فردا من الفئة المختارة الميزة بل تبحث  
من خلالها عن صورتها لذلك يأخذ الصراع بين الام وابنتها شكلا حادا .

هناك نساء راضيات عن حياتهن رضاء يدفعهن الى اعطاء بناتهن  
نفس ما كان لهن من حظ . وبعضهن يدفعهن الاستمزاز من جنسهن الى  
اعطاء بناتهن تربية الذكور . وقد ينظرن الى الفتاة التي هي صورة  
متنهن ، على انها مظلومة من النوع السامي ليعوضن عن نقصهن ، او  
انهم يحاولون ان يفرضن على ابنتهن نفس مصيرهن . فتقول الواحدة

منهن لا بنتها ؛ وما كان حسنا بالنسبة الي فهو حسن بالنسبة اليك .  
ولا تنشأ النزاعات الحقيقية الا حينما تكبر الفتاة . كانت هذه ترضى  
وهي صغيرة ان تؤكد استقلالها وكان ذلك يدعو الي عين الام انكارا  
بخيفا لا ياقبها وفضلا . فهي لا ترضى ان تصيح بصوتها شخصا آخر .  
عكفا يهدم استقلال البيت آماليا . فتشعر بغيرة مزدوجة ؛ فهي تغار من  
الناس الذين يأخذون ابنتها منها كما تغار عن ابنتها التي تغزو وتسرق  
منها جزءا من العالم . وتسلف هذه الغيرة اولا على علاقات البيت  
بايها . لان الام تحب ان تسود سيادة تامة على عالمها النسوي وتريد  
ان تكون الوحيدة التي لا يسكن الاستعاضة عنها ؛ وها هي ذي ابنتها  
الشابة تبديها الي وتبينها العامة الصرفة .

فإذا غابت يومين مثلا عن البيت فانها توبخ ابنتها اذا وجدت البيت  
في حالة فوضى ولكنها تبلغ ثورة الغضب اذا تبين لها ان الحياة العائلية  
سارت سيرا تاما بدونها . انها لا ترضى ان تصيح ابنتها حقا وفعلا  
لسطة تالية عنها تحل محلها . ولما كانت هي حبيبة الحياة الجديدة فانها  
تعهد ابنتها على كل الشافل والتسليات التي تتشغلها من مقل الحياة  
المرلية .

وتنتهي الام بقبول انكسارها طوعا او كرها وتسود بينها وبين ابنتها  
الشابة صداقة معذبة . الا ان الام تبقى الي الابد غالبة الطن شاعرة  
بالحرمان في حين تعتقد البيت غالبا ان العمة تلاطفها .

ان الوصف السابق يظهر لنا خطأ اعتقادين شائعين :

الاول ان الامومة تكفي لارضاء المرأة .





## الفصل الثالث

# الحياة الاجتماعية



ليست الأسرة مجسومة منغلقة على نفسها ، بل هي على اتصال مع  
خارجها اجتماعية اخرى . وليس المنزل (حياة داخلية) يقع الزوجان ضمن  
حدودها فحسب بل هو ايضا تعبير عن مستوى معيشة وثروة وذوق  
يشقي ان يعرض امام عيون الآخرين . وعلى عاتق المرأة خاصة يقع عبء  
تنظيم الحياة الخارجية . فالزوج مرتبط بالجماعة كمتسج وكموطن  
بورشائع التضامن المعسوي القائم على تقسيم العمل ، اما العائلية فهي  
شخص اجتماعي يتحدد بالاسرة والطبقة والوسط والعرق . والمرأة هي  
الاقدر على تجسيدها لان علاقات الزوج المهنية لا تتلق غالبا مع قيمته  
الاجتماعية بينما تستطيع المرأة المتحررة من رباط العمل ان تكرم  
نفسها على معايرة امثالها . وان واجهها الاجتماعي الخارجي في تشيل  
العائلة يختلط مع ما تشعربه من مسرة في اظهار نفسها .

انها تعني بملابسها وقت الخروج او الاستقبال . كما ان لزيارتها  
صفتين : تهدف الزينة اولا الى ابراز مقام المرأة الاجتماعي وتوجد ايضا  
الالمانية السوية . ان العناية بالجمال واللباس نوع من العمل بالنسبة الى  
المرأة التي يبدو لها انها تصظمي ذاتها وتخلقها خلقا جديدا . هكذا

تسطرها الاعرافه الى ان تطلع نفسها على صورتها • وان المجتمع نفسه يطلب من المرأة ان تجعل من نفسها متاعا جنسيا وان هدفه الازياء التي تخضع المرأة لها ليس ان يبرزها كغرد مستقل بل ليقدمها فريسة لرغبات الذكور •

ان مفلس الحرير الناعم يعوض عن قسوة العالم الجنسي • وانما كانت اكثرية المساحقات يرتدين اللابس على طريقة الذكور فليس ذلك من اقتداء بهم ومن تعدد للمجتمع فقط ، انهن غير محتاجات الى مديفنة المظل او السائل لانهن يتلقفن مزاياه السلبية على انجم النسوي • والمرأة توحد ذاتها مع غنى العالم وتغلوب في ثرواته • والتي لا تتحكم بحبها للاشياء الثمينة وما تحويه من رمز تنسى وجهها العانس وقد تعني بلباسها بصورة غريبة • فالفتاة الصغيرة مثلا تحبب نفسها جميلة اذا تحلت بالشرائط لانها توحد ذاتها مع زينتها المعجبة •• وقد نهضت احيانا لريشة بعض المجازر التي تلفت النظر الى تجاميدهن ولكنهن يكن قد زهدن في الاعجاب وسارت الرضة بالنسبة اليهن مجرد لعبة كما كانت ايام طفولتهن •

وعلى العكس من ذلك ، قد يتمكن للمرأة الايقنة ان تشد اللذائذ الحسية او الجمالية في زينتها ولكن يجب ان توفق بينها وبين السجم صورتها • انها لا تحب الاشياء التي تزنها بل تحب نفسها مزينة •

ليست الزينة تبرجا فقط بل هي ايضا تعبير عن وضع المرأة الاجتماعي • والموسى وعدها تظهر الناحية الاولى فحسب لان مهنتها ان تكون متاعا جنسيا • وكما كانت تعلن عن مهنتها سابقا بتغطية تبرجا

بالورود فانها تملن عنها اليوم بالاحذية العالية والساتان المتصنق بجسمها  
وتبرجها الفاضح وعطرها الثقيل . ويوجه اليوم عادة الى المرأة التي  
لبس مثل القومسات ، لان مزاج المرأة الجنسية تفسح بالعبادة الاجتماعية  
ولا يعني لها ان تبرز الامن خلالها .

وإذا كانت المرأة التي تستير بوضوح رغبة الرجل توحي بسوء  
النوع فان التي تفره ليست احسن منها ، إذ تبدو كأنها مساحقة لتفتدي  
بالرجال او مصروعة تحاول لفت النظر . والاعراف هي التي تتكفل  
بتعيين الحد الوسط بين الحشمة وعرض المقائين .

ان هذا المدلول الاجتماعي للزينة يسبح للمرأة بان تعبر عن موقفها  
نجاه المجتمع ، بطريقتها في اللبس . فإذا كانت مستتة للنظام القائم اسبغت  
على نفسها شخصية رصينة والا فانها تؤكد باسالتها الخاصة رفضها ما  
هو متعارف عليه . وما يلفت النظر ان المرأة «المتحررة» في كثير من  
الروايات ، تبرز نفسها بعراقتها في الزينة التي تظهر صلتها كبتاع جنسي،  
أي انها تبرز تبعيتها .

وحتى لو ليست كل واحدة بحسب وضعها فذلك نوع من التثليل .  
فعلما تبدو المرأة مترتبة متبرجة فانها تصبح مثل الفوحة او التمثال لو  
المستل على المسرح . ان هذا الخلط بينها وبين شيء خيالي وكامل مثل  
ابطال التمسح هو الذي يجعلها وهي تبذل جهودها كيما تذب في .  
وكما تبنت زينة جديدة حسبت نفسها شخصا جديدا . ويوما بعد يوم  
تتكرر هذه اللزينة : «كنت فاتنة في اللون الاسود...» في اللون الرمادي  
«كنت فاتنة ... كنت في اللون الابيض فاتنة» . فلذا كانت الزينة تكتسب

هذه الاحمية البالغة بالنسبة الي كثير من النساء فلاتها نفع بين ايديهن العالم وفاتهن بصورة وعية .

وبنا ان المرأة ستاح امسح من القهوم ان تعدل طريقة لباسها وتبرجها من فيتها النفسية . وتعتبر الالفة سلاها ومدعاة للاحترام ورسالة نومية .

ولكنها عبودية في الوقت نفسه ، لان القيم التي تنجم عن الالفة لا تأتي مجانا بل يجب دفع ثمنها غالبا لدرجة ان مفوضي الشرطة يتفاجئون احيانا في المخازن الكبرى اعدى نساء المتجسح او اعدى المجلات وهي تسرق عطورا او جوارب حريرية ... وبعض النساء يتعاطفن البقاء او يقبلن المعونة ، كيانا يلبس . والزينة هي التي تعين مقدار حاجتهن الي القعود .

على ان حسن اللباس يتطلب ايضا زمنا وعناية وبنجم عن مثل هذا العمل احيانا همة حقلية . وفي هذا الميدان ايضا مجال للاكتشاف كنوز خفية ، والمفاسلات والحيل والاستبساط ، وانما كانت المرأة ماهرة فقد تصبح مبدعة . وتبدو ايام المرض بالنسبة اليها كعطامرات جنونية ، والتوب الجديد هو وحده بمثابة عهد .

وتستطيع المرأة اليوم ان تعنى بجسها وتكفيه بالرعاية والاستحمام والتدليك والنظام الغذائي فتحكم بوزنها ولون بشرتها ، كما تسمح لها اسول التسجيل الحديثة ان تضيف الي جمالها مزايا ايجابية . ولكن عليها ان تجابه الزمن لان الجسم يلى مع الوقت . وان ما تقول اليه كل سريرة حية من الحطاط سفيف يدفع بعض النساء الياردات او المعرومات الي الفرع من الحياة نفسها .

ويضعف هادمن السليبي حياتهن وحيات الآخرين : الضحك الزائد  
يجعد الوجه ، الشمس تصعد البشرة ، الامومة تجعل الوجه والجسم  
تسيبن ... الخ . الا ان كل هذا الاعتناء لا يمنع ظهور الشعر الأبيض .  
وهو يعرف منذ طفولتها ان لا تفر من هذا المسير .

لما مطالب الزوج فتتصف بالازدواج . فاذا كانت زوجته جذابة  
جدا الص بالغيرة ، يد ان كل زوج يود ان تكون زوجته اليقة . وقد  
رأينا ان القيم الجنسية والاجتماعية في الزواج لا تتسجم تماما . هذا  
التناقض ينعكس هنا ايضا . فالمرأة التي تبرز جاذبيتها الجنسية تبدو  
رديئة بالنسبة الى زوجها . واذا ليست ببساطة فانه يفرها على ذلك  
ولكن يبرود . انه لا ينظر اليها بعينه الغاضبين بل يتفحصها من خلال  
عيون الآخرين . واذا كان الرجل يحب امرأة في عرقها حيا ملتصقا فانه  
يحوها بنفس النظر عن يريها . وعلى العكس من ذلك ، اذا كف عن  
حبها فاجعل ثوب في العالم يصبح عديم الجدوى . ان الزينة تصلح ان  
تكون وسيلة للفرد ولا تصلح ان تكون سلاحا دفاعيا . ومرتها الخاصة  
انها تخلق السراب وتعرض للنظر شيئا خاليا . الا ان السراب يتهدد في  
العشرة اليومية والعواطف الزوجية مثل الحب الجنسي تجري في ميدان  
الواقع .

كثيرا ما يقال ان المرأة تليس كما تثير غيرة النساء الاخريات . هذه  
الغيرة هي اشارة واضحة الى النجاح ولكنها ليست هدفا . ان المرأة  
تبحث من خلال الآراء المعجبة عن تأكيد مطلق لجمالها وادائها وذوقها  
اي عن تأكيد بذاتها . انها تليس لتظهر نفسها ، وتظهر نفسها لتصبح ،  
شخصا كائنا . وبذلك تخضع نفسها لثبعية مزدوجة . ان شخصية ربة

البيت القاعة وإن لم يعترف بها ، أما جهد المثاقفة فيذهب هباء إن لم يطلع عليه احد . فالمرأة تضد نفسها نهائيا لهاها وهذا التطلع الى الطلق يجعل بحثها مرهقا ، إذ يكفي ان ينتقد شخص واحد فقط قبعتها حتى تكون هذه القبعة غير جميلة . والثناء يخذلها ولكن يكفي تكذيب واحد لتهديه . ولما كان الطلق لا يتجلى الا بسلسلة من القهور لا متناهية فلا يسكتها ان تريح نهائيا . لذلك تكون المثاقفة حساسة متأثرة ولذلك أيضا قد يمكن لبعض النساء الجيلالات ان يقتعن بحزن انهن غير جيلالات وغير انبقات وانهن يحتجن الى استحسان علوي يصدر عن حكم مجهول الهوية . انهن يشتمن جوهرها ذاتيا يستحيل تحقيقه . والادوات من المثاقفات اللواتي يجسدن بذاتهن قوانين الاناقة ولا يسكن لاحد ان يبيب هوية لانهن هن اللواتي يبنين قواعد النجاح والفشل . فاولئك هن القادرات على اعتبار القسمن ناجحات لاجلها نموذجيا ، ولكن هذا النجاح مع الاسف لا يجدي شيئا ولا ينفع احدا .

واقترض الزينة الخروج والاستقبال بل ان ذلك هو الهدف الاسلي منها . وفي اغلب الاحيان ، ينصرف الزوج الى اعماله اليومية تقوم المرأة بواجباتها الاجتماعية . وقد وصف السام الذي يخيم على هذه الاجتماعات النسائية كثيرا : ينجم ذلك عن ان النساء المجتمعات للقيام بالترامهن الاجتماعية ليس لهن ما يتناقلنه . فلا يوجد هناك مثلا اية مصلحة مشتركة تربط بين زوجة المحامي وزوجة الطبيب . اما الحديث عن الاطفال والشباب المنزلية فواقعه غير حسن في محادثة عامة . فلا يقنى امامهن الا الكلام عن القلق وعن آخر قصة تثير الاهتمام ويعبر بالابتكار العامة المستمدة من لزوجهن .

ولا يعني الاستقبال ، بالنسبة الى ربة البيت ، تلقي الآخرين في بيتها الخاص فحسب بل انها تعرض ما لديها من اواني فضية وزجاجية وما شاكل ذلك .

ان الصداقات النسوية التي تعقدتها المرأة لعينة بالنسبة اليها وتختلف في طابعها عن العلاقات السائدة بين رجال . فهؤلاء يتناقلون فيما بينهم بصفتهم انحصاسا مشارعهم الشخصية من خلال الافكار . اما النساء فيتبادلن الاسرار والوصفات ، وتحدثن مع بعضهن بعضا ليشكلن عالمًا معاكسا لعالم الرجال ، وقارين بين تجاربهن . ويصبح الحمل والولادة والاطفال والشؤون المنزلية الاحداث الاساسية في التاريخ البشري .

ان قيمة هذه العلاقات تتجلى في صدقها وصحتها . فالمرأة امام الرجل مشكلة وهي تكذب اذ تعرض امامه شخصية خيالية من خلال زينتها وحركاتها ، اما مع النساء الاخرى فهي ليست في حالة حرب بل منهمة في تهيئة زينتها واعداد حيلها . والنساء يشعرن بتضامتهن شعورا غفيرا اكثر من الرجال . ولا يلتفتن نحو عالم النساء بل يلتفتن جميعا نحو عالم الذكور ، وكل واحدة منهن تتسنى ان تحتكر قيمة لشخصها ، على ان كل واحدة منهن ترى في الاخرى غريبة في ميدان التبرج والحب خاصة .

النساء هن لبعضهن بعضا وقيقات في الامر وانهن يتبادلن المعونة كما يتحملن سجنهن والتهمة هروبهن اذا اقتضت الضرورة ، ولكن للفتن لا يأتي الا من عالم الذكور . وبالنسبة الى الظبية النساء يفقد الزوج من تأثيره ، الا ان الرجل يبقى مع ذلك حفيظة العالم والسلطة العليا وباعت اللذة والطمانية .

## الفصل الرابع

# موسمات ومخيمات

تعد الدعارة من متمات الزواج الحتمية . وقد قال مورجان : «إن المعهر يتبع البشرية في موكب حضارتها كظل رهيب يخيم على العائلة» . وقال مانديل في كتاب له أحدث طبعة كبيرة : «من الواضح انه توجد ضرورة تدفع المجتمع الى التضحية بقسم من النساء في سبيل المحافظة على القسم الآخر» . اي ان وجود طائفة من «الفتيات التاهات» يسمح للمجتمع بمعاملة «المرأة الشريفة» بالاحترام والتقدير اللائقين بها . وتشكل الموسم بالنسبة للرجل مبررا لقباحاته ، فهو يحصلها فتابع تصرفاته الشنيعة ، ثم يتذبحها من المجتمع . وسواء كانت الموسم تنارس الدعارة في ظل نظام قانوني يضعها تحت مراقبة سلطات الامن ، او كانت تعمل في السرية والخفاء ، فانها تعامل من قبل الناس في كلا الحالتين كالمبتدعة .

غير ان حالة الموسم من وجهة النظر الاقتصادية تبائل حالة المرأة المتزوجة . وقد قال مارو : «ان الفرق بين النساء المواتي يعين الفسهن عن طريق الدعارة والبغاء ، وبين المواتي يعين الفسهن بواسطة الزواج ، ينحصر في ثمن ومدة عقد البيع» . ويكون العمل الجنسي بالنسبة



لطرفين عبارة عن خدمة للزوم بها الثانية (المتزوجة) مدى الحياة تجاه رجل واحد ، واما الاولى (الموسم) فتؤديها لعدد من الزملاء الذين يدفعون الثمن بصورة مجزأة . ومن وجهة نظر ثانية ، تتمتع المرأة المتزوجة بحماية رجل واحد ضد كل الرجال اما الاولى فانها محمية من قبل جميع الرجال ضد اعتكافها لحساب رجل واحد . لكن الاختلاف الرئيسي بين المرأة المتزوجة والموسم يكمن في ان المجتمع ينظمه المرأة الشرعية بصفتها امرأة متزوجة ، لكنها تلتقي احترامه بصفتها انسانا بشريا وقد بدأ هذا الاحترام يتغلب بشكل جدي على الاضطهاد الذي للمرأة المتزوجة ، اما الموسم فانها لا تتمتع بأي حق من حقوق الانسان البشري بل تلخص حياتها بنفس الوقت جميع اشكال العبودية الاثوية .

ما هي العوامل التي تدفع المرأة الى مزاوله الدعارة ؟ لم يعد هناك اي انسان يعتقد بصحة نظرية (الميروزو) التي تساوي بين الموسمات والمجرمين ، ومن المحتل ان نتائج الاحصاءات التي تؤكد بان المستوى الفكري للموسمات هو ادنى من الوسط ، هي نتائج صحيحة ، لان النساء اللواتي لا يتمتعن بعبارة فكرية كافية يفضلن اختيار مهنة لا تتطلب منهن اي جهد فكري او اي اختصاص في فرع من الفروع . لكن هناك عدد كبير من الموسمات يتمتعن بمستوى فكري عادي ، ومن بينهم عدد من فائزات الذكاء . ودلت الدراسات من جهة ثانية على ان جنوحهن الى البغاء لا يعود في اغلب الاحيان الى اسباب وراثية او عاهات جسدية . ولا شك في ان السبب الرئيسي في انتشار الدعارة يعود الى العاقبة والفساد والحرمان التي يعانيها قسم كبير من سكان البشرية وسوف نرى على الدوام منظر الموسمات ومن يتسكنن في الشوارع طالما بقيت

مؤسسات البغاء والشرطة موجودة في عالمنا المليء بالتناقضات . وإذا كان يوسع التومس ان تكسب عيشها بطريقة اخرى ، فان اختيارها لهذه المهنة لا يجب ان يدلنا للحكم عليها بوجود ميول فطرية داخل نفسها تدفعها الى امتنان البغاء ، والاخرى بنا ان توجه التوم الى هذا الملتصق الذي جعل من مهنة البغاء في نظر التومس اشد المهن سهولة واكثرها ربحا .

ان الناس يتساءلون : لماذا اختارت هذه المهنة ا والاخرى بهم ان يتساءلوا : لماذا كان الواجب ان لا يقع اختيارها عليها . وقد لوحظ ان عددا كبيرا من (الفتيات) يأتين من اوساط خادعات المنازل ، لان الخادمة تعرض خلال عملها في اغلب الاحيان الى مختلف انواع الاستعباد والعبودية ، ولا تعامل الا كأداة ، وقد تضطر في بعض الاحيان الى تحمل مضايقات وتحرشات رب البيت الجنسية ، ولذلك يجب ان لا نعجب اذا العفرت من العبودية الشريفة نحو عبودية اخرى ، لا تنظر اليها الفتاة على انها اشد اهانة لكرامتها بل قد تعظم بانها ستجلب لها السعادة والحرية اللطودتين .

وقد دلت التحقيقات العملية على ان اغلب محترفات الدعارة يتعبدون من اسل ريفي او من بعض الاوساط المالية . ولوحظ بصورة خاصة انه بقدر ما تحيط البورجوازية العمل الجنسي وبصورة خاصة البكارة العفوية بحالة من القدسية والتمنع والتحریم فان بعض الاوساط الريفية والمالية تعتبرها امورا عادية الاهمية . فهناك عدد كبير من فتيات هذه الاوساط يسمن بازالة بكارتهم من قبل اول رجل يتعرفن عليه ثم يجتذن من الطبيعي بعد ذلك ان يمنحن القسمن لكل غاير سبيل . وقد

دل تحقيق شمل (١٠٠) مومسة ان واحدة منهم رالت بكارتها وعمرها لم يكن قد تجاوز (١١) عاما و (٣) منهم حول الـ (١٢) سنة من العمر و (٣) حول الـ (١٣) و (٦) حول الـ (١٤) و (٧) حول الـ (١٨) و (٦) حول الـ (١٩) ، اما الاخرى فقد ازلت بكارتهن بعد سن الـ (٣١) . وقد صرح نصف هذه الفتيات بالهن منهن انفسهن عن حبها اما الاخرى فمن جهل تام بالموضوع .

وقد اشار (كومانغ) في احدى دراساته الى (٥٧) فتاة صغيرة تتراوح اعمارهن بين ١٢ - ١٧ عاما ، سجن بازالة بكارتهن من قبل الشخاص مجهولين ، لم يتسرنهن بعد ذلك رؤيتهن مرة ثانية ، وقد وافقن على العملية بدون اي اهتمام ودون الشعور بأية لذة جنسية .

واليكم بعض الحالات التي وردت في دراسة الدكتور (بيزار) :

— الالسة ج.٥٥٥ من بورديو : تخرجت من معهد التدبر وعمرها (١٨) سنة ، تركت احد سكان الغاية وهو مجهول الهوية ، يجرها بدافع الفضول وبدون اية نية سيئة من طرفها نحو هجرة مهاجرة ، حيث ازال بكارتها .

— ر.٥٥٥ ازلت بكارتها حوالي السابعة عشرة من عمرها ، من قبل شاب لم يقع نظرها عليه في السابق صادفته لدى احد الاطباء حيث عرض عليها توصيلها في سيارته الى بيتها ، لكنه تركها وحيدة في احد الشوارع المهجورة بعد ان نال وطرها منها .

— ب.٥٥٥ ازلت بكارتها حول الخامسة عشرة من عمرها ودون ان تفكر ماذا تعمل ، من قبل شاب لم تره من قبل في حياتها ، وقد انجبت

طفلا جيلا على امه ما يكون من الصحة بعد تسعة شهور .

— من ١٠٠٠ ازيلت بكارها في الرابعة عشرة من عمرها من قبل شاب اصطحبها الى منزله بحجة ترفها الى اخته . والواقع انه لم يكن للشباب اي اخت وانما كان مريضا بالزهري الذي نقلت عدواه الى الفتاة الصغيرة .

يفسر البعض هذه السهولة في الاستسلام لدى بعض الفتيات ، بوجود بعض التخليلات الوهمية حول مزاوله الدعارة التي تكلمنا عنها سابقا ، بسبب حقد عائلي او بسبب استمزاز الفتاة من العواطف والعقل الجنسي ، او بسبب رغبتها في لعب دور المرأة الكبيرة . وقد لوحظ ان بعض الفتيات يفلتن في سفرهن العائيات ، فيتزين ويتبرجن بشكل يلفت الانتظار . المهن يفتن ذلك بشكل صيالي في عمر لا يشعر فيه بآية عاطفة جنسية فيحسن انه يوسعون اللعب بالنار دون اي ... الى ان ياتي يوم فيصادفن رجلا يأخذ التشيل على انه حقيقة واقعة فيتحذرون من الاحلام الى الاعمال .

حين يفتح احد الابواب فانه من العسير بقاءه مطلقا هذا ما صرحت به موسى شابة تبلغ الرابعة عشرة من عمرها . ومع ذلك فمن الثابت ان تزول الفتاة الى الشارع لممارسة مهنة الدعارة ، اثر ازالة بكارها ، بل هي تمر بمراحل عديدة فتستقل من عشيق الى آخر ، الى ان يشجعها على مزاوله المهنة طمعا في الربح . ويحدث في بعض الاحيان ان تدفع الاسرة نفسها ، بناتها لممارسة البغاء ، كما تضطر بعض الفتيات اللواتي هجرهن اهلن الى التزول الى الشارع بعد ان يكون الجوع قد ادهن . ومن المعروف كذلك ان موجة الدعارة والبغاء نشبت خلال فترات الحرب

والازمات التي تعيقها .

تقص مؤلفة كتاب (حياة مومس) المشهور جزئيا في مجلة (الازمنة الحديثة) ، قصة خطواتها الاولى على النحو التالي (اشرت المؤلفة قصتها تحت اسم مستعار هو ماري تيريز) :

«تزوجت واليا لم تتجاوز السادسة عشرة من عمري ، من رجل يكبرني بثلاثة عشر عاما . ولقد تزوجت منه لئلا في التخلص من جو العائلة التي كنت اعيش فيه . ولم يكن زوجي يعلم سوى بالعجاب الاطفال ، كان يقول لي : «وهكذا فالك ستطيرين الى البقاء في البيت وان يسنى لك الخروج منه» . ولم يكن يوافق على استعمال مواد الترتبة او يصحبني الى السينما . وكان علي بالإضافة الى ذلك ان اتحمل حساباتي التي كانت تتردد على البيت كل يوم وتأخذ جانب ابنا اللعين في كل المناسبات . كان (جاك) اول سبي انجبه .. وبعد اربعة عشر شهرا من ولادته ، انجبت بطرس ... وبما اتي كنت اشعر بالملل كثيرا فقد اخلت في متابعة بعض الدروس في التمريض ، وكان هذا الاتجاه يسرني جدا ، فدخلت مستشفى في إحدى ضواحي المدينة ، وتعلمت من ممرضة شابة انشاء كثيرة كنت اجهلها ، ثم مكثت في مستشفى الرجال ستة شهور دون القيام بأية مقابلة . وفي احد الايام دخل غرقتي شاب ضخم الجثة كالقبرة ، لكنه كان ميبا جميلا ، والهمني اتي استطع تغيير طراز حياتي اذا ذهبت معه الى باريس حيث استطع ان اجد عملا يفر علي الربح الوفير .. كان يعرف تماما كيف استطع اتقاضي .. فقررت الذهاب معه ، وكنت سعيدة جدا خلال شهر ولحد .. وفي احد الايام سحب مع امرأة تتميز بالاناقة ثيابها ، وقال لي : «انظري الى هذه ، انها

تعرف كيف تدافع عن نفسها وتكسب اموالا طائلة بكل سهولة . ام  
 وافق في البدء على التهاج منها ، حتى التي توصلت الى ايجاد عمل  
 لي في احد المستشفيات ، لكني البت التي لا اريد ان امتهن مهنة غيات  
 الشوارع ، لكنني لم استطع المقاومة طويلا . كان يقول لي : **والله لا**  
**تحييني .** حين تحب المرأة رجلا ، عليها ان تعمل وتضحي لاجله . وكنت  
 ابكي واشعر بالحزن وانا اعلم في المستشفى . اخيرا ... سمعت لهم  
 بان يأخذوني الى مصنف الشعر وبدأت اتجول في الشوارع ، بينما كان  
 (جول) يعني من الخلف ليري فيما انا كنت اليوم بهام المهنة خير قيام ،  
 ولكن ينفري فيما اذا خطر لبوليس مدافعة المكان ..

تنطبق هذه القصة من عدة وجوه مع القصة الكلاسيكية للفتاة ،  
 التي قدر لها النزول الى الشارع وسارسة البقاء تحت ضغط صديقتها  
 وحايها . ويحدث احياة ان يلعب زوج الفتاة هذا الدور كما قد تقوم  
 به امرأة اخرى .

وقد اجري (لـ فيشر) عام ١٩٣١ تطبيقا حول (١٥٠) موسى شابة ،  
 فوجد ان (٦٨٤) منهن ، كن يعشن لوحدهن ، ١٣٦ مع صديق و٩٤ مع  
 صديقة تربطها معها روابط السحاق ، وتشهد بذلك بعض اللتقطات من  
 رسائلهن الحافلة ، بالغلط الاملائية :

سوزان ١٧ سنة . انصرفت الى البغاء مع بقية المومسات . وقد  
 احتفظت بي احداهن زمنا طويلا وكانت تغارني وتداهمني كثيرا ، لذلك  
 تركت شارع ...

المرء ١٥ سنة ونصف . تركت اعلي لاميش مع صديقة لي صادفتها

في إحدى الحفلات الراقصة ، وتبينت بسرعة أنها تريد أن تعجني كما يفعل الرجال ومكثت معها أربعة شهور ثم ..

ولا تعتبر المرأة البغاء في اغلب الأحيان الا وسيلة موقرة لزيادة دخلها المحدود ، لكنها تجده نفسها في جميع الحالات مندفعة في برائن دوامه عارمة لا قبل لها بمقاومتها . وإذا كانت (حالات الرقيق الأبيض) حيث تجر الفتاة جرات تحت تأثير العنف والضغط المادي ، نحو البغاء ، نادرة الحدوث نسبيا ، فإن الفتاة في الحالات الأخرى الأكثر حداوة ، مضطرة في اغلب الأحيان على البقاء في المهنة رغم إرادتها ، إذ أن حاميها الذي يسلطها المال اللازم للمباشرة في ممارسة المهنة ، يصبح ذا حقوق عليها ، ويضع يده على أكبر قسط من أرباحها استثمارا لماله ، ولا يمكنها بحال من الأحوال أن تتحرر ماديا .

جملت الكتابات المديدة حول المومس وحياتها الخاصة وجه (جول) تسميا فهو يلعب في حياة الفتاة دور المحامي والنقذ وسلطها الأموال اللازمة لتفترقي بها ما يلزمها من أدوات الزينة ، وهو يدافع عنها ضد منافسة النساء الأخريات ضد البوليس - يحدث بعض الأحيان أن يكون المحامي أحد رجال البوليس - وعند الزبائن - ذلك إن هؤلاء يكونون في غاية السرور إذا استطاعوا قضاء وطرحهم لدى الفتاة دون أن يدفعوا الثمن ، كما يلجأ بعضهم إلى اشباع ميولهم (السادية) في شخص الفتاة المومس . ومنذ عدة سنوات كان بعض الشباب الفاشيست في مدريد يلهون ولسلون انفسهم في قذف المومسات وسط النهر خلال الليالي القارسة ، وفي فرنسا كان الطلاب يسحبون بكل جوارحهم النساء نحو الريف حيث يهجرونهن وحيدات وسط القلام عازيات عراء فلما .

ان الموسى في حاجة لحماية رجل لكي تستطيع ان تحصل على موارد  
وزقها وتتحاشى المعاملات السيئة . ويقدم (الحامي) للموسى دعما  
معنوياً . (لأنها تعمل بنشاط أقل اذا تركت لوحدها) كما تقول بعض  
الموسسات . وفي اغلب الاحيان تكن الموسى للحامي حيا عينا لأنها  
تكون قد رضيت بالانحدار الى هذا المستوى تحت ضغطه ورغبة في  
ارضائه .

الا انه تحدث في بعض الاحيان ان تبدي الموسى خصومة وحقدا  
شديدين نحوه وفي هذه الحالة لا تتاج الموسى القيام بدورها الا خوفا  
منه لتجأ لطلب الاحيان الى اختيار احد زبائنها عشيقا لها .

وكثيرا ما تعزي الموسى نفسها بيزولة علاقات عاطفية مع امرأة  
اخرى . وقد دلت الاحصاءات ان عددا كبيرا من الموسسات يزاولن  
السحاق وقد رأينا ان السبب في اختيار بعضهن لمهنة الدعارة يعود الى  
الرغبة في ارضاء صديقاتهن اللواتي يارستا معهن علاقات عاطفية شاذة .

اما علاقات الموسى مع الزبائن فهي تختلف بحسب الاحوال وقد  
الضح ان الموسى تحتفظ لعشيق قلبها بامتياز تفضلها من فيها الذي يعد  
تعبيرا عن عاطفتها الحرة التي لا علاقة لها بالهنة .

كالت ماري ليريز (التي استخدمنا بقصة حياتها سابقا) تبدي خلال  
ميزولة مهنتها عدم اهتمام تام ، لكنها مع ذلك انشابت الى شعورها في  
بعض الليالي باللذة الجنسية ، فقد كان لها حسب ما تقول بعض الفاعرات  
العاطفية الصحيحة مع بعض الزبائن ، كما أكدت في كتابها ان رفيقاتها  
يصادقن نفس الشعور في بعض الاحيان . وحدث كثيرا ان الموسى



ترفض تقاضي الثمن من احد زبائنها الذي اثار إعجابها ، كما تلجأ في بعض الأحيان الى مد العون له اذا كان في حاجة الى المساعدة . لكن المومس بشكل عام تعمل (بيرود) ولا تشعر بعضهم الا بعدم الاهتمام وحتى الاحتقار نحو زبائنهم . كتبت ماري تيريز تقول : «اوه يا لهم من خنازير هؤلاء الرجال وكم نستطيع المرأة ان تضحك عليهم وتمزأ بهم ا» . ولكن بعض المومسات يشعرون بالحق والامتنيا تجاه الرجال الذين يحاولون التقن في معاشرتهم . كانت ماري تيريز تشتكي بصورة خاصة من ان الفرنسيين يشتمون بخيال خصب لا حدود له في هذا المجال وقد اسرت بعض المومسات المريضات الى الدكتور بيزار بأن «جميع الرجال بصورة عامة يحبون التقن في اساليب المعاشرة الجنسية» . وقد تحدثت إحدى صديقاته بصورة مطولة مع مومس شابة ذكية جدا في مستشفى (يوجون) فقالت بانها بدأت حياتها كغادمة وكانت تعيش مع حاضنها الذي كانت تحبه لدرجة العبادة ، كما صرحت بان «جميع الرجال يحبون التقن في اساليب المعاشرة الجنسية الا رجلي ولهذا فانا احبه ، ولن اتردد في هجره اذا حاول ذلك يوما ما . ان الزبون يبدو باديء ذي بدء عاديا طبيعيا فلا يجرأ على المطالبة بتنوع الاساليب لكنه حين يتردد عددا من المرات على البيت ، يبدأ في طلب بعض الاشياء القليلة .. انت تقولين ان زوجك لا يستسيغ هذه الاشياء ا سوف ترين انهم جميعهم يطلبون ذلك»

ويجوز كره بعض المومسات لنوع خاص من الرجال عن بعض الرواسب الطبقة . وقد وسفت (هيلين دوتش) باسهاب قصة (آنا) للمومس الشفراء الجميلة ، اللعوب اللطيفة . الا انها كانت تعرض الى

حالات عصبية عتيقة إذا صادفت بعض الرجال . كانت تنسحب الى عائلة  
صالية ، وكان ابوها يكثر من معاقرة الخرة بينما كانت لها فرسة  
للمرض . وقد دفعتها حيلة هذه الاسباب الى الشعور بكرة حياة الاسرة  
بصورة عامة لدرجة انها لم توافق مطلقا على الزواج على الرغم من انها  
خطبت كثيرا خلال مزاولتها المهنة . وقد نقلت الى المستشفى في آخر  
الامر نتيجة لاسابها بالسل ، فاحضت تظهر كرها شديدا للاطباء : وكانت  
تحتقر الرجال المحترمين ، ولم تكن تتحمل السلوك المهذب فتقول : والا  
تعلم ان هؤلاء الرجال يفقدون بسهولة تامة قناع لطيف ومزدهم وبرودة  
اصابعهم ، ويتصرفون عندئذ كالحيوانات ؟

لكن مصاعب حياة المومسات لا تنحصر في حالتهم الاخلاقية  
والنفسية والما في شروط حياتهم المادية كذلك . مستشرات من قبل  
حايهن ، تبيع المومسات في جو من الفسق والقلق المادي . ان ثلاثة  
ارباعهن لا يملكن شيئا يذكر في الحياة ويقع /٧٥٪ منهن في ظرف خمس  
سنوات فرسة للأمراض الزهريّة ، اما القاصرات اللواتي لا خبرة لديهن ،  
فالهن يصبن بالعدوى بسهولة مخيفة وتصاب المومسات بالسل بمعدل  
واحدة كل عشرين ، ويصاب /٦٠٪ منهن بالاعمان على الكحول ، كما  
يموت /٤٠٪ منهن قبل الأربعين من العمر .

ولكن الدعاية اذا كانت في درجتها الاخيرة شاقة للغاية ، اذ تضطهد  
المرأة فيها جنسيا واقتصادية وتتحمل مضايقات البوليس ، والرقابة  
الطبية ، والاعيب الزبائن ان يصعها محتوم فلا بد ان تقع فرسة  
للجرائم والأمراض والبؤس والشفاه . . فتتحدس الى مستوى الاشياء .  
هنالك درجات عديدة بين المومس من الدرجة الاخيرة والمعظية

الكبيرة . والفرق الأساسي بينهما يكمن في ان الاولى تناجر بجسها بشكل عام كامرأة عادية ، فتقبلها النافسة الشديدة في مستوى حياة منخفضة بالنسبة ، بينما تحاول الاخرى التيات وجودها كتنخضية لها كيانها . وتتميز بصفات خاصة ، فاذا ما نجحت في ذلك استطاعت بلوغ مركز مرموق في المجتمع .

وقد وجدت على الدوام بعض الصلات القامضة بين الفن والبهاء ، لان الناس يخلطون بين الجمال والجنس في الغلب الاحيان وتعددت في الايام الاخيرة مظاهر عرض الاجسام العارية تحت اسم الفن ، كما ان الرجال المسنين يؤكّدون ان «العرى هو طهارة» ويجمعون تحت اسم «العرى الفني» مجسوعات من الصور الطليعة . ولم تعد المومس التي تطمح في الحصول على منزلة خاصة ، تكتفي بعرض جسها ومحاسنها امام عيون الناس ، بل هي تحاول بشتى الطرق ايراز مواهب اخرى كالمثلة لديها . وفي الماضي كان «عارفات الناي» يسحرن الرجال بسويقاتهن ورقصاتهن ، كما ان بنات النيل اللواتي يرقصن رقصة البطن ، والاسبابيات اللواتي يرقصن ويضين في بعض اماكن اللهو ، يعرضن انفسهن بطريقة راقية تحت ستار الفن الى هواة الدعارة . وبالطبع فانه توجد رقصات عاريات وعارضات للازياء وفتيات للقلائف ، ومغنيات وممثلات ، لا يسعهن بحال من الاحوال الامور الجنسية بالتدخل في حياتهن الفنية . لكن المرأة التي تظهر امام الجمهور تضطر في الغلب الاحيان ، لكسب عيشها الى عرض مفاتيها الجسدية . وتتنس المحظية على العكس ، مزاوله مهنة تكون بمثابة ميرر لها في ممارسة الدعارة ، فتتشد الظهور بمظهر الفتاة ذات المواهب ، ويصبح بوسمها

بواسطة هذه الطريق ان تحصل على حريتها التامة واستقلالها الاقتصادي .

يحدث في كثير من الاحيان ان تسئل الخدمات او الاموال التي تجنيها  
المعقبة من الرجال ، تمويلها عن مركب قصبا الاثوي ، وحينئذ  
تلمع النفود دور المظهر وتفضي على نضال الجسدين . واذا كان بعض  
النساء يجدن لذة كبيرة في الحصول على اكر كية مسكنة من الشيكات  
والهدايا من الرجال فهذا لا يعود الى طمعهم وجشعهم ، وانما لان هذه  
الطريقة تحول الرجل الى اداة في ايديهم ، وبهذه الطريقة تنتم المرأة  
لنفسها كاداة جسدية في يد الرجل ، الذي يحسب انه يمتلكها ، لكن هذا  
التسلط الجنسي سطحي بعض الشيء ، ما دامت هي التي تملكه في ميدان  
الاقتصاد ، الامر الذي يشيع عزة نفسها وكبريائها .

## الفصل الخامس

# من النضوج إلى الشيخوخة

يتعلق تاريخ المرأة - بسبب دورها الأثوي - أكثر من الرجل بمسرها الفيزيولوجي ، والحظ البياني لهذا المسير هو أكثر ترجيحاً وقطاعاً من الحظ البياني لمسير الرجل الفيزيولوجي . إن كل فترة من حياة المرأة ، تمتاز برئاستها وركودها : لكن الانتقال من مرحلة إلى الأخرى يجري بشكل فجائي خطير ، وتنتج عنه التزامات شديدة حدة من الأزمات التي يتعرض لها الرجل في مختلف ادوار حياته: البلوغ، التقرب الجنسي، سن اليأس . وينتج يهرم الرجل تدريجياً وبصورة مستمرة ، نجد المرأة نفسها فجأة مجردة من الوثتها ، فتتخذ وهي لا تزال شابة نسبياً ، الجاذبية الجنسية ، التي تستمد منها أمام المجتمع ، تبرير وجودها وحفظها في السعادة : لم يبق لها سوى أن تعيش محرومة من كل مستقبل خلال نصف حياتها تقريباً .

تتميز (السن الخطيرة) ببعض الاضطرابات العضوية لكن قيمة هذه الاضطرابات العضوية تشكل مرحلة عامة من حياتها . وتشعر المرأة بالازمة الجديدة في حياتها بشكل أقل حدة فيما إذا كانت لم تعلق في حياتها الماضية أهمية كبيرة على عناصر الوثتها فإذا كانت تعمل في البيت

أو في الخارج فانها تستقبل بالرياح تام القطاع الدورة الشهرية وعيوبها ، كما تصبح المرأة الرضية أو العاملة سعيدة جدا حين تتخلص من مظاهر الحمل المشكور ، ولا تنتج عن وعيها بطول هذه الفترة العسية من حياتها . وبدأ الأزمة النفسية لديها عادة قبل حلول المظاهر الفيزيولوجية بوقت طويل .

بدأت بإشيرة هذه الأزمة حين يتصرف الرجل الناضج نحو مشاخر واعمال يعتبرها أكثر اهمية من الحب ، فتصبح ميوله الجنسية أقل حدة مما كانت عليه في صباه ، وما دام المجتمع لا يتطلب منه صفات سلبية في مظاهر حياته فإن تبعات وجهه وزهرل جسمه لا يهدم جميع امكانياته في اثاره الاعجاب . وعلى العكس من ذلك حين يبلغ المرأة الغامسة والثلاثين من عمرها تكون قد غلبت على جميع ما يتسدى لها من موانع في حياتها الجنسية وبلغت مرحلة فتحتها الجنسي الكامل فتفتتح لمرآها وتصبح أشد عنفا وتود من صميم قلبها انبساطها لانها عقلت في حياتها على القيم الجنسية لعمية أكثر من الرجل فقد كان عليها كي تحافظ على زوجها والحصل على الحماية الكافية في مختلف المهن التي تمارسها ، ان ثير الاعجاب فتجاحها في الحياة لا يمكن ان يتحقق الا بواسطة الرجل . ماذا يحدث والحالة هذه حين لا يعود لها اي تأثير عليه ؟ هذا ما تتساءل عنه باستمرار ويقلق خلال السنين التي تبدأ فيها جاذبيتها الجنسية بالانحلال والضعف ، انها تتأمل فتصنع السائق المختلفة وتجرى العمليات التجريبية ، لكن كل هذا لا يفيدنا الا في احوال حالة النزاع الاخير لانبساطها ، ولكن حين تبدأ التطورات للقعدة التي لا يمكن سدها او وقفها والتي مستخدم في نفسها البنيان الذي اتادته خلال عهد البلوغ .

تشعر المرأة كأنها أصبحت بحتية الموت نفسه ، وقد يتبادر الى الذهن ان  
 المرأة التي تمتت اكثر من غيرها بحساستها وشبابها ، بتأنيها القلق  
 والاضطراب وتعرض لتسى انواع الضيق النفسى ، لكن الواقع هو على  
 العكس من ذلك ، لان الفتاة المولمة بنفسها وبجمالها اى الفتاة الرئيسية ،  
 تفكر دائما بنفسها وبمصيرها ولا بد وانها اعدت لمرحلة من اليأس  
 عدتها وضمنت لنفسها مركزا تتراجع اليه . ولا بد لها بالطبع من ان  
 تتعذب من هذا القصر الذي يجعلها لكنها ان تفتأجا به بسبب توقع  
 حدوثه . اما المرأة التي نسيث نفسها وقضت حياتها مضحية بكل شيء  
 لديها فاتها تعرض لضمة شديدة حين تكتشف حلول هذا التغيير  
 الجديد في حياتها : فإلم يكن لدي سوى حياة واحدة لاعيشها فانظروا  
 ما آل اليه مصري . وتتأنيها حينئذ للبعثة المحبين بما تغير جذري  
 لانها تكون قد استفاقت فجأة على واقع حالها فتكتشف ان جسما  
 اصبح بدون امل وان احلامها ورغباتها التي لم تحققها في الماضي ستبقى  
 كذلك الى الأبد ، وفي هذا الجو المضطرب تلتفت نحو الماضي وقد حان  
 الاوان للتفكير به واجراء الحسابات بشأنه . انها تتراجع من شدة ما  
 قسرت نفسها على الانطواء وعدم التمتع بامكانياتها ، وامام هذا التاريخ  
 القصير المخيب للامل ، المعبر عن حياتها التافهة تجد نفسها مضطرة الى  
 رفض النهاية في حياتها فتقاوم فقر وجودها بثروة وكمال شخصيتها .  
 ويبدو لها بسبب كونها امرأة تعلمت مصيرها بسلبية وخنوع ان المجتمع  
 قد سرق حقلها في الحياة وخذلها وانها قد ازلقت من الشباب الى  
 الضووج دون ان يأخذها الوعى بشخصيتها . انها لتكتشف ان زوجها  
 ووسطها ومشائخها لم تكن في مستوى لسكائياتها ، ولذلك فهي تشعر

بأنها غير مضمومة من الناس فتعزل عن المحيطين بها لأنها تتخيل نفسها متفردة عليهم ، وتحاول دراسة إمكانياتها التي لن تيسر لها فرصة الاستفادة منها فتكسب على تحرير يومياتها الخاصة ، وإذا ما وجدت أشخاصا تركز اليهم فأنها تفتح لهم مطالب قلبها في احاديث طويلة لا تنتهي ، معبرة في كل مناسبة ليلا ونهارا عن حشرتها وانها ماثمة . وكما تعلم الفتاة الصغيرة بما سيكون عليه ماضيها ، وتتخيل بنفس الوقت الغرض التي فشلت في اتهازها وتشيء نفسها قصصا طرفة سحرية عن ماضيها القاتل . تقص علينا (هد. دوتش) قصة امرأة قطعت علاقاتها الزوجية وهي شابة بشكل مبكر ثم تزوجت بعد ذلك وقضت سنين طويلة بقرب زوجها التالي . وحين بلغت الخامسة والأربعين من عمرها بدأت تتحسر بحرارة على زواجها الأول وانطوت منزلة على نفسها في ظلمات حزن عميق . تستسلم المرأة في بعض الأحيان الى حالة من الكتابة العائلة السلبية ، لكنها تحاول في اغلب الأحيان ان تنقذ حياتها الفاشلة فتراها تشيد بزواجها وتطالب بنفس في ان تصف وتفكر بأنه قد يكون في وسعها لو اتاحت لها الغرض في ان تنضم من نفسها وتبرز قيمتها . انها تحاول بإتساق ان توقف الزمن . فنرى مثلا المرأة الام تؤكد بانها تستطيع ان تنجب الأطفال بعد سن اليأس فتحاول بحماس شديد ان تخلق الحياة من جديد . وتحاول المرأة الشهوانية ان تحصل على عشيق جديد لنفسها ، كما تظهر المرأة التبرجة لها وحبا أكثر فأكثر لاثارة الإعجاب . انهن يصرحن جميعا بان نداء الشباب لا يزال يجري في عروقهن ويحاولن اقتناع الآخرين بان مرور الزمن لم يؤثر عليهن مطلقا . فنرى المرأة الناضجة ترتدي من جديد ازياء الشباب وتتكلم بلهجة



الفتيات الصغيرات ، تعرف المرأة المشرفة على الشيطونة بأنها اذا لم  
لقد تصلح لان تكون متعة جنسية فهذا لا يعود الي كون جسدها لم يعد  
يقدم للرجل ما تشتهي نفسه ، انما يعود كذلك الى ان ماشيتها ونجرتها  
جعلها منها رغما عنها او برضاها شخصية مستقلة ، فقد تأملت واحبت  
وارادت وتمذبت وتبعت لحسابها . . ان هذا الاستقلال ليبحث الخوف  
في نفسها ولذلك فهي تحاول رفضه وعدم الاعتراف به مبالغة في ابوتها  
مضاعفة كمية الساحق والروائح العطرة متكلفة اللطف والاستسلام  
الاشوري سيدي اعجابها نحو الرجال بساطة كساطة الاطفال ذاكرة من  
حين لاخر بشكل مشر حياتها وقصصها حين كانت شابة صغيرة . . ولجأ  
المرأة في هذه السن عوضا عن ان تتكلم الي الصياح وضرب اليدين  
بعضهما البعض والقفزة بصوت عال . . وتجعلها هذه الالهية الجديدة  
والرفية العميقة في التزاع نفسها مسن برائن حياتها الماضية الريبة  
والاطلاق نحو حياة جديدة . . . كل هذا يجعلها تتخلل نفسها وكأنها  
تبدا الحياة من جديد .

والواقع ان الامر لا يمكن ان يشكل بالنسبة اليها بداية جديدة لانها  
لا تكتشف في الحياة اهداما تسعى الي تحقيقها بحركة حرة خيالية ، وانما  
تتخذ ثورتها شكلا متناقضا لا جدوى منه هدفها التمويض رمزيا عن  
خطاياها الانسية ولذلك فهي تحاول ان تحقق قبل فوات الاوان جمع  
رغباتها حين كانت طفلة او رائدة . . فهذه تباشر دروسا في العزف على  
البيانو ، وتلك تمارس الرسم او الكتابة او تقوم برحلات واسفار ، او  
تتعلم التزلج على الجليد ، او تتكلم باللغات الاجنبية .

وقد تظهر المرأة في هذه السن استمراريةها من زوج كانت تشعر بلذة

الحياة الجنسية معه فإذا بها تجد نفسها باردة بين ذراعيه ، أو تلجأ على العكس من ذلك إلى ترك المجال لحساس الجنس الذي كانت تكتبه بعض الشيء فتتهكك بطلباتها ، وقد تعود إلى مزاوله العادة السرية التي هجرتها منذ أيام طفولتها ، كما قد تتحول في بعض الأحيان إلى السحاق ولو لم تكن قد عرفته قبلا أثناء شبابه .

تظهر الحدود بين الخيالي والحقيني لدى المرأة الناضجة بنفس العنوس الذي كان يظهر فيه لدى النساء اليافعة . ومن الطوارىء الأكثر حدا لدى المرأة المثرة على الشيخوخة هو شعورها بازدياد شخصيتها الذي يفقدها كل مفاهيمها الوضوعية . وقد أكد بعض الناس الذين اشرفوا على الموت ثم نجوا منه ، أنهم شعروا بازدياد الشخصية : لست ( أنا ) الذي تعرض للموت دعسا بواسطة السيارة : لست ( أنا ) هذه المرأة المسنة التي تعكس المرأة خيالها . إن المرأة التي لم تشعر بنفسها أكثر شيئا منها الآن ، والتي لم تكن في يوم من الأيام أكبر سنا مما عليه في الوقت الحاضر ، لا تتوصل إلى التوفيق بين هذين المظهرين من ذاتها ، لأن الوقت يجري وينساب والحقيقة يتعمد وتتضائل . وما دام الحب لا يزال كما كان في السابق ، شعلا الشاغل قن الطبيعي إذن أن تستسلم لوهم الشعور بأنها محبوبة .

١٠ - إلا أن القدرة على تجاوز الحقيقة والواقع بهذه البراعة لا تشر ليصبح النساء بل تشعر أكثرهن بألم الحرمان من الحب فيلجأن إلى الله لاستمداد العون منه . وتنجح المرأة في هذه الفترة من حياتها إلى التقى والورع ، والأيمان بالمعجزات والسحر والخزيبات والشعوذة ، وقد يؤدي بها الأمر إلى اقتحام ميدان الأعمال الختفي بنفسها في مختلف

المنارح والمغامرات وتشمرك وألها نضل بطة من بطلات الحرية وعامة  
لنضل الحكمة والنضل .

لنضم ازمة سن الياس حياة المرأة الى شطرين بشكل جذري . وهذا  
الانقطاع هو الذي يعطي للمرأة وهم والحياة الجديدة انه عهد جديد  
تسلي اليه بحية النالية ، نحو الحب ، والحياة والنن ، وألها ماتت  
وابعث اليوم من جديد . والها لننظر الى العالم بعين من سير نحو  
الأرض ونفض الى اسرارها ، ونغال اليها انها لنخلق في الفضاء نحو القسم  
الناسخة التي لم نضل اليها يد الألسان .

غير ان الأرض تبقى ثابتة في مكانها لا تبدل ، والقسم الناسخة تبقى  
فوق مستوى الألسان ، والأوار الناسخة تنجو وتضائل ، ولا يقضى  
امام المرأة سوى طيف امرأة شاعرت يوما واحدا منذ البارحة . فتنبع  
لحظات النشوة والحساس ساعات بقده الفم خلالها قبضته من جديد حول  
عنقها . لقد استغللت اسباب حياتها دون ان يستقبلها الموت على اعقاب  
داره وبألها من حياة مقبلة ، تنفعها في آخر الأمر الى التخلي عن النضال  
والانصراف الى تنغيص حياتها وحياة من يحيط بها من الناس ، فتتأثر  
الانهايات من فنها ، وتتصاعد الحشرات من صدرها وتتصور ان الجيران  
يدبرون ضدها المؤامرات ، ويحكيون من حولها النساس وقد تظهر  
فجأة عوائلقة الفرة العنقاء على زوجها ، فنغار من اسدقائه وانواره  
ومهته وتتهم كل انسان تصادفه في طريقها بأنه سبب ناستها . واذا كانت  
لا لنلك سوى محاسنها كراسمال لها في حياتها فالها تاضل خطوة خطوة  
للمحافظة عليها ، وتعارض معبرة لأبقاء نرائرها على حالتها من النضج  
والانطلاق ، ويروي ان الأميرة (ميترنخ) اجابت على سؤال وجه اليها ،

عن السن التي تتوقف فيها المرأة عن الشعور بالفرجة الجنسية فقالت :  
ولا اعلم اذ ليس لي سوى ٦٥ سنة من العمر اء

الا انه لا بد وان يأتي يوم تضطرب فيه المرأة الى الاذعان والاعتراف  
بكبر سنها وحينئذ تبدل حالتها . كانت حتى الان امرأة شابة متحصة  
للتفصال ضد مركزها الضئيل في المجتمع ، لكنها تصبح شخصا آخر لا  
يشعر بالمعاطفة الجنسية وتضع بخيرة كثيرة : انها امرأة مسنة . ولكنه لا  
يجب ان نستنتج من ذلك بان الحياة اصبحت سهلة لانها اذا كانت قد  
تخلت عن التفصال ضد حتمية الزمن ، فليها بعد ذلك ان تخوض حريا  
جديدة ... يجب عليها ان تعالظ على مكان نفسها فوق سطح الارض .

تحرر المرأة في غرف حياتها او في ثنائها من قيودها ، وتعتبر كبر  
سنها مبررا لها لتخايف تحمل الالتزامات التي كانت تثقل كاهلها . انها  
تعرف طبيعة زوجها بعد هذا العمر الطويل ، ولذلك فهي تنظم حياتها  
بشكل من الاشكال الى جانبها - في جو من الصداقة او عدم الاهتمام  
او العداة - فاذا ما اتت زوجها قبلها ، تراها تتسلم زمام قيادة البيت  
من جديد وتعالج الناس والرأي العام ، وتعمل بنفس الوقت التزاماتها  
الاجتماعية ، والعناية بسلامتها وجبالها .

تكتشف المرأة اخيرا حرثها بعد فوات الاوان وهذه الظاهرة تتكرر  
دائما في حياة كل امرأة . انها تكتشف حرثها في الوقت الذي لا تجد  
امامها ما تصنع في الحياة ، ولا يسكن اعتبار هذا التكرار وليد الصدفة  
المحضة ، لان المجتمع الذي يرتكز على سلطة الرجل يضي على جميع  
الوجهات النسائية شكل العبودية ، ولا تستطيع المرأة التخلص منها الا  
حين تفقد كل فعاليتها . لقد علمنا الناس طوال حياتها ان تخلص لتخلص

ما ، ولم يعد هنالك اي انسان يرد التسع باخلاصها + غير ذات فائدة ،  
ولا يمرر لوجودها ، تأمل المرأة الناضجة هذه السنوات الطويلة بدون  
امل ، هذه السنوات التي بقي عليها ان تحياها في عزلة تامة ، تفهس  
حينئذ لنفسها قائلة : ولم يعد هنالك اي انسان يحتاج الي انا .

وحينئذ توجه آمالها نحو اولادها ، فهم لا يزالون في ربيع العمر ،  
والمستقبل لا يزال مفتوحا امامهم . وفي هذا المجال تسع المرأة التي  
استغفها الحظ بالجانب اولادها بصورة مبكرة بامتياز على غيرها من  
النساء ، فهي لا تزال شابة تستطيع ان تستمتع بسعادة اولادها كأنها  
سعادتها ، لكن الام بصورة عامة تبلغ الاربعين من العمر في وقت يبلغ  
فيه اولادها مرحلة الاستقلال وفي هذه اللحظة التي يفلتون من سيطرتها ،  
تجدها تحاول ان تعيش من خلال حياتهم ، لتعوض النقص والحرمان  
الذين تعانتها ، فتصرف نحو اولادها وتحاول التدخل في حياتهم كأنها  
حياتها الخاصة ، لقد انجبت من نفسها جسدا في شخص ابنها وهي تحاول  
الآن ان تجعل حياته حياتها ، فأصله أصلها ، وفرحة فرحها ، وحزنه  
حزنها .

لكن الامور لا تجري دائما على هذا المتوال ، فقد يكون الابن دون  
مستوى نسيات امه . وهذه ترعب في ان تسجم مشاريع (ابنها الاله) مع  
مثلها الاعلى في الحياة . وكل ام تريد ان تنجب بطلا عبقريا ، لكن جميع  
امهات الابطال والعباقرة يشكون من ان اولادهم قد حطوا قلوبهم  
وآمالهم ، وقد توافق الام على مشاريع ابنها لكنها تبقى دائمة التشكي ،  
يزق قلبها هذه التناقضات المائلة التي تعذب قلب الفتاة المحبة . ولكني  
يرر الرجل حياته - وحياة امه - يجب عليه ان يتشد الاهداف البعيدة ،

وهو مضطر والحالة هذه الى ارضان سحنة والتعرض للاضطرار ، لكنه يشكر في نفس الوقت قيمة ما سحنته اياه امه ، حين يضع نصب عينيه اعداها لا تتعرض على مجرد العيش البسيط ، وهذا ما يثير استنكارها لانها لا تسود على الرجل وتسيطر عليه الا اذا اعتبر هذا الجهد الذي اتيته شيئا مفضلا ، فلاحق له في عدم هذا البناء الذي شيده من خلال العذاب والآلام . وسوف تعب نفسك ، وستعرض للعرض وسيميكب منكروه اذا ... الخ لكنها تعلم مع ذلك انه مجرد العيش لا يكفي الانسان والا لا يصبح التنازل امرا عديم الفائدة ، وهي اول من يستاء اذا كان ولدها كسولا او جبانا . وانها تتسنى عودته من الحرب ، لكنها تفضل ان يعود اليها وسمره محطى بالبياتين . وهي تتسنى من كل قلبها ان ينجح في حياته لكنها تخشى عليه التعب والاجهاد ، ومهما فعلت فان حياته تجري امامها دون ان يكون في مقصورها ان تحولها او تتحكم فيها . انها تخشى عليه من ان يخطئ الطريق او يفشل في حياته او يسقط مرضا ، لكن فرق السن يجعل من المتصور عليها مساعدته والمساعدة عمليا في بناء مستقبله .

مهما يكن الامر ، اذا كانت الام تعجب بابنها وتفخر به وتجد في الانصراف الى التفكير بمستقبله تعويضا لها عما تلاقية من احوال في حياتها الجديدة ، اذا كانت تشعر هذا الشعور فانها تبقى مع ذلك غير راضية لانها لا تستطيع ان تدخل في حياة ابنا بشكل ايجابي ، وهي بحاجة لان تشعر بضرورتها في كل لحظة من لحظات حياتها ، كما ان زوجة ابنا مجردة من وظائفها . لقد كتب النبي الكثير عن العداوة الذي تشعر به الام تجاه هذه الاجنية التي (تأخذ) منها ولدها . انها هي التي

منحت الحياة ولذلك تشعر بترتيب بعض الالتزامات عليه تجاهها اما هذه الاجبية زوجته فانها لم تعلم شيئا بل كان يجهل حتى وجودها منذ امد قريب . وانها تنتظر ان يتكشف فناع الزوجة المريف في يوم من الايام ، يشجعها في تفكيرها هذا خرافة الام الطيبة التي تعزي ابنها من سوء معاملة الزوجة الشريرة وانها لتتخصص على الدوام وجه ابنها لكي تعثر على ملامح النعاسة والشفاه وقد كتكتشف هذه الملامح رغم انكار ولدها وتأكيديه بأنه سعيد ، ثم هي تصرف الى تفحص (كتنها) وتتقد حركاتها وتصرفاتها وسكناتها ، وتشر امام ما تحدثه من تجديد في البيت سلاح التقاليد والعادات التي تعطي الاهلية في البيت الى ام الزوج ، ان كلا منهما تفكر على طريقتهما في اسعاد الرجل الحبيب فالمرأة ترى فيه رجلا تستطيع من خلاله ان تثبت وجودها في العالم ، اما الام فهي تحاول ان تعيده الى عتواته . وهي تقاوم مشاريع المرأة الشابة التي تنتظر ان يصبح زوجها نسيا او شخصية هامة في الحياة ، باسهار سلاح العطف والحنان او الرفق به فهو لا يتحمل الشدائد في نظرها وينبغي الا يجهد نفسه في العمل . وهكذا تطور الخصومة بين الماضي والحاضر وتناقض حين تجد المرأة الجديدة نفسها حاملة بدورها وان ولادة الاطفال تعني موت الاهل ، وحينئذ تتكشف الحقيقة الساطعة بكل قوتها ؛ فتنهم المرأة التي كانت تأمل ان تدوم العيش في شخص ابنها بأنها محكوم عليها بالموت ، لقد منحت الحياة لكن الحياة تدوم سيرها بدون معوتها . انها لم تمد (الام) وانما هي حلقة من سلسلة طويلة . . . نعم لم تمد هذه المرأة التي قاست الامرين لتحصل على حريتها وشخصيتها وهي ليست سوى مخلوق اتهم لمره وولى زمانه ، وحينئذ تشعر في الحالات الشاذة

جدا بالكره ، يحتاج نفسها ، هذا الكره الذي قد يؤدي بها الى بعض الحالات العصبية العنيفة او يدفعها نحو الجريمة وهذا ما فعلته السيدة (لوفيفر) التي شعرت بان كبتها حاملة فكرتها زنا طويلا لم قررت قتلها وتغلبت ذلك .

ولكن العيرة تغلب في الحالات العادية على كراهيتها وعدائها فتصر لحياتها على اعتبار المولود الجديد وليدها الوحيد تحب حبسا غيفا ديكتاتوريا ، لكن الام تقاوم بصورة عامة هذا الاتجاه لمن حياها وتعلن حرب العيرة سجالا بينهما وتبدل عواطفها نحو صغيرها فتصبح عدائية ، فنكرهه تحت ستار من القلق والعطف المصطنع .

ويحدث في بعض الاحيان ان لا يكون للمرأة اولاد او انها لا تهتم باولادها وحينئذ تراها تحاول ان تخلق نظائر لهم بشكل مصطنع فتعرض على بعض الشباب عطفها الاموي ، وسواء كانت عواطفها عذرية ام لا فانها لا تتعد عن الحقيقة حين تشرح بانها تحب صغيرها الشاب كما تحب (ابنها) . وتسطحي المرأة في اغلب الاحيان بعض الفتيات فتعرض ليهن الجنسان الذي تستع فيه ، وترتدي هذه العلاقات في بعض الاحيان الطابع الجنسي ، وعلى كل حال سواء كانت هذه العواطف عذرية بحتة او خالطها نية من الشعور الجنسي ، فان ما تشده المرأة هو تفرغ عواطفها في شخص تعتبره ادواجا لشخصها ، وقد تلجأ في بعض الاحيان الى تبني بعض الامثال الصغار كما تميل العبات المسنات . على انه من النادر في جميع الاحوال ان تجد المرأة في خلفها الطبيعي او الاستطاعي تيريرا لحياتها السائرة نحو الانحطاط لانها لا بد وان تغفل في جعل حياة احد هؤلاء الشباب تيريرا لحياتها . وليس امامها سوى ان تصر على متابعة



جهودها للوصول الى هدفها فتستهلك حياتها في صدام وامن ، تعيب  
املها وترتكها محطمة متهورة ، ولما ان تستسلم الى قدرها ، فتساهم  
بدور بسيط ضئيل في حياة ابنائها وهذه هي الحالة الطبيعية . لكنها لا  
تجد حينئذ لديهم اية معونة في محتها القاسية والقي مهلطة وسط صحراء  
المستقبل ، فرسة للوحدة والحسرة والملل .

ان هذا الوصف يعبر الصديق تعبير عن مأساة المرأة المسنة : فهي  
تعرف ان لا فائدة لها في الحياة ، وتتساءل في خيرة خلال حياتها الطويلة :  
كيف قتل وقتها ؟ ولم تستكر (الاعمال السوية) الا لسد الفراغ الذي  
تسمر به المرأة في هذا التطور من حياتها ، ليداعها تشتغلان الصوف  
وتطيطان الالبسة ، لكن هذا لا يعتبر عملا مفيدا بالنسبة اليها وانما هو  
وسيلة لتضية وقتها واشغال نفسها . وكثيرا ما تختار المرأة شخصا تهديه  
تاج عليها ، او تعطي منقطة خيرية او تهديه بكل بساطة الى احدى  
صديقاتها ...

انها تسلية سخيفة كما يصفها باسكال ، لان المرأة تسج الدم في  
حياتها بواسطة الابرة . كما تمارس الفنون كالرسم والموسيقى والقراءة ،  
الا انها لا تلبث ان ترمي الكتاب جانبا وتفتح البيانو ثم تطلقه ، وتعود  
الى شغل الابرة والصوف ثم تتألم وتنتهي باسماك ساعة الهاتف  
لتنظيم زيارة او رحلة او ما شاكل ذلك والواقع ان المرأة تنتهي الى  
تشدان التسلية وتضية الوقت في منكب الحياة الاجتماعية ، فتحضر  
جميع حفلات الزواج ، كما تسير في مواكب الجنائز ، تنفخص الناس  
وتعلق عليهم ، وتعرض بطالتها بشر الانتقادات والتفصائح حولها ، كما  
تضع تجربتها في خدمة هؤلاء الذين لا يطلبون منها اية خدمة . وقد

تفتح ندوة اودية اذا عوفرت لديها الوسائل المادية ، تستقبل فيها الالاءه  
والقنايين والشخصيات . وهناك طرق اخرى لدى المرأة اكثر فعالية  
للتدخل في حياة الناس . ففي فرنسا تنشر الجمعيات النسائية ومؤسسات  
الاعمال الخيرية ، ولكنها تكثر بصورة خاصة في امريكا حيث يجتمع  
النساء في نوادي خاصة فيلمبن (البريدج) ويسمن الجوائز في المسابقات،  
ويقمن بمختلف المشاريع الاجتماعية المختلفة . ومن الصفات الاساسية  
لهذه المنظمات ان الاهداف المعلن عنها في نظمتها ليست سوى سير  
رسمي لوجودها وبقاتها . وهكذا يبنى نساء الجمعيات جل اوقاتها  
في تنظيم اعمالهن ، فتجري انتخابات المكتب الاداري ، وتناقش الاظنة ،  
وتتصارع المنتسبات فيما بينهن للوصول الى مركز الادارة ، كما يعارضن  
المنظمات الاخرى المناهضة ، فلا يجب على اي سائنا ان يجرأ على سرقة  
(قراهن) و (مرضاهن) و (جرعاهن) و (ايتامهن) وانهن على استعداد  
تام لترك هؤلاء المساكين يمولون دون عناية مسن التخلي عنهم الى  
جيرانهن . ولا شك انهن بعيدات كل البعد عن تضي وجود مجتمع تعمد  
فيه المقام والمسائل الاجتماعية الامر الذي يجعل اعمالهن عديدة الفائدة.  
وانهن ليلهن بالشكر ويباركن الحروب والمجاعات التي تعولهن التي  
خيرات محسنتات تجاه البشرية .

لا تجد المرأة المحسنة عادة حدودها وطاقتها الا في اواخر ايام  
حياتها حين تكون قد تغلقت عن الفضال وحين ينقلها دنو اجلها من قلقها  
وخطونها على مستقبلها وكثيرا ما يكون زوجها اكبر سنا منها فتحضر  
مشهد الهيار زوجها يسكون الراضي ، ولأنها تنتم في شخصه من الحياة .  
وإذا ما توفي قبلها لراها تتحمل سرور العداد المفروض عليها . وقد



الفصل السادس

## وضع المرأة وطبائرها

يمكننا الآن ان نفهم لماذا نتساءل تقاطع مشتركة في الحملات الموجبة ضد المرأة منذ عهد اليونان الى الوقت الحاضر ، فقد بقي وضعها على ما هو عليه رغم الثورات السطحية . وهذا الوضع هو الذي يعند ما يسمى طبع المرأة : فهي لا تملك الحس بالحقيقة وهي تقية ، كاذبة ، مبرجة ... ان هذه التأكيدات تنفس شيئا من الحقيقة ، الا ان سلوك المرأة لا تفرضه عليها هورموناتها ولا لتكون دماغها بل هو نتيجة لوضعها . لذلك سنحاول ان ننظر الى هذا الوضع نظرة ركيبة لتفرك ما يسمى بالانثى الخالدة في مجسوع الشروط الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية .

يقابل بعضهم احيانا بين « العالم النسائي » و « عالم الذكور » ولكن ينبغي ان نؤكد ان النساء لم يشكلن قط مجتمعا مستقلا مطلقا بل كن دائما مندسجات بالجماعة المحكومة من قبل الذكور . انهن متحدثات فيما ينهن بتضامن آلي وليس ينهن هذا الترابط العضوي النسبي تأسس عليه الجماعات الموحدة . فقد اجتمعن دائما ليؤكدن «عالمنا معاكس» ولكنه يبقى عالما مطروحا في كنف عالم الرجال . عن ذلك

يشأ تناقض وضمن : فمن يتبع عالم الذكور ويتبع في نفس الوقت  
حلقة ينكر فيها هذا العالم ، لذلك يصاحب خضوعهن دائما نوع من  
الرفض والانكار .

ان المرأة ترى بان العالم في مجوعه عالم ذكور ، فالرجال هم الذين  
صانوه واداروه وهم الذين يحكمونه هذا اليوم ، وهي تتلقف نفسها  
كتكيان سلمي امام هذه الالمة التي لها وجود البشر والتي تحدد الغايات  
والقيم ، اما نصيب المرأة فتقديم الخضوع والطاعة وابداء الاحترام .

لا يبدو العالم للمرأة كمجموعة أدوات تلعب دور الوسيط بين  
ارادتها وغاياتها ، بل هو ، على العكس ، مقاومة عنيدة لا يمكن  
ترويضها ، يتحكم فيه القدر وتظلله النزوات الشهية ، وان الاعمال  
المنزلية تقرب من النشاط الفني الا انها بدائية جدا ومن الرثابة بحيث  
لا تقنع المرأة بالقوانين والسببية الميكانيكية ، وعقلية المرأة تخطه عقلية  
الحضارات الزراعية التي تعبد الفضائل السحرية للارض ، ولا يكتس  
الزمن بالنسبة اليها سفة التجديد ولا يشكل ينبرها للابداع ، ولما كانت  
منذورة للتكرار فهي لا ترى في المستقبل الا سيرة مطابقة للماضي .

انها لا تجهل ما هو العمل الحقيقي القادر على تبديل سطح العالم  
فحسب بل انها ضائعة وسط هذا العالم كما لو كانت في قلب السديم .

ولما كانت لا تعمل شيئا في سلطنة الرجال فان تفكيرها لا يتميز عن  
الحلم ولا تنطق الحس بالحقيقة ، على كل حال ، ليس من شأنها التبصر  
بالاشياء فقد علموها ان ترضخ لازادة الذكور ، فبا عليها اذن الا ان  
تؤهد في النقد والتفحص وابداء الاحكام تاركة كل هذه الامور للطبقة

العالية . لذلك يبدو لها عالم الذكور كواقع متسام ، كشيء مطلق .  
وتحب النساء خاصة أن يتجسد النظام والقانون في رئيس . وعن  
عجزهن وجهلهن ينشأ هذا الاحترام الذي يوليه للإبطال ولتوانين عالم  
الرجال . وعن يقبلن ، بصورة عامة ، ما هو موجود والرضوخ احدى  
الصفات التي تميزهن .

لا تؤمن المرأة بتحريرها لانفسها ، على الاخص ، لم تستر قط  
بامتكانيات الحرية . ويبدو لها أن العالم يديره قدر غامض لا يمكن  
مجاهته . ولكن اذا ما فتحنا امامها ابواب المستقبل فلن تثبت  
بالماضي . وكثير من المثالب التي تؤخذ على المرأة كالتخيل والوصول  
والخفة والعبودية تعبر في الحقيقة عن ان الافاق مسدودة امامها . ولذا  
ما بدت ثائرة فانها تعزى نفسها عن بذاتها مستعيفة عن الافعال  
المستحيلة ... بالكلام . يعيون عليها خنوعها واستعدادها الدائم  
للارتواء عند اقدام سيدتها وتقبيل اليد التي ضربتها ، ولكن ماذا تستطيع  
المرأة ان تعمل دون ان يدعها الرجل الذي هو بالنسبة اليها الوسيلة  
الوحيدة والسبب الوحيد للعيش ؟ ولئن كانت تفتية غير طموحة فذلك  
لانهم يفرضون عليها الاحباء الرتبة التي لا تخلق العظمة وعلو النفس .  
انها لا تنتج الا الوسائل كالاكل واللباس وهذه وسائل غير جوهرية بين  
الحياة البهيمية والوجود الحر . والصفة الوحيدة المرتبطة بالوسائل غير  
الجوهرية هي المنفعة . وهكذا تحتل المنفعة في سماء ربة المنزل مكانة اعلى  
من الحقيقة والجمال والحرية وهي لا تواجه العالم كله الا من خلال  
هذه الزاوية .

اما تجس المرأة في المطبخ او في المخدع وبعد ذلك فنعش اذا لرى

انفعا محدودا ، وقلص جناحها ثم تشكو من انها لا تعرف التحليق .

كل الذين يتلقون اسرار المرأة كالأطباء مثلا يعرفون جيدا ان التشكوى هي القمة الاساسية . ولكن الآخرين هم السبب فيما يحل بها ، لذلك هم المسؤولون عن مصائبها وثقلاتها . فهي دائما ضد شخص ما او شيء ما . وهي تظن ان كل ما يحدث هو مثلا بسبب اليهود او الماسويين . ولما كانت يدعا لا تقع على هؤلاء المسيئين فانها تبحث عن منهم تستطيع ان تحق عليه بصورة ملموسة ، فيكون الزوج الضحية المختارة .

فيه يتجسد عالم الذكور ومن خلاله يتكفل المجتمع بالمرأة ويحيطها بالتمعية ، انه يحل نقل العالم ، واذا ما سارت الاشياء سيراً سيئا فهو المسؤول ، وعندما يحل النساء فانها تشككي اليه من الاطفال والياحة والطقس . . وهي تريد ان يحس بنفسه مذنباً . هذا الخصام الذي تحسه نساء رجلا يربطها به بدل ان يعطها عنه .

ليس من شك في ان حياتها المرتكزة الى اساس من الثورة العاجزة هي سبب سهولة ذرف الدموع عندها بالاضافة الى كونها تقل من الرجال سيطرة على اعصابها . واذا ظهر لها ان الدموع غير كافية للتعبير عن ثورتها فانها تلجأ الى تمثيل الادوار العنيفة . لما الشغل الاخير فهو الاتعار ولكن يبدو انها تقل لجودا اليه من الرجال . ولئن كانت تمثل لعبة الاتعار اكثر من الرجال فانها لا تريد ارادة فعلية .

هناك تصرفات كثيرة لا ينبغي ان تفسر الا على انها احتجاجات . فالمرأة غالباً لا تخون زوجها رغبة في اللذة بل عن تعذ ، وهي تشرق

عبدا في مشرباتها لأن زوجها منظم ومقتصد ، وتجمع روح المأساة الذي يؤخذ عليها غالبا من حرمانها من ميدان مستقل ، ومن عدم تمكنها من مجابهة الذكور بقم ايجابية ماثلة، لذلك لا تستطيع سوى انكارها .

لقد خصصوا للمرأة دور الفضولي والفضولي يلجأ حتما للاستثمار . وراود لها الرجل ان تكون متاعا فجعلت من نفسها متاعا . ويعرف الرجال جيدا ان مساوي المرأة تعبر عن وضعها . ولما كانوا يحرصون على ابقاء التسلسل والتناوب بين الجنسين قائم يشجعون لدى النساء نفس الصفات التي تطول لهم احتقارهن .

لا تطك المرأة الحس بالتسول بل يبدو لها العالم كمجوعة مهية من الحالات الفردية . وليس من شك في انها تكن الاحترام للكتب ولكن هذا الاحترام يمر بالصفحات المكتوبة دون ان يلم بحتواها . وعلى العكس ، تكتسب العادة او القصة التي يرويها شخص ما في احد اماكن التجمع سعة دافعة . كل شيء في ميدانها يحاط بالسر وكل ما في الخارج تحيط به الاتجاز لذلك لا تنتج بالتجربة المباشرة .

وهي تؤمن بحالات الكشف التي تمر بها اكثر من المحاكيات الصحيحة بالنسبة الى الجميع ، متفردة بسهولة ان هذا الكشف منزل عليها من الآله او من ارواح مهية مجهولة . ومن النادر ان تمتع بالتجربة بل تنتقل من فضل الى آخر دون ان تستفيد من مجموع تجاربها . ولهذا السبب لا تنتج النساء في بناء «عالم معاكس» واسع الاركان كبناء يتحدون الذكور .

يعيش الرجل في عالم متماثل ، في واقع يخضع للتفكير ، اما



المرأة فعلى اتصال مع واقع محوري لا يستجيب للفكر تهرب منه بالاعتقاد على أفكار خاصة ذات مضمون واقعي . وبدل ان تأخذ بوجودها على عاتقها تأمل في الساء فكرة مصيرها الصرفة ، وبدل ان تعمل تصيب في الخيال هيكلها وبنائها ، وبدل الاعتناء على المحاكمة تسبح في الاحلام . هكذا وتم كونها مادية ارضية تجعل من نفسها كائنا اثريا .

ان هدفه التبعية المزدوجة للعالم المادي والعالم الشعري لعدد الحكمة التي تعود بها المرأة بصورة متفاوتة الظهور . واحد مفاتيح العالم السوي هو مفهوم الانسجام الذي يستدعي الكمال ضمن السكون والتبرير القوي لكل عنصر اختيارا من الكل ومن مياسته السلية في المصوغ .

تحتاج المرأة الى الدين شأنها في ذلك شأن الشعوب وانما للنفس الاسباب . فحينما تحكم على احد الجنسين او على افراد طبقة ما بالجنود فلا يد من ان قدم لهم سراب الصعود والسامى . ومن مصلحة الرجل ان يقدم بضمنا الاله مجسومة القوانين التي يصنعها يده . وخاصة لما كان يمارس على المرأة سلطة الحاكم المطلق فمن المستحسن ان تكون هذه السلطة منوطة له من الكائن الاعلى المطلق .

ان خشية الله تنقذ عن المفسد كل رغبة في الثورة .. ولكن الايمان الصادق يساعد الطفلة كثيرا على تجنب كل مركب نفس لانها لا تكون حينئذ ذكرا او انثى بل من مخلوقات الله .

والدين يفتدي احلامها ويلا فراغ ساغاتها ولكنه ، على الأخص ، يؤكد النظام السائد في العالم ويبرر الرضوخ ، بانعاشه الامل في مستقبل

أفضل وفي ساء لا تفرق بين الجنسين .

لرى ان مجموع طباع المرأة اى معتقداتها ، قيسها ، حكمتها ، اخلاقها ، ذوقها ، سلوكها تفسر بوضعها . ولما كان التسامح محرما عليها فان ذلك يشكل حائلا دون بلوغ المواقف الانسانية العليا كالبطولة والشجاعة والابداع والاختراع . الا ان هذه المواقف ليست كثيرة الحدوث حتى عند الرجال انفسهم ، فهناك رجال كثيرون مقيدون مثل النساء ببيدان الوسائل غير الجوهرية . ان العامل يهرب من وضعه بالعمل السياسي سعيرا عن امانة ثورية ، اما الرجال التاهبون للطبقة المتوسطة مثل التجار والمستخدمين فيقومون باعمال متكررة رتيبة مثل اعمال النساء ولا يشهدون في الحياة الا شيئا من الراحة .

من السخفة الآن ان نتحدث عن المرأة بصورة عامة او عن الرجل الخالدة . لما كان وضعهما مختلفين اخلاقا عبقا اصبح من المفهوم ان تعتبر باعثة غير مجدية كل المقارنات التي تستهدف تقرير فيها اذا كانت المرأة اعلى او ادنى من الرجل او مساوية له .

من الواضح ، اننا اذا قارنا هذين الوضعين بالذات الميئا ان وضع الرجل خير من وضع المرأة ، بمعنى ان له امكانيات ملموسة اوسع ليظهر حرته في العالم . ويضجم عن ذلك ان انجازات الرجال تفوق كثيرا انجازات النساء اللواتي يحرم عليهن تقريبا عمل اى شئ .

ان الحرية الكاملة في كل منهما تامة كاملة . وبما انها تبقى حرية فارغة مجردة لدى المرأة ، فان الطريق الوحيدة المفتوحة امامها هي طريق الثورة ، طريق المجازين عن بناء اى شئ . وليس الرضوخ الا نوعا

من الاستسلام والهروب ولا يوجد أمام المرأة متفرد سوى العمل على  
تحرير نفسها .

هذا التحرير لا يمكن ان يكون الا جماعيا ويستدعي قبل كل  
شيء انتهاء التطور الاقتصادي لوضع المرأة . ولكن كان ولا يزال هناك  
سواء كثيرات يحاولن بصورة منعزلة تحقيق خلاصهن الفردي . انهن  
يحاولن تيرير وجودهن ضمن اطار الجسود . نجد هذا الجهد النهائي  
للرأة المحبوسة التي تحول اقل سجنها المحدود الى ساء واسعة ؛  
ويؤديتها الى حرية عند محبة ذاتها ، وعند العاشقة وعند المتصوفة .

صدر عن  
مكتبة دارنا

القسم الثالث

# تبريرات

## الفصل الأول

# عاشقة ذاتها

من الناس من يدعي أحيانا أن عشق الذات هو الموقف الأساسي لكل امرأة . ولكن هذا المفهوم يتهدم إذا تجاوزنا الحدود في توسيعه كما هدم (لاروشنوكر) مفهوم الانانية . والواقع أن «الانانية» في حالة عشق الذات تصبح غاية مطلقة ، فينتوي الشخص على ذاته . والشروط في الحقيقة ، تدفع المرأة أكثر من الرجل إلى الالتفات إلى ذاتها وإلى أن تدبر حبا لنفسها .

إن كل حب يستلزم ازدواج بين شخص وفرض . وشعر المرأة نحو عشق الذات عن طريقين متلازمين . فهي كتشخص تحس بانها محرومة ، لذلك تلجأ على نفسها أهمية مطلقة لأنها لا تجدي أي شيء مهم مباشر لها . ولكن كانت تستطيع أن تعرض نفسها لرفيقها الذاتية فلأنها تبدو لنفسها كعرض منذ سنواتها (ماري باشكوتسيف) التي يطلق عليها «نسي» .

والحقيقة ، لا يمكن للمرء أن يكون شيئا آخر بالنسبة لنفسه بصورة موضوعية ! ولا يستطيع أن يعيش الازدواج إلا في العلم . الغيبة هي التي تجيد هذا العلم لدى الطفلة . ولكن المرأة تجد

عونا كثيرا في جهودها لمناصرة ذاتها والالتقاء مع نفسها بسحر المرأة ،  
بعكس الرجل الذي يحس بنفسه كغاية وأبى أن يتعرف على ذاته في  
الصورة الجانبة . والمرأة الفارقة في صورتها المنعكسة تهيمن وحدها  
على الزمان والمكان وتحس ان لها كل الحقوق على الرجال .

ولئن كانت المرأة اداة الازدواج المفضلة فانها ليست الوسيلة  
الوحيدة ، بل هناك ايضا الحوار الداخلي . والمرأة التي تعالي الوحدة  
والسأم تتسلى بتحويل شخصها الى حلم . والمعلوم ان النساء يتسكن  
بذكرات الطغاة نسكا كبيرا لانهن كن آنذاك يشعرن بسلطة الأب  
كما كان يظن مباحج الاستقلال .

وليس من حاجة الي ان تكون المرأة جميلة كيما تعبر عن شخصيتها  
في زينتها وفي باطنها وتتناسب الصورة في لباسها وامساتها مع ذكاء  
المرأة وعنادها ومدى الخفافيا . واذا لم تصور المرأة في نفسها الجمال  
والسمادة فانها تختار شخصية الضحية .

وهناك نساء كثيرات يؤمن بتفوقهن ولكنهن عاجزات عن ابرازهن  
امام اعين الناس ، فيدفعهن الطموح الى الاستعانة برجل يقنعهن  
بمواعين . اتهم يلتفتن اذن الى الرجال المشتهين بالشهرة آملات  
بالتواجد معهم اذا ما صرن ملهفات لهم .

مثال ذلك (مايبل دودج) في علاقتها مع (الورلس) .

«كنت اريد ان اسحر فكري وان ادفعه الى التاج بعض الاشياء...  
كنت بحاجة الى نفسه وارادته ومخيلته المبدعة ورؤيته للنيرة . كان ينبغي  
لي السيطرة على دماغه كيما اصبح سيده لهذه الوسائل الجوهرية» .

كما أن (جورجيت لوبلان) كانت تريد أن تكون للشاعر ماثرا لك  
«غذاء» ولهيباء، ولكنها كانت تريد أيضا أن ترى اسمها مسجلا على  
كتاب الشاعر .

إن عاشقة ذاتها لا تتحمل رؤية العرائس الآخرين عنها . فإذا نأكفت  
إنها ليست معبودة فسرعان ما تقترض ألها مكرهة .

على أن مهولة عشق الذات تجري على حساب الحياة الواقعية ،  
وإذا ما صارت المرأة فريسة لنفسها فلها تفقد تمسكها من العالم للموسم ،  
ولا تحرم على إقامة أية علاقة واقعية مع الآخرين . ولما كانت الصورة  
غير موجودة فإن عاشقة ذاتها تتعرض إلى فشل جذري . ومن الخطأ  
الاعتقاد أنها تتحرر من التبعية ، بل على العكس ، تزداد عبوديتها .

## الفصل الثاني

### العائقة



ليس للحب ابدا نفس المعنى الى كل من الجنسين وهذا من اسباب سوء التفاهم الخطير الذي يتصل بينهما . وصدق (بيرون) بقوله ان الحب بالنسبة الى الرجل احد المشاغل فقط لما بالنسبة الى المرأة فهو حياتها بالذات .

فما تدله الرجل في حبه فان المرأة المحبوبة بالنسبة اليه تبقى قيمة من بين قيم اخرى في حين ان الحب بالنسبة الى المرأة خضوع تام لمصلحة سيد .

والحقيقة ان ذلك لا يعبر عن قانون طبيعي ، بل ان الاختلاف وضعهما هو الذي يعكس في المفهوم الذي يتناه الرجل والمرأة عن الحب . فالمرأة تعلم في الاتحاد والتنازع مع كائن انسى وليس امامها من مخرج سوى ان تذوب جيدا وروحا في الشخص الذي حدد لها على انه المطلق والجوهري . ولما كانت مقيدة بالتبعية فالأفضل لها ان تخدمها من ان تطيع طائفة . وتصل بها الهلثة في ارادة العبودية حد اعتبار هذه العبودية كتعبير عن حريتها . ويصبح الحب دينا وعبادة بالنسبة اليها .



تسنى الفتاة الساذجة دائما ان تلطخ الحبيب جوهر الرجل . الا ان ما يحدث غالبا هو ان المرأة لا تنجح في تحويل اي رجل الى اله .

ان المرأة لا تستطيع التوفيق للنسجم بين الشبق وعشق الذات الا بالحب ولكن التضاد بينهما يجعل تكيف المرأة مع مصيرها الجنسي صعبا جدا . فالتحول الى متاع جنسي ، الى فرسة ، يناقض ما تكنه المرأة من عبادة لذاتها . لذلك يصطفي بعض النساء البرود الجنسي طنا فمنهن من يحافظن هكذا على سلامة ذاتهن ، في حين ان البعض الآخر يفصلن بين اللذات البهيمية والمتاع السامية .

وتحس العاشقة برفية ولهن في تخطي حدودها الخاصة لتصبح غير محدودة الاثاق بفضل شخص آخر تفتح امامه ابواب الواقع اللاتماهي . انها تستسلم للحب في الاول كما تنفذ شهواتها ولكن التناقض الكامن في الحب المتعبد هو ان العاشقة ينتهي بها الامر الى انكار ذاتها .

ان الهدف الاخير للحب البشري كما للحب الصوفي هو التوحد مع ذات المحبوب . ولما كان قياس القيم وحقيقة العالم في وجدانه ، فليس كافيا ان ان تخدع المرأة ، بل انها تحاول ان ترى بعينيها .

الحب الصحيح ينفي له ثقل التواضع والحدود في شخص المحبوب ولا يدعي ان يكون سوى علاقة انسانية . اما الحب المتعبد فيكسب شخص المحبوب قيمة مطلقة ، وهذه كذبة اولي تفضحها انثار الآخرين . وحتى لو كان جدرا باعق حب فلان حقيقته انسانية وطينته بشرية .

ان رفض تطبيق القياس البشري على شخص المحبوب يفسر كثيرا  
من تصرفات النساء المتناقضة . فما دام العيب محبوبا فانه يرفع الى  
مرتبة الالهوية ومتى كتبت المرأة عن عبادته عملت الى ذمته بالاقلام .  
لا تكاد المعبدة تدوب في شخص المحبوب حتى تعمل على انتحال  
ذاتها . انها تستسلم له بكليتها ولكن ينبغي له ان يكون مستعدا  
بكليته ليستلم هذه الهدية .

الا ان المرأة لا تقبل حقا ان يكون الرجل سجينها ولا شيء سوى  
ذلك ، وهذا من المتناقضات المؤلمة الكامنة في الحب . لان الاله اذا سار  
سجينا نعى من الوهية .

وتبدل الماشقة الحظرة الجهود كيما تحول هوى عشيقها الى حنان  
وسدافة او تحاول ان تربطه بوشاح شينة كالقطيل . ولا يعتبر فشل  
الحب المطلق تجربة خصية الا اذا بقيت المرأة قادرة على التحكم بنفسها ،  
مثل هذه الماشقة التي اقدت نفسها باهتمامها بإدارة احد الأديرة ، اي  
انها بنت نفسها كيانا مستقلا .

يجب ان يؤسس الحب الصحيح على الاعتراف المشترك بوجود  
حريتين دون ان يتخلى اي من الحيين عن نزوعه الى الارتقاء .

يوم تستطيع المرأة ان تحب بقولها لا يضعفها ، لا تهوب من ذاتها  
بل لتكتشف نفسها ، في ذلك اليوم يصبح الحب للمرأة كما للرجل ،  
يتبوع حياة لا مصدر خطر قاتل . وفي انتظار حدوث ذلك ، يلخص  
الحب اللعنة التي تحيق بالمرأة العجوبة في العالم التسوي والعاجزة عن  
كفاية نفسها بنفسها .

## المصل الثالث

### المتصوفة

كتب على المرأة الحب كغاية قصوى ، وحينما تحب رجلا ما فالها تبحث فيه عن الآلهة . فإذا حالت الظروف دون ان تحب حبا انسانيا او صدمت في قلبها او كانت كثيرة الالحاح فالها تبيل الى عبادة الالهوية في الاله نفسه . والنساء بمكس الرجال ، يعشن لعفتهن الصوفية بصورة عاطفية لا فكرية . والمحبوب يبقى غالبا ولكنه يتصل بعبادته عن طريق الرموز المبهمة . وليست المرأة في حاجة الى الرقبة واللمس كما تحس بال حضور الى جانبها ، ويتنازع الحب الانساني والحب الالهي لا على ان الحب الثاني تصعيد للاول ، وانما لان الحب الاول هو ايضا وثبة نحو السامي ، نحو المطلق .

يشاهد لدى كثير من الوردات هذا الخلط بين الرجل والاله . وان ما تصبو اليه كل متصوفة هو بلوغ ينبوع القيم الاسسى . وهي بحاجة احيانا الى الرجل كوسيط نحو السموات ، على ان ذلك ليس ضروريا دائما .

ويعني بعضهم احيانا ان فقر اللغة يضطر المتصوفة الى استعارة المفردات الجنسية ، ولكنها لا تستعير من الحب الارضي الكلمات فقط ، بل تستعير ايضا بعض التصرفات الجنسية ، فيصدر عنها كما

تعب نفسها للرب ، نفس السلوك الذي يصدر عنها حينما تهب نفسها  
للرجل . على ان ذلك لا يظل ابدا من قبة مشاعرها .

لا تقاس قبة التجربة الصوفية بالخرقة المعاشة شخصيا بل بحسب  
اعينها الوضوعية . فالقديسة تبرر طرح مشكفة العلاقة بين الفرد  
والكائن الالهي بصورة فكرية ، ولكنها تشكل استثناء لان الاكثرية  
تقدم لنا صورة نسوية عن العالم والخالق .

ان المرأة تبحث في الحب الالهي ما تشدهه المحبة من حب الرجل .  
والغيب التصوفات لا يكتفين بالاستسلام السلي للاله بل يقبلن  
بكل نشاط على افناء ذاتهن باحترار ولعظيم جسدن . وهذا الاله  
يظهر لهن غالبا في صورة الزوج .

التشوة والرؤى والحوار مع الاله هذه هي الاتيابه ، هذه هي  
التجربة الفنية التي تكفي بعض النساء . الا ان هناك اخريات يشعرن  
بالحاجة الى الاتصال بالعالم من طريق الافعال . وتأخذ الصلة بين  
الافعال والتأملات شكلين مختلفين جدا : فالنساء مثل (جان دارك)  
يعرفن اهدافهن تمام المعرفة وتستنيطن عن بصورة الوسائل ليلولنها .  
وهناك نساء لا يضمن الا ان يملن شيئا ما ، مهما يكن هذا الشيء .

ان كل هذه الجهود لتحقيق الخلاص المردي لا يمكنها في حد ذاتها  
ان تؤدي الا الى القنصل . فالمرأة اما ان تتصل بشيء غير واقعي او انها  
تطلق علاقة غير واقعية مع كائن واقعي ، لذلك تبني حريتها خاضعة  
للتسمية . وليس هناك سوى طريقة واحدة لاستكمال هذه الحرية  
استكمالا صحيحا وهي ان تقذف بها في اعمال ايجابية ضمن المجتمع  
الانساني .

# نحو تحمُّر المرأة

القسم الرابع

## الفصل الأول المرأة المحررة

لم تعد الطيبة القوائيم المذرية تتضمن نصوصاً تلزم المرأة المتزوجة ببطاقة زوجها والولاء له . كما أن كل مواطنة أصبحت تستع بحق التصويت . لكن هذه الحريات المذرية تبقى خيالية إذا لم يصحبها استقلال المرأة الاقتصادي ، وما دامت المرأة تعيش على عاتق الرجل — سواء كانت زوجة أو محظية — فإن بطاقة الانتخاب لا تكفي لتحريرها من سيطرة الرجل ، وإذا كانت العادات في الوقت الحاضر تفرض عليها التزامات أخف وطأة مما كانت عليه في الماضي ، فإن هذه الحريات السلبية التي حصلت عليها لم تغير حالتها ووضعيتها بصورة جذرية ، فهي لا تزال تعيش ضمن نظام التبعية للرجل . وقد قطعت المرأة خطوات واسعة من المسافة التي تفصلها عن الرجل بفضل العمل ، الذي يستطيع لوحده أن يضمن لها أن تستع بحرية واقعية ملموسة وأن تستع بالنتيجة بسؤالياتها بواسطة الاموال والحقوق التي تملكها ، وتحس بشخصيتها المستقلة . الا انه يجب علينا ان لا نعتقد ان مجرد حصول امرأة على حق معنوي ، ومزاوتها مهنة من المهن يشكل بعد ذاته تحريراً كاملاً لشخصية المرأة : ان العمل في يومنا هذا لا يعني مطلقاً الحرية ، ولا يمكن

للرأفة ان تحرر تحررا تاما بواسطة العمل الا حسن المجتمع الاشتراكي ، لان اظنية العمال في المجتمع الرأسمالي ، مستثرون من قبل رأس المال . كما ان البيئة الاجتماعية من جهة ثانية لم تتغير تغيرا جذريا نتيجة لتغير شروط حياة المرأة المصرية . ان هذا العالم الذي كان يعتبر ملكا للرجال ، لا يزال يحافظ على الشكل الذي طبعه به هؤلاء ، ويجب ان لا يغيب هذا الامر عن اذهانتنا حين نتالح قضية ممارسة المرأة للعمل ، وتأثير ذلك على اوضاعها الاجتماعية . وقد اكد اظنية عاملات مصانع (ربو) للسيارات تفضيلهن البقاء في المنزل عوضا عن العمل خارجه ، كما يجب ان نلاحظ ان هؤلاء العاملات توصلن الى استقلالهن ضمن طبقة مشطهدة اقتصاديا ، وان اعمال المرأة خارج البيت لا تعفيها من القيام باعمالها المنزلية . وفي يومنا هذا لا تستطيع اظنية النساء العاملات التعرّب من الحكم النسوي التقليدي ولا تلقين من المجتمع او من الأزواج اية مساعدة ، لكي يصبح حقيقة مساوات للرجال ، ولا يستثنى من ذلك سوى النساء اللواتي يؤمن بعقيدة سياسية وتنظّم في صفوف النقابات ، الامر الذي يؤدي الى تحررهن تحررا كاملا من سطوة الرجل .

هنالك عدد كبير من النساء في يومنا هذا ، يستعن بعزّة الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي ، من خلال ممارسة احدى المهن . والا حادّث تدور في المجتمعات عن امكانيات المرأة التي تنتمي الى هذا النوع من النساء ، وعما سيكون عليه مستقبلها . وعلى الرغم من انهن لا يشكلن سوى اقلية ضئيلة بين النساء فان دراسة اوضاعهن بشكل خاص هو امر هام بمحد ذاته ، لال المناقشات والمساجلات بين انصار واعداء تحرر

المرأة تدور حولين . يؤكد المادون للمرأة المتحررة انها لا تتج في حياتها اي شيء له قيمة او أهمية ، وانها تجد مشقة كبيرة في التوصل الى توازن نفسها الداخلي . اما انصار المرأة فانهم يبالغون في النتائج التي حصلت عليها ويتغامون عن قلقها وانسحابها في حياتها الجديدة . والواقع انه ليس هنالك ما يدل على ان المرأة لم تغير الطريق القويم ومع ذلك فانها لم تشعر بعد طمأنينة وسلام في حياتها الجديدة : انها في منتصف الطريق ، لان المرأة التي تتحرر اقتصاديا من رابطة التبعية نحو الرجل لا تجد نفسها على الرغم من ذلك في شروط اخلاقية ، واجتماعية ونفسية مماثلة لشروط الرجل . والواقع هو ان الطريقة التي تمارس فيها المرأة مهنتها تتأثر بمجموع شروط حياتها . وهي حين تباشر حياتها كرائدة لا تختلف وواعها نفس الماضي الذي يخلفه القس ورامه ، كما ان المجتمع لا ينظر اليها نفس نظره الى القس ، فالعالم يفتح امامها في شروط تختلف عن شروطه وصفتها كأمراة يفرض عليها أساسا مستقل مشاكل خاصة .

\*\*\*

ان الامتياز الذي يتمتع به الرجل ، والذي يشعر به منذ طفولته ، هو ان ميله لان يكون انسانا بشريا مستقلا لا يتعارض مطلقا مع مصيره كذكر . اما المرأة فان المجتمع يطلب منها ان تكون شعبة وفريسة ، لكي تكتمل عناصر انوثتها ، وهذا يعني بالنسبة لها : التخلي عن مطلبها في ان تكون انسانا حيا يتمتع بالسيادة . وهذا الخلاف الذي يميز بشكل خاص حالة المرأة المتحررة ، فهي ترفض ان تقتصر على القيام بدور الانثى لانها لا تريد ان تنقص من شخصيتها ، لكن تخيلها عن هذا الدور



ينقص من قدرها كأمراة . ان الرجل هو السائل بشري له جنس خاص ، ولا يمكن للمرأة ان تكون بالتسايل فردا كاملا مساويا للرجل الا اذا كانت هي نفسها شخصا بشريا لها جنسها الخاص ، فالتخلي عن نوتتها يعني التخلي جزئيا عن مسايتها . وكثيرا ما لرى انهاء المرأة يوجهون التوم اليها ، اذا كانت متحررة ، لانها تحبل جنابها وزينتها ونوتتها . لكنهم لا يتورعون عن تقديم التصح للمرأة التي تطمح في الاستقلال فيقولون لها : اذا اردت ان تحسلي على المساواة معنا ، توقفي عن طلاء وجهك بالمساحق ، واطفرك بختلف انواع الاسبغة . ان هذه النصيحة الاخيرة هي سخيفة جدا بعد ذاتها لان مفهوم الانوثة تعرضه العادات والتقاليد دون ان يكون لها اي مجال للاختيار ، وقد يتطور هذا المفهوم فيلتحق بعض الشيء عن القواعد التي يتبعها الرجل : فطى الشاطيء يصبح السرورال زيا نسائيا . لكن هذا لا يغير في الواقع من طبيعة الاشياء لان المرء لا يتسرع بالحرية في تعديل طراز حياته كما يشاء ولا شك ان قيمة المرأة تقل جنسيا اذا لم تطمح للقواعد المألوفة ، وهذا يؤدي بالتالي الى فقدانها لثقلها الاجتماعية ، لان المجتمع الذي تعيش فيه يأخذ بعين الاعتبار القيم الجنسية ، وتخلي المرأة عن صفاتها الانثوية لا يعني آليا حصولها على ميزات وسلالحيات الرجل ، ولو انها لجأت الى التسكر في زي وشكل الرجل لما استطاعت ان تغير من طبيعتها كأمراة لانها تبقى في مفهوم وعرف الناس امرأة متسكرة . ولقد استقرت الامور على ان المرء الذي يخالف قاعدة تفرضها العادات والتقاليد يصبح متحررا نائرا على المجتمع وان المرأة التي ترتدي ثيابها بشكل حريب يلمت الانظار ، تكذب حين تؤكد بكل بساطة انها تسبح ميلها الفطري

لا اكثر ولا اقل لانها تعلم بان المرأة التي تسبح ميولها وتقايرها دون الانتفاذ الى القواعد التي استقرت عليها مفاهيم الجنس ، هي امرأة لغربية متسرقة عليه وبالعكس فان المرأة التي لا تود ولا ترغب في الظهور بشكل مشر لحرب تكون قد خضعت للقواعد المشتركة المألوفة . وباستثناء بعض الحالات فانه من الخطأ اختيار موقفه التحدي تجاه العادات والتقاليد ، لان من يقدم على ذلك يستهلك وقته وقوته دون ان يهدى في الطب الاحيان ، ولذلك فان المرأة التي لا ترغب في صدم مفاهيم الناس والتي لا تريد ان تفقد منزلتها الاجتماعية ، ان هذه المرأة يجب عليها ان تعيش حياة بنية النساء وفي الطب الاحيان لا تستطيع ان تنجح في عملها الا اذا تبعت هذا الاتجاه .

ان المرأة تعلم بان الناس يحكمون عليها ويحرمونها ويغيبون فيها من خلال زيتها وثيابها نفسها تؤهلها منذ البداية لان نظرها يظهر العاجزة : فجواربها تنزق وكعوب اهديتها تتأكل بسهولة وفساتينها ذات الالوان القاتمة تسبخ ومع ذلك فانها مضطرة الى معالجة ذلك بنفسها ، وتصلح ثيابها كي تستطيع ان تظهر بشكل لائق امام الناس . وحين تعود المرأة العاملة او الطالبة مساء الى بيتها فانها لا تجد الراحة بل تضطر في الطب الاحيان الى الانصراف الى تحضير زيتها ومظهرها لليوم التالي ، ولا شك انه يوسمها اذا كانت تحصل على ارباح طائلة ان تتلقى هذه المشاغل الملحة للتنمية لكنها مضطرة مقابل ذلك الى ان تظهر بانها اكثر تقيدا فتضج وقتا طويلا في شراء حاجياتها وفي الذهاب الى دور الخياطة والازياء . وتعرض التقاليد على المرأة كذلك ، حتى ولو كانت عزباء ، بعض الاهتمام بحياتها الداخلية فالوظيفة الذي يعين

في مدينة جديدة يقطن في الفندق بكل سهولة بينما نسمي زميلته في ان  
تسكن دارا خاصة بما يتوجب عليها العناية بها وعدم اهدائها .

الا ان المرأة لا تخصص هذه الاوقات الطويلة من حياتها للعناية  
بجمالها ومنزلها تلبية لرغبة المجتمع وحسب ، وانما تفعل ذلك لرضاء  
لنفسها والشعور على الدوام بصفتها كأمرأة . ولانها لا يسكن ان تعيش  
بهذوه اذا لم تجمع بين حياة عطفا الذي اختارته مع حياتها كآتي ، هذه  
الحياة الاخيرة التي استعدت لها في طموحاتها بمن شبابها ، نفذها املاتها  
الترسيبية ، انها تريد ان تعرض نفسها وتسخر جميع الناس المحيطين  
بها . لقد كان الحصول على بيت خاص بها ، الشكل البدائي من  
الاستقلال والتحرر وهي الآن لا تود التخلي عنه بعد ان حصلت على  
حريتها في مجالات اخرى لانها تعلم بانها تستطيع ان تأوى الى هذا  
البيت حين يتناها القلق والاضطراب في عالم الذكور . امينة على التقاليد  
الانثوية ، تدوم المرأة العاملة على القيام بجميع الاعباء المنزلية ، انها  
تريد ان تعيش في وقت واحد حياة الرجل وحياة المرأة ، وبذلك تتمدد  
مشارفها وتضاعف متاعها وجهودها .

وإذا كانت المرأة تأمل في ان تبقى مشبعة بصفات الانثوية فانها  
تود كذلك ان تحتك بالحب الخشن مع اكبر حظ لها في النجاح ، ومهما  
تسعت المرأة العاملة بالثروة والشهرة فان مجرد ممارستها نشاطا مستقلا  
يناقض انوثتها ، وانها لتعلم ذلك تمام العلم . ان المرأة المستقلة  
- وبصورة خاصة المثقفة - تعاني من مركب النقص بصفتها انثى ،  
اذ ليس لديها الوقت الكافي لتخصيصه الى العناية بجمالها ، ومهما اتبعت  
لصالح الاختصاصيين فلن تكون في ميدان الالاقة سوى مجرد هاوية .

انها تحاول على الدوام ان تحصل على اعجاب الرجل لكنها تفشل في اغلب الاحيان وهذا الفشل يولد في نفسها شعورا بالمرارة والتقص ، فترتكب اخطاء تتناقض اخطاء المرأة في سن اليأس ؛ فهي تحاول ان تتجاهل قوتها الذهنية كما تحاول المرأة المشرفة على الشيخوخة ان تتجاهل سنها ، فتراعا لولدي ازياء العتيبات الصغيرات ذات الالوان الزاهية ، وتبالغ في الكلام باللهجة الصيادية التي تستغرب كل شيء ، وقد تلعب كالأطفال وتغفر كالمصالحير وتترثر دون كفل او ملل .. لكنها تبدو في ذلك كالمبتذلات المبتذلات ... وانها تتحس بذلك وتستاء من نفسها ، ولذلك تبدو على مظهر الوجه البسيط ، من وقت لآخر لمحات خاطفة من الذكاء الحاد ، فلا تثبت الشفاء البرينة الممدودة من ان تنقص . ولا شك في ان الصعوبات التي تلاقيها المرأة المثقفة في الحصول على اعجاب الرجال يعود الى انها ليست قرصة لرغبة اثاره اعجاب الرجال بها فحسب ، ومهما كانت هذه الرغبة قوية لديها فانها لا تثبت من احراق نفسها ، لانها ما ان تحس بتسرفها السخيف الغريب حتى تستاء من عبوديتها وتحاول ان تنتقم باستعمال اسلحة الرجال ، فتتكلم عوضا عن ان تصني وتشرح افكارها بكل اسباب وتعارض معادلتها عوضا عن المرافقة على آرائهم ، وتحاول التغلب عليهم .

مهما يكن الامر فان الرجال بدأوا يسفون بالشروط الجديدة لحياة المرأة ، على انه واقع لا بد منه . واخذت المرأة تشعر بالراحة بدورها لانها لم تعد محكومة عليها بالبقاء في اوضاع التبعية . ومع ذلك فان هذا النجاح - الذي يشكل منذ الآن قلما محسوما نحو وضعية التوازن - لا يزال غير مكتمل العناصر . فحياتها الجنسية

والعاطفية تصادف حواجز نشئ ، وهي لا تزال تجد صعوبة أكثر من الرجل في إقامة العلاقات التي تربطها مع الجنس الآخر ، على أنه يجب أن لا يتبادر إلى الفطن أن المرأة الناجية التي لا عمل لها كالأزوجة أو المحطية تستع بانتياز في هذا المجال ، لأن حقوقها هي الأخرى مضمومة لأنها اختارت النضال عوضاً عن الاستسلام . أن جميع مشاكل الحياة بشكل جنسها لكن المصائب تجابه المرأة المستقلة بشكل أشد وضوحاً تجد حلاً لها في الموت ، ولا أن المرأة التي تحاول أن تعيش بحرية هي أشد إقصاءً واضطراباً من الأخرى التي تدفن أولادها وولياتها وتستسلم لصيرها الذي يفرضه عليها مجتمعها .

تحتاج المرأة العاملة التي تبذل الجهود الكثيرة وتحمل المسؤوليات الضخمة ، والتي تعرف معنى النضال ضد مقاومة العالم الخارجي لها ، تحتاج هذه المرأة لا إلى إشباع شهواتها الجسدية فحسب وإنما إلى الشعور بالهدوء والسكينة اللذين تجلبهما الفاضلات الجنسية السعيدة . غير أن هنالك أوساط اجتماعية معينة لا تعترف لها بهذه الحرية وقد تتعرض إذا مارسها إلى فقدان سمعتها ومهنتها ، وحتى في أحسن الحالات - حين لا يكون لرأي الناس أية أهمية - فإن المرأة لا تتساوى مع الرجل ويعود السبب في الخلل الحائزين إلى التقاليد والمشاكل التي تثيرها الطبيعة الجنسية الخاصة للمرأة .

يستطيع الرجل بكل سهولة أن يطفىء غلاء جسدي دون أن يتولد عن ذلك أية نتائج ضارة . وقد طالب في الماضي عدد قليل من النساء بفتح محلات عامة لمن أسوة بالرجال ، وفي إحدى القصص المسماة (رقم ١٧) اقترحت المؤلفة تأسيس بيوت تفتحها اليها النسوة

تصرف عاطفتين الجنسية بواسطة (رجال - ناكس) ، ويظهر ان مؤسسة من هذا النوع وجدت في مدينة سان فرانسيسكو ، وكان يؤمها بنات المحلات العامة فقط ، اللواتي كن على غاية السرور لانهن يدفعن ثمن ليهوهن وتسلين ، وقد انفلتت هذه المؤسسة نتيجة لضغط حياء تلك الفتيات . وبالإضافة الى كون هذا العمل خياليا وغير مرغوب فيه ، فانه سيقتى في حالة تطبيقه نجاحا ضئيلا ، فقد رأينا ان المرأة لا تحصل على (التفريخ) الجنسي آليا كما هي الحالة لدى الرجل ، اما العمل الذي ينحصر في التفتيش عن رفيق ليلة او ساعة في الشوارع - يفرض ان المرأة تقبل الاقدام على هذا الامر - فانه اكثر خطرا بالنسبة اليها من الرجل ، لان الامراض التناسلية هي اشد خطورة لديها كما انها لا تستطيع ان تتلافى الخطار الحمل والولادة الخ .. غير ان اختلاف القوة الجسدية يشكل العقبة الكدواء في العلاقة من هذا النوع بين الرجل والمرأة ، فليس للرجل ان يخاف شيئا من المرأة التي يصحبها الى بيته ، لكن الامر على خلاف ذلك بالنسبة للمرأة التي تسبح باذخار رجل غريب الى بيتها . وقد حدثني البعض عن قصة امرأتين شابتين ذهبتا في زيارة خاصة لباريس ، والتمتع بذائذ الحياة ، وبعد ان قامتا بجولة ليلية في احياء المدينة ، وجهتا الدعوة الى شابين فانتين من حي مونمارتر لتناول الحياء في بيتها . وقد سلب الشبان متاعهما في الصباح بعد ان تعرضتا للعنف والتهديد بالقتل . وقد لمي الى حالة اخرى تعطينا صورة واضحة عن الخطار مثل هذه المغامرات ، وهي قصة امرأة في الأربعين من عمرها ، مطلقة من زوجها ، كانت تعمل بجد واستمرار لاعالة اولادها الثلاثة وابوها المسنين . كانت لا تزال جميلة

جذابة ولم يكن لديها مطلقا الوقت الكافي لإقامة علاقات اجتماعية مع الناس ، ومع ذلك كانت غرائزها تدفعها الى القيام بعمل ما وكانت تعتبر انه من حقها كالرجل تماما ان تلبس ثداء غرائزها وتطهر ظاهرا . وكانت تتجول في بعض الليالي في الشوارع مفتشة عن رجل يشج رغباتها ، الا انها فوجئت في إحدى المرات بعد ان قضت ساعتين مع رجل في غاية بولونيا ، ان رفض عشيقها السماح لها بالذهاب الا اذا اصطحبها معها وعنوانها وطب ان يراها مرة ثانية وان يبيت معها على الدوام ، وحين رفضت شرها بطلب ثم تركها مشنة الجراح بين الموت والحياة . وقد تلجأ بعض النسوة الى اختيار عشيق يعيش معهن مقابل اعانه والاطمان عليه ، لكن هذه الطريقة لا ترضي اكثر الرجال لتعارضها مع رجولتهم ، كما انه من الصعب على المرأة اذا لم تكن مستعدة ان تفصل عواطفها عن رغبتها الجسدية .

وهكذا نجد ان المرأة المتحررة منقسمة على نفسها بين مصالحتها المهنية ومصيرها التقليدي كأمرأة ، وهي تجد مشقة كبيرة في الوصول الى وضعية التوازن ، واذا اتيح لها الحصول على هذا التوازن ، فانها تكون قد دفعت الثمن لسلسلة من التنازلات والتضحيات ، وعانت حالات مخيفة من التوتر العصبي العائم . وفي مثل هذه الامور يجب ان نقف عن اسباب افعال المرأة المستر والتهيار اعصابها التي لا تعود حتما الى اسباب فيزيولوجية . وقد تساءل المختصون منذ زمن طويل عن الدور الذي تلعبه البنية الجسدية للمرأة في حياتها ، وبصورة خاصة هل تشكل الدورة الشهرية عائقا امام المرأة في سبيل حصولها على استقلالها وتحريها ، لكن التحقيقات دلت على ان اكثرية النساء اللواتي يتزن

بالتموق ، لا يظن أية أهمية على الدورة الشهرية لأن العنصر المراه  
الى عملها وتفرقتها فيه يجعلها تنسى معاذير الدورة الشهرية وتقبل من  
اعتبتها ، وهذا لا يعني ان متاعب المرأة الناتجة عن بنيتها الجسدية هي  
متاعب خيالية ، بل هي حقيقية كالحالة التي نعيشها . لكن حالة المرأة  
لا تتبع من حالتها الجسدية وانما تتكيف نتيجة لاضاعتها الاجتماعية  
فصحتها وبنيتها لا تضربها في عملها حين تجد المكان اللائق بها في  
المجتمع بل ان العمل يساعدنا على العكس فمن ذلك في الوصول الى  
توازنها الداخلي فيجعلها تنسى متاعبها في فترة مشاطها الهنية .

يجب ان لا تنيب هذه الوقائع والملامسات عن ايمننا حين نحاول  
ان نحكم على مدى نجاح المرأة في ميدان العمل . فهي تباثر مهنتها  
معدبة ففحة نتيجة للاعباء التي تجثم عليها تقليديا بسبب نوثتها . كما  
ان الشروط الموضوعية ليست بمصالحها كذلك : من الصعب دائما على  
القادم الجديد ان يشق طريقه وسط مجتمع معاد له او ينظر اليه نظرات  
الريبة والشك . وقد بين ريتشارد رايت في كتابه (الصبى الاسود)  
كيفه بعد المجتمع الاميركي منذ البداية من طموح الزنوج الشاب وكيف  
يتوجب عليه ان يناضل كي يرتفع الى مستوى المعاملة بالمثل مع البيض .  
كما ان الزوج القادسين الى فرنسا من افريقيا يصادفون صعوبات مشابهة  
للسعوبات التي تصادف المرأة حين دخولها ميدان العمل .

تجد المرأة نفسها ياديء ذي بدء في حالة القفر خلال فترة التحرير .  
ولقد اثمرت الى ذلك قبلا في الفصل المخصص للدراسة حياة الفتاة  
الشابة ، ويجب على الآن ان نعصه بانسهاب . فمن النادر ان تتمكن  
المرأة خلال دراستها واتناء السنوات الاولى الحاسمة لمعارستها المهنة ،



من الاستفادة الاستفادة تامة من فرص عملها في النجاح لان الامرات النسبية التي نكفنا عنها تبلغ ذروتها بين سن ١٨ و ٣٠ وخلال هذه الفترة يتقرر مصيرها المهني . انها لا تستطيع ان تصرف الى امور مستقبلها المهني بسبب الشغلاها بامور اخرى غريبة عن عملها ولذلك فان مردود عملها يظهر ضعيفا كما ان وجود نساء في نفس مستواها الاجتماعي يمتن بدون عمل طفليات على الرجال يضعف محتوياتها . فبعض الرجال ينتج بعض النساء بالثروة دون بذل اي عناء شخصي الامر الذي يغري النساء العاملات على ترك العمل واختيار الطريق السهلة .

ان الرجل يتبع الضرورة الحثية حين يعمل ويكده ليكسب عيشه ، لكن المرأة مضطرة الى تجديد قرارها بالانصراف الى العمل في كل مناسبة لان الفراء الاستسلام الى الراحة والكسل والعيش في كنف الرجل لا يفتك براودها ، وهكذا فانها لا تضع نصب عينها هدف النجاح في عملها والمما تردد وتساؤل في كل مناسبة عن ضرورة ما تقدم اليها . وما يزيد في ترددها ، شعورها بفقدان جزء من اوتيتها كلما توغلت في ميدان النجاح واتهمت في حياتها المهنية . وهذا النزاع المستمر بين الضال للحصول على حريتها المادية ، وبين دوافع الانحاء التي تدعوها للتخلي عن هذه الطريق الصعبة والاستسلام الى مصيرها كأمراة يؤثر على مردود عملها ويضعها في موقف العاجز بالنسبة للرجل الذي تسجم شخصيته مع ضرورات الحياة المهنية التي اختارها .

تخلق شروط الحياة المستقلة في نفس المرأة التي تنحو الى ان تكون امرأة كما يريد المجتمع ، مركب قصص شديد ، وتجميلها اوتيتها

على العكس من ذلك تنك على الدوام في كتابها الهنية . وتكتسب هذه النقطه الاخيرة اهمية كبيرة فقد سرحت بعض الفتيان في سن ١٤ : ١٥ : ١٦ ان الفتيان هم اشد كفاءة بنا ويعملون بسهولة فائقة لا توجد لديها واكثرية الطالبات يؤمن بهذه النظرة لان الاهل والاساتذة يجمعون على تفوق الفتيان . وقد دلت التحقيقات بالفعل على انه رغمًا من تماثل البرامج فان مستوى صف الفلسفة للطالبات اقل بكثير من مستوى نفس الصف للذكور ، وهذا طبعًا باستثناء الحالات الشاذة . تتضافر هذه العوامل وتتضامن وتضفي قوة الغناء بنفسها وتجعلها تؤمن بتفوق الرجل عليها فتشعر بالحب والوصية من الدراسة ويتلاشى من نفسها الميل الى التضال والاطلاع وتنسى لو تستطيع ان تتزوج فتتخي من هذه الحياة المملة السقيمة .

نتيجة لهذه الاهلية تقع المرأة بسهولة بنجاح بسيط في حياتها الهنية ولا تجد في نفسها الجرأة على بلوغ الراتب العليا فتنبدأ بمزولة مهنتها بخبرة سطحية وتضع سريعًا الحدود لطموحها ، ويبدو لها في اللب الأحيان ان مجرد توسلها الى كسب حياتها بجهودها بشكل بعد ذاته ميزة عظيمة لها . لقد كان بوسعها ان تضع مستقبلها بيد احد الرجال وتسلم الى حياة الكسل والارتقاء ، ولذلك فانها بحاجة الى بذل مجهود كبير منها لكي تثار على عليها وكثيرًا ما تخاف من الذعاب بيدها في ميدان الأعمال بسبب شعورها بالضييق من عدم ثقة الناس بها وقدرتها . ان الطبقة العليا الحاكمة في مجتمعاتنا العالي وهي طبقة الرجال تستاء وتعارض منجيه القائمين الجدد من الطبقة الدنيا : فالبيض لا يذهبون مطلقًا لاستشارة طبيب زنجي كما ان الذكور لا يلجأون الى

استشارة الطيبة وبصورة عامة لا يجب الرجال او النساء الوقوع تحت سلطة امرأة ، كما ان رؤساءها في العمل ينظرون اليها نظرة الاستخفاف حتى ولو كانت ذات مقدرة وكفاءة فائزين . يجب على المرأة ان تحصل دائما على ثقة الآخرين الذين لا يسخرونها ابدا في البدء بل يقولون لها يجب عليك ان تثبي كفاءتك ، الا ان مركب النفس المتولد من عدم الثقة يعكس لديها رهود فعل غريبة تعرقل توازنها في عملها ولجعلها تبالغ في اظهار سطوتها وقوتها كما تفعل النساء الطبيبات .

هنالك فئة من النساء لا تطبق عليها هذه الملاحظات لأن مهنتهن لا تتعارض مطلقا مع التوتهن بل تساعدهم على العكس في تقويتها كالمستشارات والراقصات والمغنيات وقد يقين خلال ثلاثة قرون حملات لواء الاستقلال والتحرر في وسط مجتمع معاد ، ولا زلن حتى الآن يشغلن مكانة ممتازا ، ان العالمة الكبرى التي تتسع بها هذه الفئة من النساء هي ان نجاحهم المهنية تساعدهم - كما هي الحال لدى الذكور - في تقيم مزاياهن الجنسية ، فالمثلة مثلا لا تعاني الحيرة من جراء الاتجاهات المضادة المتناقضة التي وجدناها في حياة المرأة العادية بل تجد في مهنتها على العكس من ذلك تبريرا لحياتها لنفسها لأن الزينة والجازية تشكلن جزءا من واجبها المهني .

الا ان هذه الامتيازات النادرة تخفي وراءها عثرات وفخاخا : فعوضا عن ان تدمج المرأة سراتها الرئيسية في حياتها الفنية تنجح في التغلب الاحيان الى الانغماس في السرات وتقدس نفسها وجبالها ، وهذا يعد من كفاءتها ككفائة لانها تكتفي حينئذ بتأثير مظهرها الخارجي . وتعتقد ان مجرد كونها هي هي كافه لا يرازه وانها لا حاجة لبذل اي جهد جدي .

فتتاح في حياتها الخاصة مساوي، الرئيسية وتبدو مرهوبة بنفسها مفرقة  
العسابة ، مثلكه تعتبر العالم كنه مسرحا وهي بطلته .

لوم تعد الفنون التعبيرية في يومنا هذا المجال الوحيد المتفوح أمام  
المرأة للحصول على استقلالها وحريتها . فعدد كبير من النساء يحاولن  
التوجه نحو مجالات الفنون خلافة كاللعب والتمثيل . ان المرأة تعيش على  
عالم من الذكور ولا تتحسس به في شكله العام الشامل الا من  
خلال زاوية خاصة ، فهو لا يبدو لها مجسومة من الوسائل والطاقم  
وانما مصغرا للتأثرات والانفعالات ، مثبئة وضعية السلبية والرفض ،  
فلا تحرق المرأة على الاندفاع نحو العالم الحقيقي بسبل تكفي  
بالاحتجاج عليه .

انها تشهد من خلال الطبيعة صورة روحها وتنتسبم الى الاحلام  
محاولة ان تصل الى نفسها وان تكتشف شخصيتها وهي لا تستطيع  
ان تحقق كل ذلك الا ضمن نطاق عالم الخيال ولذلك تشعر بالحاجة الى  
التعبير عن نفسها فتراهما تلجأ الى الاحاديث الطويلة ومحاولة الكتابة  
وتحرير المذكرات الخاصة .

لكن الشروط نفسها التي توجه المرأة نحو الفن الخلاقة تشكل  
امامها عوائق يصعب عليها في اغلب الاحيان تخطيها فهي اذا قررت  
الانصراف الى الكتابة والرسم لاملء فراغ حياتها ، تبعت حينئذ  
محاولاتها لادوية ولوحاتها الفنية - (نتاج النساء) وهذا يعني انه  
انتاج متوسط لا يبلغ مطلقا مراحل الاندماج . والواقع ان المرأة تصرف  
الى الرضا والقلم في فترة من اليأس لتعويض الفراغ الحاصل في  
حياتها . لكن الاوان يكون قد فات فلا يصبح حينئذ سوى عابرة في

فنها لا محترفة وحتى لو تيسر لها ان تبدأ حياتها الفنية او الادبية وهي شابة من النادر ان تعتبر فنها عملاً جديداً ، وكما تعودت في سفرها على الخداع والتزييف والمداعنة فانها تفعل نفس الشيء في حياتها الفنية فتكتفي بالمظهر الخداع وتصلح للمحتوى الابداعي الخلاق .

من الطبيعي جدا ان تسمى المرأة للخلاص من هذا العالم الفني لا يفسها وتجاهلها لكنه ما يدور للاسف انها لا تجد في نفسها الجرأة للتعبير عن شخصيتها كي يفعل الرجال الكبار امثال (الكار الان بو) .  
وعنالك اسباب عديدة تبرر هذا التصرف لان اثاره الاعجاب تحتل مركز الثقل في حياتها ونتاجها الخوف دائما من ان يكفه الرجال عن الاعجاب بها كأمراة اذا انصرفت الى الكتابة . ان الكاتب الحقيقي يتصف بقول الصدق بصراحة تقرب من الفضايح في بعض الأحيان ، والجديد يعتبر دائما مثارا لقلق وتخوف الناس ولذلك فان المرأة التي لا تزال منهشة مزهوة بقبولها في عالم الفكر والن الذي هو عالم الرجال ، تبقى عجلة منكشة على نفسها لا تجرأ على ابتكار شيء جديد وكأنها تسود الحصول على القفران بسبب اقتحامها ميدان الفن بتواضعها .

ان الفن والآداب والفلسفة هي محاولات لاقامة العالم على دعائم الحرية الانسانية ، الحرية المبدعة الخلاقة ، ولا شك انه من الواجب على من يدعي المساهمة في مجالات الابداع ان يحرر نفسه قبل كل شيء من وطأة العادات والتقاليد والثقافة ومن المعترف به ان القيود التي تفرضها التربية والعادات على المرأة تعد كثيرا من قدرتها الابداعية .

لا شك ان الفتاة تخرج لوحدها في هذه الايام وتساخر وتنتزه

منفردة في أي مكان يروق لها لكنني أوضحت من قبل كيف يكون الشارع عدائيا لها ، فهي كل مكان ترمقها العيون وتتظرها الأيدي ، وسواء تهاجت في مشيها أم سرعت الخطى أم اشعلت لفة تبغ على سطح احد اللقاعي أو ذهبت الى السينما فانها بحاجة الى الظهور بظهور العذر لكي يحترمها الناس .

كل شيء يدعوها الى الاستسلام لسيطرة الآخرين وبصورة خاصة في ميدان الحب . الا انه يحدث ان يلعب الفشل في هذا الميدان دورا هاما في حياة المرأة : فانعزال اميلي بروتي هذا الذي اناح لها كتابة قصة عطية عيفة لانها لم تكن تنتظر المساعدة الا من نفسها لعام الطيبة والقدر . وروزا لوكسمبرغ كانت قبيحة لدرجة لم يكن هنالك ما يدفعها الى عبادة نفسها فتصبح فرسة للرجال ولذلك لبغت منذ عدايتها وكانت على الدوام روحا ومشعلا للحرية .

ان الرجال الذين تدعوهم الكبار ، هم هؤلاء الذين خطوا على اكتافهم بطريقة او بأخرى تحمل العالم واستطاعوا ان ينجحوا في ذلك ، الامر الذي لم تقعه اية امرأة في وقت من الاوقات . ولكني بنظر الانسان الى العالم كأنه عالم ، ولكني يستطيع ان يجد في نفسه الكفاءة لتحمل منية اعماله واخطائه ومنجزاته ، يجب ان يكون متصيا الى طبقة اصعب الاستيوار ، الى طبقة هؤلاء الذين يسكنون زمام القيادة لوحدهم : الرجال . لقد تجسد الانسان حتى الآن في صورة الرجل لا في شكل المرأة ، ومن المعروف ان هؤلاء الاشخاص الذين يريدون لنا كمثل اعلى والذين نسبهم المبالغة ، هم هؤلاء انفسهم الذين حاولوا ان يلبسوا بواسطة حياتهم الخاصة مصير الانسانية جمعاء . هل كان بإمكان

(فان غوغ) ان يولد امرأة ! وهل كان بإمكان هذه المرأة ان ترسل في بعثة الى بلاد (البورتاج) تتعر بطرس وشقاء الانسان وكأنها جريسة ارتكبتها بنفسها ! وهل كان يوسعها ان ترسم هذه اللوحات العبقريّة الرائعة ! لا اعتقد انه كان يوسعها ان تفعل ما فعله (فان غوغ) ، وهذا دون الاخذ بحسب الاعتبار طراز حياة الفنان الخاص والعماله وتردده على المقاهي والمجلات الموسميّة ، كل هذه الاشياء التي كانت تغذي فن فان غوغ التي لا يسكن للمرأة ان تقدم عليها .

مرة اخرى تعود للقول بان ضعف المرأة لا يعود الى اسباب فطرية في طبيعتها ، وانما الى حالتها العامة التي يفرضها عليها المجتمع منذ حداستها حتى اواخر ايامها . وكل ما يقال عن انها لا تتسع بالفكر الخلاق المبدع . ينبع من خيال اعداء تحرر المرأة .

لقد بدأت تباير ولادة المرأة الحرة تلوح في الافق ، وسيكون بوسعها حين تحصل على حريتها التامة ان تثبت بانها لا تقل قدرة وابداعا عن الرجال .

وقد لا يكون اكيدا ما يقال بان (عالم افكارها) سيختلف عن عالم افكار الرجال ، لانها تستل بهم حين تحاول الحصول على حريتها ، لكنه اصبح من المؤكدة ان المجتمع كبح جناح امكانياتها حتى الآن وضيع على الانسانية نتاج عبقرتها وديونتها ، ولا شك ان الوقت قد حان ، في سبيل صالحها وصالح المجموعة البشرية ، لكي نسحب حريتها لتجرب عبقها في الحياة .

## الثانية

يقول (جول لافورغ) :

«لا تربطنا بالمرأة أبدا رابطة الأخوة . فقد جعلنا منها ، بالذبول والفساد ، كائنا منجزلا ليس له من سلاح سوى سحره الجنسي» .  
الواقع ان الرجال والنساء ليسوا راضين عن بعضهم بعضا في يومنا هذا . ولكن المسألة هي ان نعلم فيما لنا كانت هناك لغة أصلية تحكم عليهم بالتخاسم والتنازع او ان الخصومات التي تخرب بينهم لا تعبر إلا عن لحظة انتقالية في التاريخ الانساني .

لقد رأينا ولم ما جاء في الاساطير ، ان ليس هناك سب فيزيولوجي يفرض على الذكر والانثى العداء الدائم لانهما من جنس متباينين . ان الانسانية ليست نوعا بل هي سيورة تاريخية . ومهما يكن سوء الية كثيرا فمن المستحيل اكتشاف خصومة ذات طبيعة فيزيولوجية بين الانثى والذكر البشريين . لذلك يمد بعضهم الى اعتبار وجود هذا النزاع في ميدان متوسط بين البيولوجيا وطب النفس اي ميدان التحلل النفسي (فرويد) ولكننا نينا ان الآساة لا تجري على الصعيد الجنسي ولم يد لنا قط ان العروة الجنسية تعدد مضىوا اناسيا وانها تقدم بذاتها مفتاحا يفسر السلوك البشري .



ان اللجنح الذي وضع الرجل تشريعاته وفيه يعتبر المرأة اقل من الرجل . ولا يستطيع المرأة انهاء هذا النفس الا بتخليم حقوق الرجل ، لذلك يحاول ان يسيطر عليه وان تناقضه وان تنكر حقيقته وفيه . انها بذلك لا تعمل سوى الفخاع عن نفسها . هذا النفس لا ينجم عن جوهر ثابت او قدر سيء بل هو مفروض على المرأة فرضا . وان كل المستطاهات يخلق حالة نزاع . والكائن الذي تتزعج منه سفة الجوهر لتتفق به سفة التبيعة والالعاق لا بد ان يحاول استرجاع سيادته .

اما اليوم فتأخذ الحركة شكلا آخر . فللمرأة لم تعد تحاول عبر الرجل الى الجسود بل تحاول الهروب الى عالم الارتقاء والسو . ولكن يطيب للرجل ان يبقى السيد المطلق والكائن الثغود بالجواهر ويرفض ان يعتبر رفيقته مساوية له .

لم تعد الحركة إذن بين افراد ينحس كل منهم في اطلاقه بل ان هناك طبقة ذات مطالب تهب الى النضال فتتصر عليها الطبقة ذات الامتياز . نحن الآن امام حريتين نراحتين الى السو والارتقاء يسود بينهما الخصام بدل التعارف والوثام .

تحاول المرأة «الاتي» يجعل نفسها متاعا وفرصة سلبية ، ان تعيد الرجل بالرغبة التي تشريها في نفسه . وعلى العكس من ذلك ترفض المرأة «المحررة» السلبية التي يدعي الرجل فرضها عليها . ولكن المرأة «الحديثة» تقبل قيم الذكور وتؤكد نفسها كشبهة لهم .

ان هذا الطلب مشروع ما دام يعبر عنه بتصرفات ملموسة . الا ان كثيرا من النساء اللواتي يرددن ان يتبين بنجاحاتهن انهن مثل الرجل ،

يشهدون أيدي الرجل عن طريق الجنس ، الذين يلمن ضمن نظريتين : فمن  
بطلين بالأحترام التقليدي ، وباعتبار جديد أيضا ، معولات على سحرهن  
القديم وحقوقهن الجديدة ولكن الرجل أيضا لا يظفر من مثل هذا  
الازواج . والحقيقة ان الصراع بين الرجل والمرأة لا يمكن ان يكون  
وانجح العالم لأن المرأة لا تتسبب أمام الرجل على اعتبار انها شخص  
ولكنها كمناع ، كثيرة له حياته الشخصية .

وسيدوم النزاع طالما لا يتصرف احدكما انه تسيه للآخر ونظيره .  
ولذا كان من الصعب تعظيم الحلقة العاسنة والفتوة القارية لذلك لان  
كل من الجنسين هو في نفس الوقت شعبة الجنس الآخر وضعية  
نفسه . وليس من الصعب اطلاق الاتفاق بين خصين يتنازحل في  
حريتها الصرفة ولا سيما ان هذا النزاع لا يقيد احدًا . الا ان تعهد  
هذه القضية تأتيه عن كل فريق هو في نفس الوقت لسريك خصه . .  
لقد رأينا لماذا استعبد الرجال النساء في الاصل . لقد كان الغطاشي  
قيمة الانوثة مرحلة ضرورية في التطور البشري ، ولكن كان بالامكان  
ان يسود التعاون بين الجنسين . ان الانسطهاد يفسر بزيادة الكائن الي  
الغروب من ذاته والتخلي عن نفسه للآخر في سبيل هذه الغاية ، وعلى  
هذا اليوم يوجد هذه النزعة ضد كل الرجال .

اذا ما حررت المرأة فالتنازع للرجل ولكنه يخشى ذلك بالفتات  
ويصر على التعميمات التي تستهدف ابقاء المرأة في الاعلال . ولقد رأينا  
كيف يجري ابقاء قيود الاحياء الثرية الملتصقة تحت ستار شعري ، بل ان  
هناك رجالا كثيرين يحاولون تقناع انفسهم ان المرأة تتمتع بامتيازات .  
والحقيقة ان المرأة تتمتع بامتياز عدم المسؤولية . ولقد رأينا ان تربية

المرأة بقصد منها سد طريق الثورة امامها وان المجتمع كله يتكلم عليها  
لا يتخفى بقم العيب والتضحية ، وهي تسبها لرضي بهذا التكلم لانه  
يبدو الي اتاج طريق السهولة . وتخطيء المرأة خطأ كبيرا اذ تخضع  
للانراء ولكن الرجل هو آخر من يعقل له ان يأخذ ذلك عليها لانه هو  
نفسه الذي يفرجها ، ان كلا من الجنسين يعتقد انه يبرر نفسه حين يمسد  
الي الهجوم الا ان الخطاء اشدعنا لا تبرىء الآخر .

لا يجري التبادل في علاقتهما بين عرضين لهما نفس الكيفية ،  
ويبرز عدم التساوي هذا في ان الوقت الذي يقضيه معا ليس له نفس  
القيمة بالنسبة الي الشريكين . فالرجل لديه دائما شيء آخر يعمله  
اما المرأة فتحاول التخلص من وقتها . ولكن يستحيل تطبيق العدالة في  
كثف الاعدالة : وفي الحياة كثيرا من الاحوال التي ليس لها حل مرض  
لانها تتعين بشروط هي دائما غير مرضية وان البلاء ناجم عن وضع يصبح  
امامه المسلك الفردي عاجزا كل العجز فلتسبح للنساء بكيان مستقل  
والمصبح بإمكانهن التفضل في الحياة لينتزعن معيشتهم ، كما تظني  
تبعين ونوعية الرجل ايضا .

ولا ينبغي الاعتقاد ان من الكافي تعديل وضع المرأة الاقتصادي  
كينا تغير . هذا العامل كان ولا يزال العامل الاساسي في تطورها  
ولكن طالما لم تنجم عنه النتائج الاخلاقية والاجتماعية والثقافية التي  
يشر بها ، فلا يمكن للمرأة الجديدة ان تظهر ، ولكن لذا افترضنا  
مجتمعا تحقق فيه مساواة الجنسين تطلقا فلتسرحا فان هذه المساواة  
تؤكد في كل فرد .

ان اعداء الذكور لا يبدو كامتياز الامراء الا في كنف نظام يتأمر

بمجموعه اثبتت سيادة الذكور ، والحقبة ان الرجل مثل المرأة مكون من جسد اي ان له صفة السلبية وانه يتأثر بالتوقع ويخضع للشيوة . وليس من شك في اننا اذا ايقينا طبقة ما في حالة النفس بقيت ناقصة ، الا ان الحرية تستطيع تحطيم هذه القيود . فلنعت المرأة مسؤوليات قائما تهفئ بها . وان الاحوال الجديدة تنشأ احياءا من ثورة الفلسطينيين وحياءا من تطور الطبقة ذات الامتياز . هكذا انظر الرجال في مصلحتهم بالذات ، ان يحرووا المرأة تحروا جزئيا .

وعلى كل حال سيبقى دائما بين الرجل والمرأة بعض الفروق . فعالم المرأة الجنسي ، ما له من وجه خاص ، لا بد انه سيحدث لديها حساسية خاصة . وان علاقاتها بجسمها وبجسم الذكر وبالطفل لن تصبح ابدا مطابقة تمام التماثل لعلاقات الرجل بجسمه وجسم الانثى وبالتلل .

ان تحرير المرأة يعني رفضي تميلها بالعلاقات التي تقيها مع الرجل ولكن لا يعني ابدا انكار هذه العلاقات . وان تعطف علاقاتها التبادلة الاعلبيي التي يحدتها انقسام الكائنات البشرية الى فئتين منفصلتين (الرجية ، الامتلاك ، الحب ، العلم ، الفاعرة) ، بل على العكس ، حينما يلقي ، استبعاد نصف الانسانية وكل مجسوة الرءاء الناجبة منه ستظهر الانسانية منراها الصحيح وسيرى الزوج البشري وجهه العظيبي .

## المفردات

### الكتاب الأول

5	المقدمة
17	القسم الأول
18	الفصل الأول - معطيات علم الحياة
21	الفصل الثاني - وجهة نظر علم التحليل النفسي
24	الفصل الثالث - وجهة نظر المادية التاريخية
27	القسم الثاني - نظرية تاريخية
29	القسم الثالث - صورة المرأة

### الكتاب الثاني

77	مقدمة
79	القسم الأول - مراحل تكوين المرأة
81	الفصل الأول - الطفولة
111	الفصل الثاني - الفتاة الزاعقة
117	الفصل الثالث - التدرب الجنسي
124	الفصل الرابع - المسابقة
129	القسم الثاني - اوضاع المرأة
161	الفصل الأول - المرأة المتروكة

٢١١	الفصل الثاني - الإم
٢٤٢	الفصل الثالث - الحياة الاجتماعية
٢٥٩	الفصل الرابع - مؤسسات ومخططات
٢٧٢	الفصل الخامس - من النضوج الى الشيخوخة
٢٨٧	الفصل السادس - وضع المرأة وطبائعها
٢٩٥	القسم الثالث - تبريرات
٢٠٧	الفصل الاول - عائقة ذاتها
٢٠٠	الفصل الثاني - العائقة
٢٠٢	الفصل الثالث - التصرف
٢٠٥	القسم الرابع - نحو تحرير المرأة
٢٠٧	الفصل الاول - المرأة المتحررة
٢٢٥	الخاتمة

www.alkottob.com

www.alkottob.com